ورقات

في البحث والكتابة

الدكتور عبد الحميد الهرامة



منشورات
كلية الدعوة الإسلامية

وَرَقَاتٌ

فِي ٱلْبَحْثِ وَٱلْكِتَابَةِ

وَرَقَاتٌ

فِي ٱلْبَحْثِ وَٱلْكِتَابَةِ

الدكتور عبد الحميد الهرامة

منشورات
كُلِّيَّة الدَّعوة الإسلاميَّة

الطبعة الثالثة

1370 من وفاة الرسول ﷺ 2002 من ميلاد المسيح عليه السلام

ورقات في البحث والكتابة
الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب
دار الكتب الوطنية
بنغازي ـ ليبيا
هاتف: 9090509 ـ 9096379 ـ 9097074
بريد مصور: 9097073
البريد الإلكتروني: Nat-lib-libya@hotmail.com
ردمك ISBN 9959-828-00-X

منشورات
كلية الدعوة الإسلامية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ
عَلَقٍ (2) ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ (3) ٱلَّذِي عَلَّمَ
بِٱلۡقَلَمِ (4) عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ (5)

صَدَق اللّهُ العَظيم

المحتويـــات

* مقدمة الطبعة الثالثة 11
* مقدمة الطبعة الأولى 15

القسم الأول

البحث العلمي

* منهجية البحث العلمي: 29

ـ مناهج البحث (المنهج التجريبي ـ المنهج الاستنباطي ـ المنهج الوثائقي ـ المنهج الاستقرائي المناهج الوصفية ـ المنهج المتكامل.)

ـ عمليات التفكير العلمي (عمليتا التحليل والتركيب ـ الحدس ـ الاستدلال ـ الملاحظة ـ الخيال ـ الشك العلمي)

* التفكير العلمي والبرهنة 39
● عمليات التفكير 41
● الإجراءات البحثية 47
● أخطاء التفكير: 53

(التعميم ـ التهوين ـ موافقة الهوى ـ الخضوع للآراء السائدة ـ المقارنة الخاطئة ـ سوء البرهنة ـ المهاجمة الشخصية ـ البديلان ـ الاحتجاج بغير الحجة ـ الأسباب الخاطئة ـ الاحتجاج بعمل الأكثرية ـ اللف والدوران)

● أدب الاختلاف الفكري 71
● أدب الاختلاف في البحث 73
● آداب البحث والمناظرة 77
● الفهم ونقد النص 83
● دوافع البحث العلمي 87
● صفات الباحث: 93
(القدرة على البحث والإبداع ـ سعة الاطلاع ـ القدرة على التعبير ـ الأمانة العلمية ـ التواضع ـ الرغبة ـ الموضوعية ـ الصبر والمثابرة ـ عمق التفكير والقدرة على النقد ـ النظام والترتيب ـ المهارات المساعدة ـ سرعة البديهة والإتقان)
● أغراض التأليف: 103
(ابتكار جديد ـ إتمام الناقص ـ شرح المستغلق ـ اختصار المطول ـ جمع المتفرق ـ ترتيب المختلط ـ إصلاح الخطأ)
● أوليات البحث العلمي 111
● خطوات البحث: 115
(اختيار البحث ـ تحديد ـ جمع المصادر والمراجع ـ وضع مشروع البحث ـ القراءة وأخذ الملاحظات: (قواعد الاقتباس) ـ تصنيف الملاحظات ـ وضع الخطة التفصيلية ـ الصياغة الأولى: (محتويات البحث. . الحواشي والهوامش) ـ المراجعة ـ إعداد النسخة النهائية)
● الكتابة: (أساليبها وأنواعها) 141
● تحقيق المخطوطات: 195
نماذج من الكتابة النثرية (من آيات الله البينات ـ الرسالة الجدية لابن زيدون ـ فلسفة القصة للرافعي ـ في المقالة لخليفة التليسي ـ اليتيم للمنفلوطي ـ تخوم مملكتي للفقيه ـ السلحفاة والبطتان لابن المقفع)
الملحق (نص مترجم في تحليل أخطاء التفكير)

القسم الثاني

المكتبة والمصادر

التأليف المكتبي 219

أولا: المكتبة ومحتوياتها: 224
1 ـ التعريف والنشأة 224
2 ـ محتويات المكتبة العصرية 179226
ثانيا: تصنيف المكتبة 232
1 ـ طرق التصنيف القديمة 233
2 ـ نظام التصنيف العشري لمليفل ديوي 234
3 ـ نظام مكتبة الكونجرس 236
ثالثا: نظم الفهرسة 237
رابعا: مصادر المعرفة 238
1 ـ المصدر والمرجع 238
أ ـ التعريف والفرق 238
ب ـ تقويم المصادر ووسائله 239
2 ـ أنواع المصادر والمراجع 249
أ ـ الأمهات والكتب الموسعة 249
ب ـ المظان 250
ج ـ المخطوطات والوثائق 252
د ـ الموسوعات 258
هـ ـ الكتب 274
و ـ الدوريات 276
ز ـ المرقونات 276
ح ـ المصادر السمعية والبصرية 278
خامسا: أدلة المعرفة 278
1 ـ الفهارس 278
ـ فهارس الكتب 278
ـ فهارس المؤلفين 293
ـ فهارس المخطوطات 296
ـ فهارس الفهارس 305
ـ فهارس البلدان 311
2 ـ المعاجم 315

أ ـ معاجم المفردات الخاصة 316
أ ـ 1 ـ كتب الغريب 316
أ ـ 2 ـ المعاجم المفهرسة 317
أ ـ 3 ـ معاجم المصطلحات 321
ب ـ معاجم الألفاظ 329
ج ـ معاجم المعاني 332
د ـ معاجم الأمثال 334
سادسا: كتب الأعلام 334
1 ـ كتب المشاهير 335
2 ـ أعلام القرن الواحد 336
3 ـ أعلام البلدان 339
4 ـ أعلام الفئات الخاصة 342
الخاتمة 359

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

عندما قدمت هذه الورقات إلى المطبعة فنشرت بمجلة كلية الدعوة الإسلامية في عددها الثالث الصادر سنة 1986 لم أحسب أنها ستلقى كل هذه العناية والتشجيع من الإخوة الأساتذة والطلاب وثلة من القراء، وأحسب أن ذلك من توفيق الله الذي ليس لي فيه كبير أثر.

وما إن جاءت سنة 1989 حتى خرج البحث كتاباً في طبعته الأولى متضمناً لحاجات الطالب الجامعي من المعلومات الضرورية في مجال البحث والكتابة والمخطوطات، مكتفياً فيه بالإيجاز عن التطويل، وبالإجمال عن التفصيل، تاركاً للأستاذ المحاضر إغناءه بالأمثلة والشروح والتفصيلات والتطبيقات المناسبة.

وحظي الكتاب على علاته بتشجيع الأفاضل من العلماء، ومنهم الأستاذ البحاثة علي مصطفى المصراتي الذي أشار إليه في حديث إذاعي، والأستاذ الصحفي الأديب محمد السوكني الذي عرَّف به في مجلة الفصول الأربعة فأشاع ما رآه فيه من حسنات، وأخفي ما فيه من عيوب ليجعلها هدية أفيد منها في إعادة طباعته.. ثم عرَّف به صوت الأستاذ عبد اللّه

مليطان عبر أمواج الأثير، ودبَّج عنه الأخ الفاضل د. العارف علي النايض رسالة كريمة من ثلاث صفحات من القاطع الكبير، أورد فيها ملاحظات قيمة أفدت منها، وثناءً عاطراً أعتز به لصدوره من عالم واسع الآفاق.

ومن طريف ما حظي به هذا الكتاب ما ورد من تقريظ كريم جرى به قلم الأديب الألمعي والمؤرخ الثبت الصديق عمار محمد جحيدر؛ فقد قرأه في يوم إهدائه إليه، وعبر عن نبله في الإغضاء عن عيوبه، والتشجيع الكريم لصاحبه برغم ما كان يمر به حينئذ من ألم مُمِضٍّ وظروف خاصة؛ فمن هذا التقريظ قوله:

أبحرتُ في صفحاته — كالموج في الأفق البعيد
ونثرت من صدفاته — دررا على هذا القصيد
وقرأته في يومه — لا زال في اليوم السعيد
يجلو عرائس فَنِّهِ — ويحيك ثوباً للخلود
السلسبيل بيانه — ومداده عطر الورود
والطرس.. أيُّ جميلة — منحته من لطف الخدود
والفاتنات إزاءه — يُشرِقنَ من أثر السجود
يَرقصنَ بين سطوره — وكأنها أوتار عود
غنَّى بها اللحنُ الشجيُّ — على لظى قلبي العميد

* * *

ماذا أخي عبد الحميد — ماذا تكسر من قيودي؟
ماذا تحاور من خيالي — أو تلاحق من شرودي
إني، لعمرك، متعبٌ — ويكاد يخذلني صمودي
وتنال منِّي الحادثات — وقد عجمت بهن عودي

أيـن الـطـمـوح الـمـسـتـبـدُّ ودفـقـة الـعـزم الـعـنـيـد؟
أيـن (الـخـطـاطـات) الـتـي خُـطَّـتْ عـلـى الأمـد الـبـعـيـد
وكـأن فـي الـعـمـر الـقـصـيـر مـسـاحـةٌ فـوق الـحـدود

* * *

إيـه أخـي عـبـد الـحـمـيـد والـبـوح يـنـزف فـي وريـدي
يـنـتـابـنـي الألـم الـمـمـضُّ كـنـوبـةِ الـوجـد الـشـديـد
وأكـاد أضـحـك بـاكـيـاً! وأكـاد أبـكـي كـالـسـعـيـد
إن الأديـب مـضـيَّـع كـضـيـاع صـالـح فـي ثـمـودِ!

ومع هذا التشجيع النبيل فقد كان في الطبعة الأولى مآخذ مطبعية عزمت على تصحيحها في الطبعة الثانية لكن هذه الطبعة خرجت إلى الوجود دون علمي، وبها تلك المآخذ التي لحقت الطبعة الأولى، وازداد الطلب على الكتاب، وتم تصويره مراراً لسد حاجة الطلاب إليه.

ثم رُغب إليَّ في تقديمه من جديد في طبعة سميتها الطبعة الثالثة دون اعتبار لما صدر من الكتاب بدون تحديد لرقم الطبعة، فجمعت قدراً مما ذكرته من تلك الملاحظات التي لم يكن بد من مراعاتها، وهاأنا أقدمه في هذا الشكل المنقح الجديد، مضيفاً إلى ما سبق نشره عدد من الفصول المتعلقة بعمليات التفكير، وإجراءات البحث، وآداب الخلاف، وفهم النص ونقده، وأوليات البحث، والمكتبة والمصادر، وثقافة المحقق، فضلا عن إضافات داخل الفصول السابقة غير بعض تفاصيلها تغييراً كبيراً.

سائلا المولى عزَّ وجل أن يفيد به كاتبه وقارئه، فمنه نسأل التوفيق فيما نثبت أو نحذف ـ ومنه تعالى نلتمس العون والتأييد.

الرباط في 9/ 4/ 2002

مقدمة الطبعة الأولى

يكلف الطالب الجامعي بأبحاث علمية وهو يضع خطواته الأولى في مدرجات الجامعة فيقف حائراً أمام ذلك الركام المعرفي المتنوع الذي يقابله في المكتبة، ولا يدري من أين يبدأ، ولا إلى أين يسير. فإذا تمكن من التعرف على بعض المصادر المساعدة بمعاونة أستاذه أو بعد جهد شخصي مضنٍ بقيت أمامه صعوبة بالغة في تركيب ذلك الكم المعرفي المحصول من تلك المصادر فهل ينقله حرفياً إلى بحثه؟ أو ينقله بالمعنى؟ أو يزاوج بين هذا وذاك؟ ثم ماذا يأخذ وماذا يترك من الأفكار المتشابهة؟ وكيف يرتبها في نظام كتابي موفق؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها هي الداعي الحقيقي لاعتماد مادتي مناهج البحث والكتابة العلمية في الجامعات الحديثة، غير أن التركيز كان في الماضي مقتصراً ـ تقريباً ـ على طلاب الدراسة العليا في تناول هذه الموضوعات، باعتبار. أنهم أولى بتعلُّمها، وأن طالب ما قبل التخرج أولى بتعلم الحقائق منه بتعلم الطرائق، ولذا فقلَّ أن تجد كتاباً مؤلفاً لهذا النوع الأخير من الطلاب، موفياً بحاجاتهم، ومعالجاً لمشاكلهم في هذا الميدان.

وفي هذه الورقات محاولة متواضعة لاستيفاء ذلك النقص في تيسير بالغ، وإيجاز شديد، معتمدة في توسيعها وتفسير غوامضها، وتفصيل مجملاتها على أستاذ المادة البصير، وعلى ما يقدمه من دروس عملية وأمثلة تطبيقية تعين الطالب في إدراك ما قصّرت عنه الدراسة النظرية.

أسأل الله أن ينفع بها قارئها فهو ولي التوفيق والسداد.

طرابلس 1989

القسم الأول

البحث العلمي(*)

(*) نشر جانب من هذا الفصل في مجلة كلية الدعوة / العدد 3.

البحث العلمي

يُعرَّف البحث العلمي بأنه جهد علمي منظم يقصد به الكشف عن معلومات جديدة تسهم في تطوير المعارف الإنسانية وتطوير آفاقها[1].

ويشتمل هذا التعريف على نقطتين مهمتين تحتاجان إلى مزيد من التوضيح والبيان، أولاهما: أن التنظيم يعني السير في البحث وفق منهج أو مناهج علمية سليمة وبتحديد وتخطيط لموضوع البحث، وتحليل وتصنيفٍ لمحتوياته.

وثانيهما: أن الكشف عن الجديد في مضمار العلم لا يعني أن يكون اختراعاً من ابتكارات الباحث التي لم يسبق لأحد أن تطرق إلى أيٍّ من جوانبها، بل يمكن أن يكون العمل العلمي تنظيماً لمادة مبعثرة، أو تصحيحاً لرأي خاطئ، وربما كان مثل هذا الجهد أكثر جدوى من توافه المستحدثات.

(1) انظر: أصول البحث العلمي لأحمد بدر ـ 18، ومنهج البحوث العلمية لملحس 24، ومنهج البحث والعلوم الإسلامية للدكتور الدسوقي 44.

ولعله من المناسب ونحن نتحدث عن البحث العلمي أن نشيد بجهود علمائنا المسلمين في هذا المجال، وأن نذكِّر لهم بالتقدير والاعتزاز تنبههم لأدق قضاياه بصورة تجعل تراثهم محل إعجاب النقاد في كل عصر. فهم قد اهتموا بمقاصد التأليف التي لا يؤلف عالم عاقل إلاَّ في أحدها، وفي كتابات ابن حزم وابن خلدون والقاسمي[*] وغيرهم ذكر لهذه المقاصد وعناية بها كما سيتضح في مبحث أغراض التأليف من هذه الورقات.

وشدد كثير من علمائنا على الأمانة العلمية، واعتبروا أيّ قول لا يسند إلى قائله خالياً من البركة[1]، بل جعلوا ذلك شرطاً في مؤلفاتهم كما يقول القرطبي «وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها؛ فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف إلى قائله»[2] ويتأكد ذلك إذا كان الكتاب علمياً موجهاً إلى جماعة العلماء كما يتأكد في علمي الفقه والحديث وما يتعلق بهما، وقد عقد السيوطي فصلاً خاصاً في «المزهر» لعزو العلم إلى قائله[3].

وعرفوا الموضوعية، واستخدموا وسائلها من قياس واستقصاء، واعتبروا الاستقراء الناقص سبيلها الأمثل؛ لأن «إثبات ما لا يدخل تحت الحصر بطريق النقل محال»[4] وجعلوا أكثر مقدمات كتبهم مخصصة

(*) رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس 2/ 176، وانظر شبيهاً من هذا في المقدمة لابن خلدون ص 1026، وقواعد التحديث للقاسمي ط (1) ص 38.

(1) قواعد التحديث ـ ص 40.

(2) الجامع لأحكام القرآن، لابن عبد الله الأنصاري القرطبي 1/ 2. وانظر مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ـ ص 21.

(3) المزهر، 2/ 319.

(4) لمع الأدلة ـ لابن الأنباري ـ ص 98.

لمقاصدهم من العمل[1]، وخطوات سيرهم فيه، كما في هذا المثال: «وقبل الشروع في إيراد ما قصدت إليه... فلا بدَّ من ذكر مقدّمة تُطْلِعُ على وجه العمل الذي اعتمدته، وترشد إلى المسلك الذي فيه سلكته»[2].

واتخذوا خطة وحدوداً لمؤلفاتهم لم يتجاوزوها غالباً، وأسموها بالشروط تارة وبالحدود الجامعة المانعة تارة أخرى، فإذا عنَّ لهم الاستطراد أو الاعتراض بأمر خارج عن منهجهم نبهوا إلى ذلك، واعتذروا بما يُنبئ عن تيقظهم لذلك الخروج، وعملوا على تفسير الأسباب الداعية إليه، كالتخفيف من سأم القارئ والارتباط بين مادة الاعتراض وما كان الكاتب بصدده. وقد ينبهون على مزالق الاستطراد قبل وقوعه كقول بعضهم «ولولا أن كل معنى معترض يزيح سهمي عن ثغرة الغرض المقصود في هذا الكتاب لأوردت في هذا الباب... الخ»[3].

الأهمية والأهداف:

تعود أهمية البحث العلمي إلى كونه السبيل الأصح والأقرب لاكتساب المعرفة، ولما كانت المعرفة هدفا إنسانيا ساميا، كان السبيل المؤدي إليها بهذا السمو والأهمية، وتتأكد هذه الأهمية عند تحقيق أهداف البحث العامة والخاصة، البعيدة والقريبة، ويمكن تشبيه الباحث في تحديده لأهدافه البعيدة والقريبة بحال الطائر الذي يختار شجرة ليبني عليها عشه، فهو يبدأ في تحقيق الهدف الأول باختيار المكان، والزمان، وبناء

(1) يمكن توجيه الطلاب إلى كتب القدماء للوقوف على نماذج منها.
(2) الذيل والتكملة للمراكشي، تحقيق محمد بن شريفة 1/ 6.
(3) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1/ 15.

العش بمواد مناسبة وبشكل معين، يحرص فيه على الحجم المناسب لأفراد الأسرة القادمة، والتدفئة والأمن والسلامة، وإعداد كل وسائل الراحة الممكنة لها، فهذه أهدافه الخاصة، أما هدفه العام فهو تكوين الأسرة وتكاثر الجنس الذي يمثله، وقد تتساءل إن كان يحقق أهدافاً يدركها، أو يحقق أهداف خالقه الذي زوَّده بهذه الغريزة، ومهما يكن الجواب فإن هناك أهدافاً خاصة وعامة، ودلائلها منظورة كما ترى، فما الفوائد والأهداف التي يسعى إليها الباحث من وراء بحثه؟

لا خفاء في أن البحث متعدد الفوائد للفرد والمؤسسة والمجتمع، وتلك الفوائد هي أسس الأهمية الكبيرة التي تعلقها الأمم على هذا المجال الحيوي في واقعها اليومي ومسيرة حضارتها بصورة عامة، وتستوي في تلك الأهمية كل الاختصاصات التجريبية والإنسانية، المادية والمعنوية، لأن المجتمع لا يستغني عن جانب من جوانب المعرفة حفاظا على توازنه وإشباع حاجاته المادية والمعنوية، فلا يمكننا أن نستثني المجالات الإنسانية بحجة أن العالم قد بلغ القمر بالعلم التجريبي، لأن الذين بلغوا تلك الدرجة لم يقصروا في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية، بل ساروا في هذا وذاك على نسق واحد من الاهتمام والتشجيع، وفي المقابل لا ينبغي التركيز على العلوم الإنسانية وإهمال غيرها، بحجة أن المتقدمين لم يتركوا لنا مجالا في ميدان العلوم التجريبية لنبحثه أو نسابقهم فيه، وليس لنا إلا أن نوجه اهتماماتنا إلى الدراسات الإنسانية والمحلية التي قد نتفوق فيها عليهم، فهذه نظرة أخرى قاصرة وخاضعة لنفسية يملؤها الشعور بالنقص والدونية، وليس لنا إذن إلا الأخذ من كل علم بطرف لأننا مجتمع متعدد المواهب والحاجات، فإن أعوزنا الابتكار في علم من العلوم نتيجة لظروف مرحلية تواجهنا، فإننا ننتقل إلى الترجمة التي هي أساس بناء الحضارات

في القديم والحديث، فهي التي تجعل العلوم والآداب الراقية ملتحمة بلغة الشعب وليست مقتصرة على لغة الخاصة غير المنتمية في ثقافتها إلى الجمهور العريض.

ويمكن أن نتبين أهم فوائد البحث العلمي في النقاط الآتية:

أولا: إن أوضح ما يبين فضل البحث العلمي هو تصور ضده، من الانصراف عن العلم واختيار البديل وهو الجهل والأمية، ولنا أن نتصور حالة المجتمعات الإنسانية في وجود حركة علمية مزدهرة، وفي غياب هذه الحركة، ويمكننا أن نعتبر المجتمع الإسلامي نموذجاً للحالتين، ففي عصور ازدهار هذا المجتمع كان العلم مزدهرا، وكانت عواصمنا قبلة لطلاب العلم من شتى بقاع الأرض.

ولا نبالغ إذا قلنا إن المخطوطات العربية الإسلامية قد عَبَرت المسافات لتنقل العلم إلى شعوب أخرى متطلعة إلى الأمام، بل عبرت الزمن فكانت المراجع الأساس في علوم مختلفة حتى بعد القرن السادس عشر في أوروبا، ولم يفقد تراثها حيويته وبريقه حتى هذا اليوم في الجامعات الغربية، وإن كانت درجة الاهتمام به قد تحولت من تلبية الحاجات اليومية إلى الدراسات التاريخية والإنسانية.

فلما تعرض العالم الإسلامي لظروف داخلية وخارجية كثيرة يصعب تعدادها هنا تخلف عن مكانته، فتدنت الهمم، ونقصت قيمة المؤلفات، ثم تقلصت وكادت أن تندثر لولا بقية من شروح وحواش ومتون ومناقب هنا أو هناك، تحافظ على شبح العلم ولا تنهض به، وظهر بعد ذلك ثالوث التخلف الخطير، الجهل والمرض والفقر، فسقط التفكير العاطفي المعتمد على الشجاعة وحدها فريسة صعبة حينا وسهلة أحيانا أخرى أمام آلة العلم

الحديث الحربية والفكرية التي تستخدم سطوة العلم في نصرة رغباتها، صائبة كانت أو خاطئة:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هي أول وهو المحل الثاني

وعبثاً حاول بعض المنظِّرين أن يغالطوا هذه الحقيقة لكنها فرضت نفسها بالتجارب المتلاحقة، وأصبح العلم ينتج الاقتصاد القوي، ويمد أتباعه بالقوة والمنعة ويجعلهم المسيطرين والناجحين في العالم على مستوى الأفراد والمجتمعات، وكان البحث العلمي هو رائد هذا النجاح على الدوام، مع إقرارنا بأن هذه الإمكانات العلمية الفعالة قد تكون مدمرة إذا وقعت في أيد لا تعترف بالالتزام الخلقي سبيلا لإقامة العدل.

ثانيا: أن البحث العلمي مطلب ديني للمسلم، فقد أمرت أول آية للقرآن بالقراءة وهي الخطوة الأولى للبحث العلمي، وفي ثنايا الكتاب الكريم آيات صريحة في النظر والتفكر والتدبر وطلب العلم وهي وسائل البحث العلمي كما لا يخفى، وفي القرآن الكريم رفع من شأن العلماء ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وفيه حصر للخشية الحقيقية لله في المنتسبين للعلم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ وكفى بذلك رفعا من شأن العلم والعلماء.

ولا عذر في الإسلام لمن يجهل معلوما من الدين بالضرورة، ولذلك جاءت الأوامر النبوية بطلب العلم ولو في الصين، وبطلبه من المهد إلى اللحد، وأن طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة، الأمر الذي يجعل البحث العلمي مطلبا دينا صارماً للمسلمين، ولكنه مطلب عيني في بعض الأمور ككل معلوم بالدين بالضرورة من عبادات وعقائد، وهو فرض كفاية في بقية التخصصات، يسقط إثمها عن المجتمع إذا أفرد لها بعض

المتخصصين، ولكن المجتمع يأثم كله إذا لم يخصص لها طائفة تسدُّ حاجته الدينية أو الدنيوية من هذا العلم أو ذاك، بغض النظر عن كنهه وطبيعته، وذلك هو مفهوم قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ [سورة التوبة، الآية: 122].

ثالثا: والبحث العلمي مطلب إنساني عام يسهم به العالم في خدمة البشرية وحل مشكلاتها المادية والمعنوية، ولا أدل على ذلك من الآثار الإنسانية الإيجابية للتطعيم ضد الأمراض في مختلف أرجاء المعمورة، وما نجم عنها من انقراض للأمراض الخطيرة التي كانت تذهب بأرواح الملايين في أوبية مدمرة هددت الإنسانية بعامة والطفولة على وجه الخصوص، وقد كانت هذه الأوبية من أسباب تراجع المد الحضاري الإسلامي بعد القرن الثامن الهجري (الرابع عشر) في الغرب الإسلامي بالتحديد، وربما في غيره من ديار الإسلام أيضا.

ثم إن البحث العلمي باتباعه للموضوعية والحياد والأمانة العلمية يقرِّب بين مفاهيم البشر، ويؤسس علاقات جديدة بين الشعوب قائمة على الحقائق المشتركة، ومبددة لكثير من الخلافات التي يكون أساسها الجهل وسوء التفاهم، وقد تنتج عنها الحروب وتصدير المشاكل وصناعة الفتن، وكلما شاع البحث العلمي بشروطه المنهجية والموضوعية عرف الأفراد والدول حقوقهم وواجباتهم، ونشروا من المثل الأخلاقية والتشريعات القانونية ما يُفترض أن توقف الجميع عند حدودهم، أو التقليل من فرص الخلاف في أسوأ الأحوال، ولا يخفى ما للبحث العلمي من دور في صناعة تلك التشريعات والمثل، أو في تطويرها وتعميم إيجابياتها في العالم بكامله.

رابعا: والبحث العلمي بعد ذلك مطلب وطني وقومي، فهو يلبي حاجات المجتمع في التنمية والتطور، وحل المشكلات المادية والمعنوية، ولذا اشترطت منظمة التربية والثقافة والعلوم نسبة معينة من ميزانيات الدول تنفقها على البحث العلمي يقال أنها حددتها بـ 2.5% وهو رقم كبير في الميزانيات الضخمة، ولكن العلماء يستطيعون تعويضه عن طريق المردود المتوقع لجهودهم في تحسين مستوى الحياة وتطوير آفاقها. أما لو تخلوا عن دورهم هذا فإن المجتمع سيظل متخبطا في مشاكله المعقدة معمقا لآثار الخلف السلبية على حياته، وهو ما سيكلف ميزانيته أضعاف هذا المبلغ.

والبحث العلمي وسيلة من وسائل التنوير والوعي على المستوى الوطني والقومي، وسبيل من سبل تصحيح الأفكار الخاطئة بالمنهج والبرهان، وبالتالي هو من عوامل إصلاح الأوضاع وتقويم المفاهيم والرؤى المنحرفة، ولكن بشكل سلمي وسليم.

خامسا: والبحث العلمي يحقق حاجات الفرد الباحث، ويلبي رغباته، وذلك بتحسين إمكاناته المعنوية والمادية والنفسية، فهو بذلك عنصر إيجابي في حياة الفرد يساعده على تحقيق طموحاته، وإشباع فضوله العلمي، وخدمة بلاده وأهدافه القريبة والبعيدة.

سادسا: وبصورة عامة فالبحث العلمي يسعى إلى إسعاد البشر في دنياهم وأخراهم بتقديم أفضل الأفكار والتجارب والمقترحات التي تُيسر مصاعب الحياة وتسهم في سعادة البشر. ويتداخل مع هذه الفوائد ما نسميه بدوافع البحث في المبحث التالي.

ويمكن إيجاز تلك الفوائد والأهداف في النقاط الآتية مع اعتبار

جميع مقاصد البحث ودوافعه أهدافاً خاصة أو عامة بحسب حالة الهدف وصلته بالبحث أو بمجتمعه:

1 ـ يحقق البحث العلمي أهداف المجتمعات في مواجهة التحديات التي تعترضها، بصورة علمية صحيحة، بعيدة عن العشوائية والتخبط، مما يقصر المسافة بينها وبين حلول مشاكلها، وتحقيق طموحاتها.

2 ـ يحقق أهداف الأفراد المعنوية والمادية والنفسية، ويغذي رغبتهم في حب الاستطلاع، وتحقيق الطموحات الشخصية والقومية والدينية.

3 ـ يصف الواقع بوسائل علمية، ويساعد على فهمه، ويعمل على تفسيره، الأمر الذي يعين بشكل صحيح على الوصول إلى النتائج، وحل المشكلات، وتصور المستقبل من خلال إدراك الماضي والحاضر.

4 ـ يشجع على ريادة الحقول الجديد في العلم والمعرفة، ويبني العقول الناقدة بطرق صحيحة ويقضي على التفكير الخرافي، والتعصب للرأي، والمذهب، والفصيلة.

5 ـ يساعد العقول على تجاوز التقليد الأعمى، والخضوع للآراء السائدة، قديمة كانت أو حديثة، تفادياً للاعتقاد في صحتها بحجة الثقة في مصدرها دون برهان أو تفكير.

6 ـ يحقق مقاصده التي سبق ذكرها، وفيها نفع للإنسانية، وتيسير للحياة، وتذليل لصعوباتها، باختراع الجديد، أو تصحيح الخطأ، أو شرح المستغلق أو الترجمة والنقل. . . إلى آخر تلك الأغراض.

7 ـ يجيب عن الأسئلة الحائرة، ويوضح المبهمات بوسائل التفكير

العلمي الصحيح، وقد تكون في الإجابة عنها حلول لمشكلات فردية أو جماعية صحية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها من مجالات الحياة.

8 ـ يساعد على تكوين تخصصات ومختصين يهتمون بدقائق الأمور في مجالاتهم، الأمر الذي يساعد على معالجة دقائق المشاكل في تلك المجالات بالوسائل الصحيحة.

ومن هذه الأهداف تتبين الأهمية الكبرى التي تلقيها الأمم المتحضرة على عاتق المشتغلين بالبحث العلمي، وذلك لأنه موكل بإصلاح الحياة المادية والمعنوية للأفراد والمجتمعات، وتكوين العقول الناقدة التي لا تعترف من المسلمات إلا بما سلمه العقل أو العقيدة السليمة، ولأنه يبني التفكير الإنساني على الوضوح بعيدا عن سلطة الخرافة، والوهم، والشعوذة، وتبقى الأهمية الكبرى للبحث العلمي أنه وراء الحضارات الإنسانية، وأن إهماله واللجوء إلى غيره من أنواع التفكير العشوائي أو العبثي أو الخرافي هو من عوامل سقوط تلك الحضارات ودلائل عجزها.

منهجية البحث العلمي

لسنا بصدد التفاصيل الدقيقة لمناهج البحث العلمي فمجال ذلك في غير هذه الأوراق المختصرة، غير أن ذلك لا يعفينا من ذكر ملامح أبرز المناهج المستخدمة في البحث العلمي، وإحالة المستزيد على مراجع وافية تشبع حاجته في هذا الخصوص.

ونشير بداية إلى أن للعلماء المسلمين إسهامهم المعترف به في منهجية البحث العلمي، ذلك الإسهام الذي حظي باهتمام بعض الباحثين فتتبعوا مظاهره وسجلوا أسسه في دراسات قيمة[1].. غير أن قيم وأسس العلماء المسلمين في مناهجهم العلمية ما تزال في حاجة إلى المزيد من الكشف والتوضيح، وفيها ستبدو للدارس نظرات في غاية الأهمية والدقة المنهجية.

---

(1) منها: منهج البحث العلمي عند العرب لجلال محمد موسى، ومناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي لروزنتال، ومناهج البحث عند مفكري الإسلام لعلي النشار، ومنهج البحث التاريخي عند المسلمين لعثمان وافي، ومنهج البحث الأدبي عند العرب لأحمد جاسم النجدي.

مناهج البحث:

المنهج والمنهاج The Method في اللغة العربية الطريق الواضح، وقد خُصَّ في كتب مناهج البحث العلمي بتعريفات كثيرة منها التعريف الشامل كقولهم «طريقة يصل بها إنسان إلى الحقيقة»[1] إذ يدخل في ذلك كل محاولة بشرية للتوصل إلى حقيقة ما.

ومن التعريفات ما يركز على قواعد محددة للوصول إلى تلك الحقيقة، كما جاء في قول بعضهم عن المنهج بأنه: «طائفة من القواعد العامة التي تنظم المعلومات والأفكار من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية»[2]، ومن التعريفات الشمولية ما يصفه بعلم التفكير، أو بطريقة كسب المعرفة[3]، وما يشير إلى الخطوات المنطقية التي ينتهجها الباحث حتى يصل إلى الحقيقة التي هي غاية بحثه، وعلى ذلك فالمنهج هو: طريقة في تنظيم المعلومات تعتمد على أساس منطقي أو تاريخي أو اصطلاحي خاضع لمفاهيم مقنعة أو متعارف عليها من أجل الوصول إلى الحقيقة أو البرهنة عليها.

وأشهر المناهج انتشاراً في بداية العصر الحديث كان المنهج الاستدلالي في الرياضيات الذي عُرِف به الفيلسوف الفرنسي ديكارت، والتجريبي الذي عرف به مواطنه بيكون، ثم امتدت الدراسات في علم المنهج لتشمل العلوم الإنسانية على اختلافها، ومنها المنهج الوثائقي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، وهذه لمحة سريعة للتعريف بتلك المناهج.

---

(1) منهج البحث الأدبي للدكتور علي جواد طاهر ـ ص 19.

(2) البحث في التاريخ للدكتور عاصم الدسوقي ـ ص 27.

(3) منهج البحث في العلوم الإسلامية ـ د. محمد الدسوقي، ص 43.

المنهج التجريبي:

يعتمد المنهج التجريبي على التحكم في جميع المتغيرات والعوامل المكونة للظاهرة باستثناء متغير واحد يخضعه الباحث للتبديل والتغيير لقياس نتائج ذلك على اتجاهات الظاهرة عن طريق المعمل أو ميدان البحث الطبيعي في العلوم التجريبية، وعن طريق التسجيل والملاحظة للجماعات المختلفة في مجال الدراسات الإنسانية[1].

غير أن ملاحظة المواقف الإنسانية المعقدة ليست بالأمر السهل[2] ومن ثم كانت تلك الملاحظة مؤشرات يمكن تأكيدها بتكرار التجارب وتطبيقاتها، ثم إن الدراسات ذات الطابع الإنساني لا تعتمد على دراسة الجماعات البشرية وحدها، فقد تتناول آثارها التي يمكن إخضاعها للتجربة والملاحظة والقياس، وبذلك يمكن الإفادة من المنهج التجريبي الذي هو منهج الطبيعيات[3] ولكن الإفراط في استخدامه قد يكون على حساب جوانب أساسية للدرس الإنساني، هي تأثيرات المشاعر والأذواق والمعتقدات، وهو ما يدعو إلى التحفظ في تطبيق المناهج الطبيعية عليه[4].

ولمّا المنهج هو الطريقة التي يحاول الإنسان أن يصل بها إلى الحقائق في أي ميدان، فإن أي إمكانية للوصول إلى الحقائق في العلوم الإنسانية عن طريق المنهج التجريبي تعد مشروعة، ولذا فلا نستبعده من بين المناهج المناسبة متى كانت الحاجة إليه متوفرة، والإفادة منه ممكنة.

---

(1) انظر: أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر ـ ص 256 وما بعدها.

(2) انظر: فن البحث العلمي: و.أ.ب بقروح ـ ترجمة زكريا فهمي، ص 170.

(3) ديكارت، للدكتور عثمان أمين، ص 78.

(4) انظر رأي الدكتور / علي جواد طاهر في منهج البحث الأدبي، ص 23 ـ 24.

وأوضح الأمثلة العملية لهذا المنهج هي الإفادة من وسائله في جمع البيانات، واختبار الفروض عن طريق إخضاع جميع المتغيرات لتحكم صارم، باستثناء الفرض المستهدف حتى يمكن أن نلاحظ تأثيره في الظاهرة المدروسة، أو التفسير أو السبب أو النتيجة المناسبة لها، وهناك محاولات فعلية للاستعانة بهذا المنهج في العلوم الإنسانية[1].

المنهج الاستنباطي:

يسمى هذا المنهج أيضاً بالمنهج الرياضي لاستخدامه أساساً في هذا المجال، وفيه يبدأ العقل في ترتيب قضاياه من أمور متفق على التسليم بها لوضوحها أو الاصطلاح عليها، فهي الأوليات التي قبلها العقل في تراجعه المثالي نحو الأيسر والأوضح ليكون أساساً يبني عليه غيره من القضايا والنتائج[2].

ولذلك عرَّفوا هذا المنهج بأنه: «انتقال الذهن من قضية أو عدة قضايا مسلَّم بها إلى قضية أو قضايا أخرى هي النتيجة، وفق قواعد المنطق ودون التجاء إلى التجربة»[3].

وينقسم المنهج الاستنباطي إلى:

1 ـ بديهيات:

وهي القضايا البينة بنفسها، والصادقة بالضرورة، مثل الكل أكبر من جزئه، والأشياء المساوية لشيءٍ واحد متساوية فيما بينها، والشيء يساوي نفسه.

---

(1) انظر: أساليب البحث العلمي لعلي عبد المعطي محمد، ومحمد السرياقوسي، ص 430 ـ 431.

(2) انظر: أساليب البحث العلمي، ص 145 وما بعدها.

(3) منهج البحث في العلوم الإسلامية، ص 101.

2 ـ **المسلمات أو المصادرات:**

وهي فروض أو قضايا غير متناقضة نسلم بها دون المطالبة ببرهان وإن كانت أقل وضوحاً من البديهيات.

ومن أمثلتها القول بأنه: من الممكن رسم مستقيم بين نقطتين، أو لا يتقاطع المستقيمان إلاَّ في نقطة واحدة، أو كل الزوايا القائمة متساوية.

والفرق بين البديهيات والمصادرات أن الأولى صادقة بالضرورة العقلية، واضحة بنفسها، أما الأخرى فهي أقل وضوحاً وإن كنا نسلم بها، فهي لا تفرض علينا نفسها كالبديهيات ولكننا مضطرون إلى القبول بها لأنها أساس أولي لقضايا تالية[1].

3 ـ **التعريفات:**

هي الحدود والرسوم الجامعة لصفات المعرَّف المانعة لغيرها من الدخول فيه، وأساس التسليم بها خضوعها لشروط متعارف عليها، فهي تشتمل على معرِّف بكسر الراء المشددة، ومعرَّف بفتحها، والتعريف أيضا هو «ما يلزم عن تصوره تصوُّر المعرَّف» أو «ما يوصلك إلى تصور شيء كنت تجهله»، وينبغي ألاّ يحتوي المعرَّف على لفظ المعرِّف، وأن يكون بينهما مساواة تامة وأن يكون التعريف دقيقاً غير متناقض[2].

ومن أمثلة ذلك عند إقليدس:

1 ـ **الخط**: ما له طول وليس له عرض أو عمق.

2 ـ **السطح**: ما له طول وعرض، وليس له عمق.

---

(1) انظر: المنطق الحديث ومناهج البحث، ص 335. أساليب البحث العلمي، ص 153 وما بعدها، ومنهج البحث في العلوم الإسلامية، ص 102.

(2) انظر: المنهج الحديث ومناهج البحث، ص 337.

3 ـ **الحجم**: ما له طول وعرض وعمق.

فالخط والسطح والحجم معرَّفات وما بعدها معرِّفات خاضعة للشروط المتقدمة.

ولم يقتصر المنهج الاستنباطي على الرياضيات التي هي مجاله الأول فقد استخدم أهل العلوم العقلية، على اختلاف موضوعاتها، هذا المنهج في الوصول إلى النتائج المرضية في المحاكمات القضائيّة، والمجادلات الفكرية، والمناقشات العلمية، والمحاورات السياسية وغيرها.

وكلما كانت الأطراف المتحاورة متفقة على مبادئ ومسلمات محددة كان الوصول إلى النتائج ميسوراً والبلوغ إلى الاقتناع المشترك ممكناً مع التأكد من سلامة الاستدلال من الناحية المنطقية[1].

المنهج الوثائقي:

يعرف بالمنهج التاريخي والاستردادي والنقلي، فهو منهج وثائقي لأنه يعني بالبحث عن الوثائق وفحصها ودراستها، وذلك لأن الوثائق على اختلافها هي المرآة العاكسة لأحداث الماضي، وهي آثاره الباقية التي لا يمكننا بدونها أن نتصور وقائعه تصوراً صحيحاً[2].

إن الباحث وفق المنهج الوثائقي يعمل على تتبع مراحل معينة من الماضي تبلغ به إلى الحقائق التاريخية موضوع الدرس، ويعني خلالها بجمع الوثائق أو المخطوطات أو الآثار، ثم يتحرى في إثبات صحتها، وصحة نسبتها إلى مؤلفيها أو صانعيها، وتحديد زمان تأليفها أو صناعتها ومكانه.

---

(1) انظر: أسس التفكير العلمي، للدكتور زكي نجيب محمود، ص 29.

(2) انظر: النقد التاريخي، لأنجلو وسينو بوس وآخرين، ترجمة عبد الرحمن بدوى، ص 33.

وتوفر الكتب المخصصة لدراسة المنهج التاريخي تفاصيل كثيرة لنقد هذه الآثار داخلياً، وخارجياً، إيجابياً وسلبياً، ويمكن أن يلجأ المستزيد إليها لتغطية الصورة بتمامها(1).

وهو منهج تاريخي استردادي نقلي لأنه يتناول آثاراً من التاريخ بالدراسة والتفسير والتحليل، ويرتد إلى الوراء لينقل إلينا وصفاً دقيقاً بقدر الإمكان لحوادث ووقائع ماضية، أو ليحقق نصاً قديماً فيعيده إلى أقرب صورة أرادها مؤلفها.

إننا نتعامل بالمنهج التاريخي حين نحقق المخطوطات والوثائق، وحين نكتب عن أحداث التاريخ السابقة، وحين ندرس الآثار والنقوش المعمارية القديمة وغيرها، وحتى نحسن متابعة حركة الماضي في تصورنا علينا أن نحسن تحقيق المصدر، وهو هنا وثيقة أو مخطوطة من الماضي، وذلك بنسبتها أولاً إلى صاحبها، ومقابلتها مع نظائرها، والتمحيص في تاريخ كتابتها والمادة التي كتبت بها أو كتبت عليها، وأن نحذر التقليد عن عمد، أو سهو، أو عفو.

وأن نراعى في التحقيق الإشارات الصغيرة والكبيرة، داخل النص وخارجه، ومن ثم كانت دراسة الأثر داخلياً وخارجياً من الأمور الضرورية للتعامل مع الوثيقة، ففي الدراسة الداخلية نواجه عملية تحليل للنص أو الأثر إلى جزئياته، حتى نستوثق من مفرداتها وسياقها العام ومنهج صاحبها، يليها عملية تركيب لبيان العلاقات بين تلك المفردات وإعادة نسجها وفق انسجام كامل في هيكل مترابط.

---

(1) راجع: منهج البحث التاريخي لحسن عثمان والنقد التاريخي لأنجلو سنيوبوس، منهج البحث في العلوم الإسلامية، د. محمد الدسوقي، ص 62. ومقدمة في المنهج للدكتورة / عائشة بنت الشاطئ، ص 116.

المنهج الاستقرائي:

يقوم المنهج الاستقرائي على دراسة أفراد الظاهرة دراسة كلية أو جزئية، وتسمى الدراسة الشاملة بالاستقراء التام، ويقابله الاستقراء الناقص وهو دراسة عينات محددة للوصول إلى حكم عام ينطبق عليها وعلى غيرها من أفراد الظاهرة.

والحق أن الاستقراء التام أقرب إلى الإحصاء العددي المحض منه إلى التحليل والبحث، ولذا يمكن أن يكون عاملاً مساعداً أو برهاناً قاطعاً من البراهين الواردة في ثنايا البحث. أما الاستقراء الناقص فهو الأكثر استعمالاً والأجدر باهتمام الباحثين.

ويعتمد السالكون لهذا المنهج على ملاحظة العيِّنات، ووضع الفروض التي تفسر علاقاتها وطبيعتها، وتحليل تلك الفروض واختبارها حتى يتم الوصول إلى الفرض الصحيح والتثبت منه.

وقد عرف علماؤنا المسلمون هذا المنهج وتعاملوا به، قد قال ابن الأنباري: «إن إثبات ما لا يدخل تحت الحصر بطريق النقل محال»[1] وقال الغزالي في تعريفه ما معناه هو أن تتصفح جزئيات كثيرة حتى إذا وجدت حكماً سحبته على الكل[2].

المناهج الوصفية:

يقصد بالوصف تسجيل الملاحظات على الأشياء والظواهر المدروسة، ورصد العلاقات وتصنيفها وبيان خصائصها[3] ولذا فالوصف

(1) لمع الأدلة، ص 98-99.
(2) انظر: معيار العلم ـ للغزالي، ص 162، ط. دار المعارف.
(3) انظر: أساليب البحث العلمي، ص 79.

عملية بحثية تدخل في كثير من المناهج، ولكننا نلاحظها بارزة في منهج المسح، ومنهج دراسة الحالة، وهما يعتمدان على جمع المعلومات والحقائق ودراستها دراسة وصفية تقوم على المقارنة والتحليل والتصنيف والتفسير بغية الوصول إلى نتائج وأحكام عامة، وإن كانت في منهج المسح تتركز على جمع البيانات والحقائق عن حالات متعددة في وقت محدد، كالمسح الاجتماعي والتعليمي ومسح الرأي العام[1] أما دراسة الحالة فيتركز فيها البحث على حالة واحدة (Cas Study) كالفرد والأسرة أو المؤسسة، بقصد الوصول إلى تعميمات على نظائرها[2].

المنهج المتكامل:

ليس المراد هنا منهجاً مغايراً تماماً للمناهج السابقة يشتمل على خصائص متفردة، وسمات معينة كتلك التي عرفناها في المناهج السابقة، ولكن المراد هو ذلك المنهج المتنوع الذي يستعين بمختلف ميزات المناهج السابقة عند الحاجة إليها، ويسلكه الباحثون عند تعدد الحاجة إلى مناهج مختلفة في أعمالهم العلمية، فيلجأون إلى الاستقراء أو التوثيق، أو الوصف، أو الاستنباط في فصول من بحوثهم تحتاج إلى هذا المنهج أو ذاك.

فالمحقق يحتاج إلى إتباع المنهج الوثائقي في تحقيقه، ولكنه في القسم الدراسي يلجأ إلى الوصف والتحليل، وقد يستخدم الإحصاء والاستقراء، أو يستخدم المنهج الاستدلالي للبرهنة على بعض القضايا التي يرى للمنطق سبيلا إلى توضيحها، والدفاع عنها، والوصول إلى نتائج بصددها.

---

(1) انظر: أصول البحث العلمي ومناهجه، للدكتور أحمد بدر، ص 280.

(2) انظر: أساليب البحث العلمي، ص 414.

التفكير العلمي والبرهنة

قد يكون البحث سليماً في لغته، أنيقاً في أُسلوبه، ولكنه محشو بأفكار مضطربة وبراهين معيبة أو ضعيفة، وعند ذلك يصبح البحث مجرد جلبة صوتية خالية من القيمة الحقيقة للبحث العلمي، ومن هنا كانت العناية بالتفكير العلمي لمعرفة عملياته ومعاييره وأخطائه ضرورية للباحث الجاد.

فالتفكير العلمي هو حسن استخدام العقل في تفسير الأمور وتنظيمها، وفق سبل منطقية، وخطوات منهجية متعاقبة.

وليس غرض هذا البحث أن يغوص في دروس المنطق فيتناول قوانين التفكير المنطقي المبسوطة في كتبه؛ كقانون الهوية، وقانون التناقض، وقانون الثالث المرفوع. ولكن يكفي أن نقف عند بعض المعايير التي يقاس بها صواب البحث العلمي من خطئه وتوفيقه من عدمه، وأهمها ما يلي:

1 ـ مدى إتباع المنهج العلمي الصحيح الذي يدل على أن كاتب البحث ذو عقل منظم، بعيد في كتابته عن العشوائية والتخبط[1] والتناقض.

(1) انظر: التفكير العلمي، د. فؤاد زكريا، ص 31.

2 ـ مدى إتباع الدقة في استعمال اللغة؛ إذ لا مكان في منطق البحث للكلمات الضبابية، والعبارات العامة، والمصطلحات الغامضة وغيرها من الكلمات التي يصعب تحديد معناها الدقيق، ما لم توضح هذه أو تلك بالأمثلة أو بالشرح والتعليق.

3 ـ الموضوعية: وهي أن يتجرد الكاتب من الذاتية والتعصب، ويلتزم الإنصاف والحَيْدة في مناقشة الموضوع المدروس، فالباحث القدير هو ذلك الذي يملك عقلاً لا يخضع للآراء دون اختبارها، ولا يضيق بآراء الآخرين أو يخفيها لأنها تخالف آراءه وميوله الشخصية، بل عليه أن يثبتها، إذا دعت إلى إثباتها حاجة البحث، وأن يعلن موافقته عليها أو رفضها بالأدلة الكافية إثباتاً أو نفياً.

ولا يعني القول بعدم الخضوع لآراء السابقين التنكر لجهودهم، أو أن تبخس أشياؤهم بحجة الموضوعية والحيدة، ولكن أن تعرض تلك الآراء على ميزان التفكير ومعاييره دون تحفظ أو حصانة، فإذا ثبتت صحتها تبناها الكاتب ودافع عنها بمنطق العقل وبراهينه المنظمة.

ومن الموضوعية أن يتحصن الباحث بالأمانة العلمية في الأخذ من الآخرين والإحالة إلى المصادر والمراجع المساعدة؛ فذلك مما يزيد من قيمة البحث وبهائه، ويضفي على صاحبه احتراماً وثقة في نظر قرائه وناقديه.

ولا ينقص اعتماد الباحث على جهود غيره شيئاً من قيمة عمله، إذا كان مراعياً لقواعد الاقتباس وأخلاقيات الأخذ، «فليس الأسد إلا مجموعة من الخراف المهضومة» كما يقول المثل.

وقد لخص بعض الباحثين المقصود بالموضوعية فقال: «أن يكون

التفكير مرتبطاً بسلوك الظواهر الخاضعة للملاحظة، بحيث تصبح طبيعة الدراسة هي الفيصل في الحكم على الظواهر، دون اعتماد على ميول الذات الباحثة، ولا عواطفها، وآرائها الشخصية، ومعتقداتها»[1].

4 ـ المنطقية: ويقصد بها أن يكون السير في البحث وفق خطوات مرتبة يقبلها العقل السليم، وأن تكون البرهنة على أفكاره مناسبة وكافية لإثبات مسائل البحث وقضاياه. فالمنطقية ضرورية إذن في علمية الاستدلال، وفي تقسيم البحث وسلامته من الخلل والاضطراب والاستطراد، وهي من هذه الناحية لا تختلف عن المنهجية كثيراً.

وتكمن أهمية التفكير العلمي في تقصير الطريق في الوصول إلى الحقيقة عبر تحديد المشكلة أو القضية التي تريد بحثها واقتراح الحلول أو الفروض واختبارها، وصولا إلى انتقاء الحل الأمثل أو الفرض الأصح، ويتم ذلك في البحث العلمي عبر خطوات البحث التي سنتحدث عنها فيما بعد.

عمليات التفكير العلمي

1 ـ عمليتا التحليل والتركيب:

يحتاج الباحث إلى عمليتي التحليل والتركيب مهما كان تخصصه؛ لأنه بالتحليل يتعرف على عناصر المركب الكامل، ويقترب من مكوناته فيتعرف إلى طبيعتها وعلاقاتها البنيوية فيما بينها، ليتمكن فيما بعد من التركيب بسرعة ومهارة.

---

(1) الأصول، تمام حسان، ص 14، ط (1).

بل إن التحليل عملية عقلية يمارسها الإنسان بعامة منذ طفولته إلى آخر أيام حياته الواعية، تراها عند الطفل وهو يحاول أن يفكك لعبته إلى أجزائها الصغيرة، ليتعرف إليها، وعند العالم الرياضي وهو يحلل المقادير الجبرية إلى مقادير بسيطة، وعالم الكيمياء وهو يحلل بعض المواد إلى مركباتها الأولية في معمله، كما تجدها عند اللغوي والأديب وهما يحللان نصاً أدبياً إلى مكوناته الفكرية والبلاغية والعاطفية والخيالية وغيرها، ويمارس هذه العملية الطبيب النفسي وهو يتابع مشكلة إنسانية ما، فيردها إلى أسبابها المفترضة والواقعية التي تعود به إلى طفولة الحالة في كثير من الأحيان.

أما التركيب فهو عملية عكسية يقوم بها المرء بعد أن يكون قد عرف المكونات وعلاقاتها، وكلما تكررت عمليتا التحليل والتركيب كانت المهارة والخبرة أمكن لدى الممارس. فالتحليل هو الانتقال من المركب إلى الجزئي، ومن المعقد إلى البسيط، والتركيب الانتقال من البسيط إلى المعقد أي من الجزئي إلى المركب. ولابد أن نتنبه في هذا الانتقال إلى العلاقات بين العناصر لتسهل عملية التركيب وتبنى على أسس سليمة(1).

أهميتهما:

حين نشرع في دراسة موضوع ما تكون لدينا فكرة شمولية عنه، ولكنها غير دقيقة ولا مبرهن عليها، وقد تكون مشوبة بكثير أو قليل من الآراء السابقة الصحيحة أو الخاطئة، فنلجأ إلى المصادر الموثقة،

---

(1) انظر: مقال عن المنهج لديكارت، ترجمة عثمان أمين، دارالمعارف، القاهرة ـ 1960 ـ الباب الثاني. والمنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم، دار المعارف، القاهرة، ص 279.

ونستخدم عقولنا وحواسنا لتفكيك هذا الموضوع إلى عناصره الأولية فتكون بذاتها وبعلاقاتها في دائرة معارفنا الشخصية، فإذا تمكنا من ذلك أمكننا التركيب بناء على معرفتنا لوظائف العناصر وعلاقاتها، ومعرفة مواصفات ونظام هذه العلاقات، وترتيب تركيبها، والأدوات اللازمة لذلك التركيب. ثم مراحل التركيب التي قد نسميها أجزاء، أو أبوابا، أو فصولا، وصولا إلى التركيب الكامل.

2 ـ الحدس:

الحدس لغة: الظن، والتخمين، والتوهم في معاني الكلام والأمور[1] وفي الاصطلاح يمكن تعريفه بالومضة العقلية المعتمدة على الملاحظة أو الإشراق الذهني، لتفسير ظاهرة، أو حل مشكلة، أو غير ذلك من العمليات العقلية، ويرى ديكارت أن المعرفة تكتسب عن طريق الحدس والاستنباط[2]، وقد عرفنا أن الاستنباط هو عملية استدلال لاستخراج النتائج من مصادرات مسلم بها أو بديهيات، أما الحدس فهو الذي يمدنا بالمبادئ الأولية و بالبديهيَّات ويضفي عليها اليقين[3].

فالحدس إذن «عملية عقلية ندرك فيها معرفة مَّا إدراكاً مباشراً بدون انتقال من مقدمات ودون واسطة»[4] وعلى ذلك فأهمية الحدس للبحث العلمي تكمن في أنه أساس الابتكار والتنبؤ والإلهام، لاعتماده على الخيال والحواس دون حاجة إلى البرهنة، وكثيرا ما يحتاج البحث إلى إشراقة

(1) ترتيب القاموس (مادة حدس)

(2) انظر: ديكارت: مقال عن المنهج، ترجمة أحمد أمين، الباب الثاني، ص.

(3) انظر: المنهج الرياضي بين المنطق والحدس ـ لمحمد السرياقوسي، دار الثقافة، القاهرة، 1982، ص 314 وما بعدها.

(4) أساليب البحث العلمي، ص 95.

الحدس في ابتكار الحلول أو إيجاد الطرق والتصورات المهمة في تكوين الأفكار الجديدة، إذ علاقة الحدس بالخيال تمده بآفاق واسعة للاختراع، وتصور الحلول، وإيجاد البدائل الممكنة عقلا.

3 ـ الاستدلال:

والاستدلال عملية تفكير يمكن من خلالها استنتاج دليل معين، أو قضية جديدة تكون هي النتيجة، استناداً إلى قضية أو عدة قضايا تسمى مقدمات، بحيث تنبع النتيجة منطقيا من المقدمات[1]. والبرهان هو مجموعة من الأدلة أو الحجج الصادقة، فهو عملية استدلال تهدف إلى بيان صدق أو كذب فكرة ما، وتسمى الفكرة التي يراد البرهنة عليها قضية أو أطروحة.

وبين الحدس والاستدلال تكامل ضروري، فحين يعطى الحدس بومضته الإلهامية كشفاً علمياً جديداً فإن الاستدلال يعمل على البرهنة المنطقية على هذا الكشف حتى يخرج من دائرة ذهن صاحبه إلى الآخرين في صورة منطقية مقبولة. وللاستدلال طرقه المعروفة في البرهنة التي منها الاستنباط والاستقراء.

أما أهمية الاستلال للباحث في مجالات العلوم الدينية والإنسانية فهي غير خافية لأن الدفاع عن آرائه ومناقشة آراء غيره يمر عبر سلسلة من القضايا المنطقية التي تحتاج إلى الحجة والبرهان، وصولا إلى الحقائق ودفاعاً عنها عند المناظرة أو المناقشة التي تقتضي ذلك.

4 ـ الملاحظة:

هي تلك النظرة المتأملة، أو المشاهدة الدقيقة للظاهرة عندما تبدو

---

(1) الموسوعة الفلسفية 22

قبل إدخال عنصر من عناصر التغيير عليها، لأن هذه العناصر الدخيلة تحولها إلى مرحلة التجربة التي يتدخل فيها المجرب لإثبات فرض أو نفيه.

والملاحظة تكون في الدراسة التجريبية والإنسانية، والأدبية، والحكم فيها يتدرج من الانطباعي، إلى الموضوعي بحسب توفر الأدلة والبراهين على الحكم الناشئ عنها.

5 ـ الخيال

كثرت التعريفات في مفهوم الخيال واشتقاقاته، ونريد منها هنا تلك المخيلة التي يوظفها العقل لتمثيل ما في ذاكرته من صور عن الحوادث والأشياء بعد اختفائها، أو يصوره من أحداث وأشياء لم يكن لها وجود فعلي، فهو يمنح من الواقع حينا ومن زاده المتوهم حينا آخر.

والخيال ضروري للباحث، فهو يرافقه منذ الوهلة الأولى حين يضع تصوراً عاماً لبحثه، فتبدو له صورة ذلك البحث في هيكلها العام والضبابي، نتيجة لقلة معلوماته عن موضوعه في تلك المرحلة المبكرة، ولكن الصورة المتخيلة للبحث تزداد وضوحا مع كل خطوة نحو التمام، فالخطة المبدئية صورة أولية عامة، والخطة التفصيلية صورة أكثر وضوحا لأنها اعتمدت على قراءات وتعديلات نحو الأفضل، فإذا بلغنا مرحلة الصياغة الأولى تبدت بعض الصعوبات، قد يحتاج الأمر معها إلى إعادة قراءة، أو إعادة صياغة حتى يكون عرض الصورة على أحسن الوجوه، وهو ما يعني أن تفاصيلها قد صارت بين أيدينا وليس مجرد شبح بعيد، والخيال في كل ذلك هو دليلنا إلى إخراج الصورة الأمثل.

6 ـ الشك العلمي والظن:

الشك هو حصول حالة من التردد في الذهن بين أمرين متساويين في

قوة الاحتمال، أما الظن فهو ما غلَّب فيه الفكر أمراً على آخر، فكان في نظره هو الراجح.

والشك منطلق مهم، يدفع الباحث إلى اليقين، عبر عمليات عقلية أو عملية موصلة إلى اليقين. وبذلك يكون الشك في هذه الحالة إيجابياً حافزاً إلى تلك إلى القيام بعملية بحثية تقود صاحبها إلى معرفة الحقيقة.

غير أن الشك الذي يجعل صاحبه في حيرة من أمره، دون أن يقوى على قيادته إلى الحقيقة، يعد مؤشرا سلبيا ويستحق أن نحذر منه، فهو لا يمنحنا القوة على البحث والتقصي، ولا يحفزنا على مراجعة المصادر والمراجع، وإنما يقف عند مرحلة الحيرة والتردد والكسل، وربما بنى على شكه هذا أحكاما موهومة، ومن ثَمَّ كانت تسمية هذا النوع من الشك بالشك المرضي الذي يضر صاحبه ولا يفيده، وقد يؤثر على عقيدته، وحماسته، وآرائه، وحياته، وعلاقاته.

الإجراءات البحثية

يظن بعض المبتدئين في رحلة البحث العلمي، أنه لا يعدو أن يكون جمع مادة علمية من مصادر مختلفة، والربط بينها بقال فلان وقال غيره، متعللين بالأمانة العلمية في عزو هذه الأقوال إلى أصحابها، والأمانة صفة يشكرون عليها، ولكنها ليست كل متطلبات البحث، ثم إنهم يظنون بذلك أنهم حققوا غرضاً من أغراض البحث العلمي، وهو جمع المتفرق في نقل أمين موثق. ولذلك تجد أبحاثهم نصوصاً متراصة في صفحات متتالية، لا تفصل بينها سوى تعليقات قليلة تأخذ طابع التمهيد حينا وطابع التعليق حينا آخر، ملخَّصا فيها معنى النص المقتبس، أو مشروحاً بما لا يزيد عن معناه وقد يسيء إلى أصله.

ولا شك أن عملا كهذا لا يزيد عن أن يكون إعداداً أولياً لمادة بحثية لم تهضم ولم تستثمر، وقد يكون فيه تشويه للنصوص وبتر لها عن سياقها، وهي طريقة تختلف في مفهومها وعرضها عن مقصد (جمع المتفرق) الذي هو غرض أساس من أغراض البحث العلمي، لأن ذلك الجمع يعني ترتيبه ومعالجته معالجة منهجية منطقية، في حين أن الجمع بالطريقة السابقة يفتقر إلى كثير من هذه المزايا.

ومن هنا وجب التعريف بالإجراءات البحثية التي ترتفع بمستوى البحث العلمي إلى مراتب أعلى في النضج، والإفادة، والإمتاع، ومن هذه الإجراءات:

1 ــ الاستنتاج:

وهو ما يستخرجه العقل من نتائج من خلال الدراسة، وفق مقدمات تكمن فيها عللها عن طريق مناهج التحليل المنطقي[1]، وبعبارة أخرى فإن ما يلاحظه الباحث من أفكار يمكنه البرهنة عليها وتفيده في قيام وجهة نظره، أو إبطال الرأي المخالف له تكون نتيجة جديرة بالتسجيل ما دامت في إطار البحث، بل إن البحث يكتسب قيمته بأهمية وكثرة ما فيه من نتائج جديدة تسهم في توسيع آفاق البحث العلمي، وتضيف إليه جديدا في أي صورة من صور الجدة المعروفة في أغراض البحث.

2 ــ والبرهنة:

وهي مجموع الأدلة والحجج التي يدافع بها الباحث عن وجهة نظره، ويرد بها وجهات النظر المعارضة، وسيأتي الحديث عن علاقة هذه البراهين بالتفكير السليم والتفكير المعيب، مع وقفة مع سوء البرهنة ونماذجها.

الشرح:

تعترض الباحث أمور تستوجب الشرح لاستغلاق معناها اللغوي أو محتواها الفكري، ومن مهام الباحث تيسير فهم نصه، ورفع اللبس عنه، وتفصيل مجمله، وتوضيح غامضِهِ، وهو جوانب تفسيرية مهمة أجملناها

---

(1) الموسوعة الفلسفية 25

تحت عنوان الشرح، مع ما تقتضيه من اهتمامات في ميداني المعجم اللغوي والدلالات المصطلحية، والتوضيحات الفكرية.

المقارنة والترجيح:

المقارنة بين الأمور تساعد في توضيحها، وإدراك أوجه التشابه والاختلاف بينها، وتعين المتلقي والمعالج على الترجيح بينها عند جلاء جوانبها المختلفة، ومن ثم كانت عاملا أساساً من عوامل البحث العلمي، ولكن بشرط أن أوجه واضحة للمقارنة حتى يقع البحث فيما يعرف بسوء المقارنة التي سنتناولها في أخطاء التفكير.

وكلما كانت المقارنة مبنية على أسس سليمة، تظهر فيها حجج الطرفين دون إجحاف أو محاباة، في حالة المقارنة بين الآراء المختلفة كان الترجيح مقنعاً وقائما على أساس سليم أيضا.

الاستشهاد:

يراد به ما يقتبسه الباحث من نصوص بقصد التمثيل للرأي الموافق أو المعارض، أو بقصد الاستدلال بها على أمر من الأمور، وربما سيق النص لتحليله والحصول منه على نتائج تتصل بالبحث. وفي كل الأحوال فإن الاستشهاد يخضع لشروط الاقتباس التي ستتحدث عنها في موضعها. ولكن الجدير بالذكر هنا هو أن النص المقتبس لا يَرِدُ في البحث إلا بعد فهمه وتوظيفه في السياق المنطقي للموضوع، بحيث يرتبط بما بعده وما قبله، وأنه يخضع للنقد والدراسة وفق العمليات البحثية التي نتناولها في هذا المبحث، فلا نقدمه إلى القارئ وكأنه الرأي القاطع الذي لا يقبل المساس، وإذا كان النص مقدساً فمعالجته تكون بالتفسير والتحليل

والاستنتاج في جو من الاحترام الذي لا يمنع من عرض احتمالات التفسير اللائقة بالمقام.

إن الباحث الجيد هو الذي يكون النص في خدمة أفكاره، وليس الباحث الذي يكون في خدمة النص بالاكتفاء بالكتابة والتوثيق والتمهيد الساذج القصير، وفي هذا الإطار يُحذَّر من النصوص المتلاصقة، والمبتورة، والغامضة، والشواهد المنقطعة عن السياق والنصوص المكررة لغير فائدة، والمشوهة في النقل أو التوظيف.

الترتيب:

ترتيب أفكار البحث من إجراءاته المهمة، حيث يُقدَّم ما يستحق التقديم ويُؤخر ما يستحق التأخير، يكون ذلك داخل الفقرة الواحدة كما يكون في البحث كله، إذ إن الخلل في الترتيب يقطع تسلسل الأفكار ويؤثر على منطقية الاستدلال، ويقلل من جمال العرض، ويشوش فكر القارئ ومتابعته للتسلسل الفكري، كما إن وجوده في شكل ظاهرة عامة يعرض سمعة الكاتب الفكرية للمساس والنقد.

التفصيل:

ترد في البحث أمور مجملة تستوجب التفصيل، لأن الغاية من العمل العلمي هو توضيح غير الواضح، ومن ثم كان على الباحث أن يستجيب لهذه المهمة البحثية فيفصل ما دام التفصيل ممكنا ومفيداً، ويتتبع الجزئيات التي يضيف تتبعها قيمة علمية للبحث.

التصحيح:

تصحيح الخطأ غرض من أغراض البحث قبل أن يكون عملية بحثية

إجرائية، والمراد هنا أن معالجة الموضوع قد تقتضي تصحيح خطأ وقع فيه كاتب سابق، ومن أصول المعالجة بيان طبيعة الخطأ دون مبالغة أو إهانة لصاحب الخطأ، فإذا وضح الخطأ تمام الوضوح جاءت الأدلة في نقضه متصاعدة حتى يكون في آخرها الحسم المسكت لكل رد.

التعليل:

وتعليل أفكار النص من أكثر عملياته البحثية أهمية وتداولا، وذلك لأن مشروعية أي فكرة تقوم للإجابة على(لماذا كانت هذه الفكرة؟ أو لماذا لم تكن؟) وعدم وضوح الإجابة يسيء إلى منطقية العرض ووضوح أفكاره، بل كثيراً من قضايا البحث هي في الواقع أجوبة عن أسئلة، وكثير من هذه الأسئلة ذو طابع تعليلي.

هذه أهم الإجراءات البحثية التي يحتاج الباحث إليها في مناقشة قضاياه، وغني عن القول أن اجتماع كلٍّ هذه الإجراءات لا يتأتى في فقرة واحدة، أو صفحة واحدة غالبا، فالمقام قد يقتضي وجود بعضها أو أكثرها في هذا الموضع أو ذاك، ومنطق البحث هو الذي يضع كل إجراء في المكان والزمان المناسبين له.

أخطاء التفكير

قد تتسرب إلى البحث أخطاءٌ ناتجة عن هفوات في طريقة البرهنة، أو عن سوء الربط بين الظواهر المدروسة، أو عن التناقض في التفكير أو عرض القضايا، أو عن الإسراف في الذاتية ومتابعة ميول النفس.

وقد أرجع «بيكون» أسباب الوقوع في الأخطاء إلى أربعة عوامل: منها الإنساني العام، والذاتي الخاص، والناجم عن سوء استعمال اللغة في التعبير عن المقصود، ومنها الناتج عن الخضوع إلى الآراء السائدة أو السابقة(1).

ونجمل فيما يلي بعضاً من تلك الأخطاء الشائعة في الكتابة والتفكير:

1 ـ التعميم:

ينتج التعميم عادة من تشابه الظواهر، أو من تسرع المرء في تعميم أحكامه بعد ملاحظة أمثلة جزئية لا تكفي لإصدار الأحكام العامة.

---

(1) انظر: Nvuy Orgauon الآلة الجديدة Bacon.

فالقول بأن كل الناس يحبون شيئاً معيناً أو يكرهونه مهما كان إقبالهم عليه أو نفورهم منه يعد ضرباً من الادعاءات التخمينية، التي لا تسلم من الاستثنائية، وهذه الاستثنائية قد تكون كفيلة بنقض الحكم أو تعديله ما لم تكن معدودة في حكم الشواذ، ويثبت ذلك بالطرق الإحصائية أو الاستقرائية، وإذا لم يخضع الحكم إلى مرجعية إحصائية، أو دليل مقنع كان القول فيه جلبة صوتية غير قائمة على سند منطقي، فالقول الذي لا يمر عبر العقل يُنسب إلى الفم، وهو موضع الصوت فقط، وإلى هذا المعنى أشار الله تعالى في التقليل من شأن الظاهرة الصوتية التي لا تبنى على أساس عقلي أو عملي، حين قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾.

ومن الألفاظ التي ينبغي في هذا الصدد أن نتعامل معها بحذر شديد في لغتنا العربية ألفاظ مثل: جميع، وكل وكافة، ومطلقاً، ودائماً وبعامة؛ وذلك لأنها تعطي تأكيدات شمولية قد لا يصدقها الواقع ولا تؤازرها الحقيقة.

وربما كان الحكم المتضمن لهذه الألفاظ صائباً أو قريباً من الصواب، مثل القول بأن «كل أفراد هذه الفئة يتصفون بكذا» ولكن ذلك يظل محض ادعاءٍ في موضع الشك حتى يقدم الباحث الأدلة التي تقنع المتلقي.

2 ـ التهوين:

يشترك هذا العيب مع سابقه في أنه لا يضع الأمور في حجمها الصحيح، فحين يُدخل الكاتب بالتعميم أموراً ربما كانت خارجة عن الموضوع، وقد يتغاضى بالتهوين عن جوانب يجب ألاَّ يغفلها وهو يصدر أحكامه.

ولكنه يقابل من أخطاء التفكير خطأ المبالغة والغلو أكثر من مقابلته للتعميم، فكما تقتضي المبالغة والغلو تضخيم الأشياء واجتناب الحقيقة في وصفها يقتضي التهوين تحقيرها أو الإفراط في تيسرها.

إن الكاتب الذي يقع في خطأ التهوين يتعامل سطحياً مع مشكلة تحتاج إلى التحليل وإمعان النظر قبل الوصول إلى استنتاج صحيح، كأن تقول مثلاً: «ليس علينا لضمان محو الأمية في البلاد العربية إلا أن نضاعف من علاوة التدريس». أو أن تقول: «إن حلَّ قضية فلسطين يكمن في توحيد فصائل المقاومة».

نعم إن الرفع من علاوة التدريس قد يكون حافزاً مشجعاً للبذل والعطاء من قبل المدرسين، وتوحيد فصائل المقاومة أمر ضروري ولكن مثل هذه القضايا الكبرى تحتاج إلى دراسات شاملة تساوي تعقيدها واتساع جوانبها، وتتطلب جهوداً متواصلة لتقديم اقتراحات متعددة لحلها.

ويتناقض التهوين مع الأخلاق حين نهوِّن من شأن الناس أو حين نبخس أفكارهم أو أشياءهم، وإلى هذا المعنى أشار الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 85].

3 ـ موافقة الهوى:

هو عيب خطير ينبغي أن يتفاداه الكاتب في تناوله لقضايا بحثه، إذ فيه تجتمع طائفة من المعوقات الهدامة لأي تفكير علمي، لعل أبرزها التعصب والانحياز إلى رأي دون التفكير في بنائه المنطقي، والميل إلى تحقيق فروض يتمنى المرء لو توصل إليها من خلال بحثه، وقد يعمد في سبيل ذلك إلى الاكتفاء بالأدلة الضعيفة والقاصرة، ويتجاهل غيرها من الأدلة القوية الواضحة.

وأبرز مخاطر هذا العيب افتقاره للموضوعية، وهي أساس معايير البحث العلمي وأوضح ملامح تعريفه؛ فَزَعْمُ اليهود بأنهم أحق بفلسطين لأنهم كانوا هناك وأسسوا ممالك يذكرها التاريخ. . . ودعوتهم ليهود العالم بالعودة إليها، من الأخطاء المفتقرة للموضوعية نتيجة الخضوع للأهواء.

إن القول بأنهم كانوا في فلسطين جعلهم يتجاهلون ما تؤكده مصادرهم التاريخية وكتبهم الدينية من وجود الكنعانيين فيها، وحكمها من قبل غيرهم فترات أطول من فترات حكمهم لها. والقول بأن لهم الحق في العودة جميعاً ينافي ناموس الحياة البشرية التي تقضي بحركة البشر من المناطق المزدحمة إلى مناطق الفراغ ولا تسمح بالعكس.

وقد كانت منطقة الشرق الأوسط أشبه بالرحم التي تدفع البشر إلى خارجه، فهل يجوز لشعب بلغ عشرات الملايين أن يعود إلى أرض مأهولة بالسكان لا تزيد مساحتها عن (27.000 كم^2) بحجة أن أجداده أقاموا فيها ممالك قبل ألفي عام؟ وذلك على حساب شعبها الذي عاش في تلك الأرض قبل تلك الممالك وبعدها. ولنا أن نتصور لو قبلنا بهذا المنطق عودة السلالات الإنكليزية من أمريكا وأستراليا وسواهما إلى الجزيرة البريطانية، . . . أتكفي تلك الجزيرة الصغير نسبياً، لهذه الأعداد التي تنتمي إليها والمنتشرة في كافة أنحاء العالم؟ وقس على ذلك الإسبان والبرتغاليين وغيرهم.

وهذا لو سلمنا أن اليهودية جنس واحد له خصائصه المميزة، وليست ديناً تنتمي إليه أجناس مختلفة، تجمع بين الفلاشي الأسود والأوروبي الأبيض والآسيوي الأسمر أو الأصفر.

وهكذا نلحظ أن موافقة الهوى تجاوزت كل هذه الآراء القوية والمعارضة لوجهة النظر المعروضة من قبل اليهود، وبذلك نرى أن هذا العيب من الأخطاء المركبة التي تجعل صاحبها يتجاهل أدلة واضحة ويدفع بأدلة ضعيفة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

4 ـ الخضوع للآراء السائدة:

قد تكون الآراء السائدة قضايا للنقاش فلا يصح اعتبارها ضمن المسلمات ولا يجوز للباحث أن يضعها موضع التسليم والاتفاق، ولذلك انتقد الله الذين يحتجون في اتباعهم للعقائد الفاسدة بأنهم وجدوا آباءهم عليها ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 170].

ويدخل في هذا النوع من عيوب التفكير الخضوع لكل ما اعتمد على شهرة أو قدم من الآراء أو الأشخاص دون الاعتماد على حججه وبراهينه، وربما دون علم بماهيته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 36]. غير أن هذا التحذير لا يعني نسف تلك الآراء أو التنكر للسابقين بقصد الانتصار للجديد مهما كانت طبيعته، بل يعني عرضها على ميزان النقد والتمحيص حتى يتبين وجه الصواب أو الخطأ فيها بالدليل المقنع. ويستتبع هذا التحذير تنبيهٌ إلى خطورة المخالفة للآراء السابقة من أجل الشهرة عن طريق المخالفة، وهو ما يقوم به ضعاف التفكير ومحبو الظهور السائرون مع المثل القائل «خالف تعرف».

5 ـ المقارنة الخاطئة:

المقارنة بين طرفين تستدعي تشابهاً في خصائصهما يكفي لعقد تلك

المقارنة، ومن الخطأ أن نعقد مقارنة بين أمرين مختلفين في الصفات والظروف لمجرد وجود علاقات واهية لا تساندها الحقائق العلمية، ومن المقارنات الخاطئة التي انتقدها الله تعالى في القرآن مقارنة الكافرين بين البيع والربا حين قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [سورة البقرة، الآية: 275] ولأهمية التركيز على المقارنة الخاطئة أبرز الله عقوبة القول ولم يظهر عقوبة الفعل نفسه، وإن كانت مفهومة ضمنا . .

وكثيراً ما يغفل الذين يعقدون المقارنات الخاطئة فروقاً جوهرية في موضوع المناقشة، ويركزون على عناصر مُشابهةٍ ثانوية، كأن يطالب أحد الشباب غير المؤهلين لدخول الجامعة بالدراسة فيها، بحجة أنه مواطن له ذات الحق في التعليم، ويملك الرغبة التي دفعت غيره لدخولها، وينسى أنه أهمل أهم عناصر المقارنة، وهو المؤهل العلمي الذي يتيح أو الدرجات التي تتيح له دخول هذا المرفق العلمي، وليس مجرد المواصلة . .

6 ـ سوء البرهنة:

يمكن أن يدخل في هذا العيب كثير من أخطاء التفكير، غير أن أقربها إليه هو انقطاع الصلة بين الدليل والموضوع، وسوق الأسباب الخاطئة والبراهين الضعيفة، أو غير الكافية، أو غير المناسبة أي الخارجة عن الموضوع المناقش. فالبرهان عمل عقلي، يتدرج فيه الفكر من شئ معلوم مسلم به إلى مجهول مترتب عليه، وأي خلل في العقل المدبر أو في مقدمات القضايا وترتيبها يؤثر على صحة نتائجها.

والباحث الذي يفقد القدرة على البرهنة السليمة يقلل من قيمة مناقشته للبحث، ويجعل عرضه سردياً خاليا من الذاتية الفكرية والحجج المقنعة، وهي أمور تجعل البحث سطحيا خاليا من العمق، و لا يؤدي غرضه الرئيس وهو تطوير المعارف الإنسانية وتوسيع آفاقها.

7 ـ المهاجمة الشخصية:

كثيراً ما يختلف متحاوران في قضية من القضايا ويحتد النقاش بينهما حتى يتناولا أو أحدهما شخص صاحبه فَيُعَرِّض بماضيه أو أخلاقه أو شكله مما لا علاقة له بموضوع النقاش، ويسمى هذا العيب بين أخطاء التفكير بالمهاجمة الشخصية.

وقد علمتنا آداب المناظرة أن ننصف المحاور، وأن نتخاطب معه بأدب جم يليق بنا، إن لم يكن لائقاً به، وفي القرآن الكريم الكثير من آداب الحوار المنصف، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة سبأ، الآية: 24] بل قضى أدب الحوار أن ينسب الله على لسان رسوله لفظ الإجرام إلى نفسه و لا يصم به محاوره، فقال: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة سبأ، الآية: 25].

8 ـ البديلان:

من قوانين التفكير المنطقي قانون يسمى الثالث المرفوع وصيغته «إما أن يكون الشيء أبيض أو لا أبيض» ولا ثالث لهما، ولا خلاف على هذا، غير أن البديلين المرفوضين في التفكير السليم هو القول بأن الشيء «إما أن يكون أبيض أو أسود»؛ ذلك أن في الطبيعة ألواناً كثيرة يمكن أن يكون عليها ذلك الشيء، كالأصفر والأحمر والأزرق والأخضر الخ. وخطأ استعمال البديلين شائع في حياتنا وهو يعود إلى ضيق الأفق، وعدم قدرة

العقل العاجز عن توسيع دائرة الاختيار في انتقاء البدائل الممكنة، وتقليب الأمر الواحد على وجوهه كلها حتى تتضح ملامحه من وجهات نظر مختلفة.

9 ـ الاحتجاج بغير الحجة:

قد تكون حجة الباحث أو المناقش معتمدة على آراء شخص ليس حجة في القضية المثارة وإن كان مبرزاً في غيرها، ويتصل بهذا الخطأ، وفي صورة أقل خطورة من سابقها أن يعتمد الباحث على مراجع ثانوية في البرهنة والاستشهاد ويغفل المصادر الأصلية، فالمرجع الثانوي ليس بالحجة القوية ولا المعتمدة في حال توفر المصدر الأصلي، وحتى عند تعذر وجوده يكون لزاما على الباحث أن يعرفنا بذلك، وبالجهد الذي بذله في الحصول عليه، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

10 ـ الأسباب الخاطئة:

من عوامل الوقوع في الأخطاء الفكرية أن تنسب الأمور إلى غير أسبابها، ثم تُبنى على ذلك أحكام خاطئة، أو تصرفات غير صحيحة، ويكثر ذلك عند التماس الأعذار الواهية لأخطاء لا نعترف بها، أو عند جهلنا بأسباب مرض ومحاولتنا لعلاج سطحي لبعض أعراضه، ومن ذلك أن يشعر إنسان بمرض معدي فيكوي جلده بالنار من غير نصيحة طبيب، وكالربط بين عواء الكلب وحدوث حالة وفاة في اليوم نفسه، وما ينتج عن ذلك من فزع وأوهام لا داعي لها، والأسباب الخاطئة في البحوث العلمية كثيرة، وأسبابها ترجع غالبا إلى التسرع في إعطاء الأحكام قبل استكمال جمع المادة العلمية، أو قبل تحليلها ومقارنتها واختبار الفروض التي بنيت عليها تلك الأحكام، إن وجود صورة كاملة للباحث عن بحثه بفضل الجهد

الذي بذله في جمع المادة، وعمق القراءة، وسلامة الفهم والتحليل والتركيب والترتيب المنطقة لأجزاء تلك الصورة هو الذي يمنح الكاتب فرصة الوصول إلى نتائج صحيحة، ويجنبه محاذير الأسباب الخاطئة التي لا تؤدي إلا إلى أخطاء مركبة.

11 ـ الاحتجاج بعمل الأكثرية:

إجماع الناس أو أكثرهم على أمر من الأمور، يعطيه دون شك قبولاً في النفوس، ذلك أن التقاء العقول على أمر واحد يعني أنه جدير بالاهتمام. غير أن فعل الناس قد يكون محض تقليد كما يحدث في التعليقات التي تنشر دون باعث عقلي واضح، ومن هنا كان على الباحث ألا يقبل الاحتجاج بمقولة: «كل الناس يفعل هذا» ما لم يثبت له صحة الموضوع بالأدلة والبراهين العقلية أو الحسية.

فالأغلبية قد تكون على خطأ، والتاريخ يثبت ذلك في أمثلة متعددة كان الرسول ﷺ يدعو إلى الحق في الأيام الأولى لبعثته وليس معه سوى نفر قليل من المؤمنين وكانت الأغلبية في موقع المعارضة، فهل كانت المعارضة محقة؟... وكم عانى العلماء من أمثال (جاليلو) في عصور الغرب الوسطى في سبيل توصيل أفكارهم إلى الأغلبية الخاضعة للنظريات السائدة حتى قدَّم بعضهم حياته ـ فيما يقال ـ بسبب أفكاره المخالفة لما في عقول السواد الأعظم؟ فهل كانت الأغلبية حينئذ على حق؟ ولكن ذلك لا يعني أن الأقلية على حق دائما، وإن كانت من النخبة المثقفة، فالنخب كثيراً ما حولت حياة الناس إلى جحيم، حين أُتيح لها أن تتقلد أمور الأغلبية، بسبب آراء تصر عليها ولا تقبل غيرها.

والحل الذي يقدمه لنا البحث العلمي يكمن في العودة إلى العقل

والمنطق وفق مسلمات يؤمن بها الجميع، ومناظرات حكيمة، تنأى عن الجدال، وتطلب الحقيقة حيثما حلَّت، وهو ما يدعو إليه الدين الإسلامي أيضا في آيات كثيرة، منها ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فإذا أصر كل طرف على رأيه، فالحل في التعايش المنصف الذي ورد في الآية الكريمة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ومع هذا التعايش الآمن يمكن أن يزيد التواصل والحوار حتى يظهر الله الحقيقة، فيهتدي من اهتدى عن بينة ويضل من ضل عن بين.

والخلاصة أن عمل الأكثرية ليس مرجعية علمية، ولكنها في عالم السياسة قد تكون مرجعية ناتجة عن تعذر الوصول إلى الحسم السريع بالطريق الأسلم، وهذا ليس مجالنا هنا.

12 ـ اللف والدوران:

البحث العلمي يستدعي وضوح الفكرة في الذهن، والتدرج في بسطها للمتلقي تدرجاً منطقياً، يقصد مباشرة إلى خطوة جديدة في كل جملة من جمل الموضوع، أما سرد المقدمات الإنشائية الجوفاء، أو تكرار المعاني السابقة بأساليب مختلفة، فهو عيب ثقيل يقع فيه الضعفاء والذين لم تختمر في أذهانهم صورة الموضوع الذي يعالجونه.

ويكثر ذلك في أجوبة الطلاب ذوي الاستعداد المحدود لاجتياز الامتحانات أو لكتابة الأبحاث... وهذا فيما يلي مثال حيٌّ من جواب أحدهم في امتحان مادة الأدب الأندلسي: ـ «الشاعر يوسف الرمادي هو من أفضل شعراء الأندلس الذين عاشوا في قرطبة، وقد عاش أيامه في قرطبة فكان من أفضل الشعراء فيها.... الخ».

فهو كما ترى أعاد وصف الرمادي بالشاعر في ثلاثة مواضع، وذكر

حياته بقرطبة في موضعين، وكونه أفضل الشعراء ـ وهو محل نظر ـ في جملتين، فأساء بذلك إلى أسلوبه بعيب يمكن أن نطلق عليه مصطلح «اللف والدوران».

وأخيراً فإن التفكير المنطقي يعتمد على ثلاثة عناصر أساسية هي العنصر الفطري، وفيه يتفاضل البشر بحسب ما جبلوا عليه من سمات خلُقِية. . والعنصر الانفعالي الذي يتطلب اختيار الظروف المناسبة للتفكير السليم، بما في ذلك هدوء النفس وخلوها من الاضطراب والتشويش والعجلة والقلق، وغير ذلك من المشاغل والمشاكل التي تشتت التفكير، وتحول دون الوصول إلى الحكم الصائب المتزن. ولقد أصاب فقهاء الشريعة الإسلامية حين منعوا القاضي من إصدار أحكامه في حالات الاضطراب النفسي والغضب. أما العنصر الثالث فهو العنصر العلمي الذي يصقل المواهب الفطرية بالمعارف وتجارب الآخرين ونتائج عقولهم.

وليجعل البحث المنصف هدفه الحقيقة في طلب الوسائل والنتائج، دون الخضوع إلى ميل نفسي، أو كسل عقلي أو جسدي، أو بخل بإمكانات تقربه من الحقيقة وتيسر له السبيل إليها، وليعلم أنها الشيء الوحيد الذي حين نملكه لا يمكن انتزاعه بالمال ولا بالقوة لأن محلها من العقل مكين، فلو نازعك أحد في حقيقة تؤمن بها، ثم أعطاك مال الدنيا على أن تنزع هذا الإيمان من قلبك، فهل بإمكانك أن تفعل؟ نعم قد تردد وراءه ما يريد إذا كنت من أهل الطمع، ولكن الحقيقة مستقرة في أعماقك لم تنقص منها تلك الأموال شيئا. وقل مثل ذلك عمن يفرض عليك مخالفة تلك الحقيقة بالسلاح قد تستجيب له بتأثير الخوف وتردد خلفه كلَّ ما أراد منك ترديده، ولكن هل استطاع بسلاحه أن يصل إلى معقل الحقيقة

التي تؤمن بها؟ وذلك لأن الحقيقة فكرة قوية ولا تهزم الفكرة إلا فكرة أقوى منها.

نص مترجم

في تحليل أخطاء التفكير(*)(1)

سبقت الإشارة إلى أخطاء التفكير في مبحث التفكير العلمي والبرهنة، وهذا نص حاولت ترجمته عن كتاب خطوات في الإنشاء للين كويتمان وجيرولد نولدنمان، وهو يعالج أخطاء البرهنة وعيوب التفكير في أمثلة وتحليلات رأيت أنها جديرة بالقراءة والتأمل(2):

«حين تقرأ الفقرات التالية ضع انتباها تاماً للبرهنة المستعملة لبناء المناقشة التي تحتويها، وهي أخطاء ظاهرة، لأن الهدف التعليمي يقتضي أن تكون على درجة كافية من الوضوح:

المثـال الأول

[الطلاب الجامعيون يجب أن يركزوا على قضاء أوقات سعيدة، ويجب ألا يعتنوا بالنمو الفكري، فالإفراط في المذاكرة قد يقود إلى نتائج خطيرة.

في الأسبوع الماضي فقط قاسى (زانك) أو من يُسمى بدودة الكتب في المدرسة من انهيار عصبي، بعد امتحانه النهائي في مادة الكيمياء

(*) سيجد القارئ ارتباطاً واضحاً بين هذا النص وما سبق تقديمه من أخطاء التفكير، وكنت قد درست هذا النص إبان دراسة اللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة (1980) وتأثرت كثيراً بما درسته في هذا الصدد، ولعل ذلك من أسباب إدخال هذا المبحث في كتاب ورقات في البحث والكتابة.

(1) Steps in composition pp: 227 - 231.

(2) قُدم المثال 2 على المثال 1 خلافا للأصل.

مباشرة، ولكن(سامي)، الظهير الوسيم ضمن فريق كرة القدم الذي لم يفتح كتاباً قط، مُقدرٌ له النجاح، لأنه محبوب جداً]

(التحليل)

ارتكب كاتب هذه المناقشة أول أخطائه المنطقية عندما أشار إلى وجود نوعين فقط من الطلاب: طالب يقضي كلَّ وقته في المذاكرة، وآخر في اللهو، في حين أن هناك طرقا أخرى من العمل لم تُذكر، فعلى سبيل المثال يمكن للطالب أن يقضي جزءا من وقته في القراءة، ويقضي الجزء الآخر في الاجتماعيات، فالموقف ليس (أبيض وأسود) فقط كما يريد الكاتب أن نعتقد بمجادلته ذات البديلين (إما ـ وإما).

وتبرهن قصة (زانك) على أن الكاتب ليس واضح التفكير، فإنه من المشكوك فيه جدا أن تكون الدراسة هي السبب الوحيد في الانهيار العصبي الذي أصاب ذلك الطالب، ولو أن الكاتب تمعن وتحرَّى عن حالته لوجد من المحتمل جدا أن (زانك) يعاني من بعض المشاكل الشخصية الخطيرة.. وهكذا فقد استعمل الكاتب (السبب الخاطئ) لبرهنة المناقشة.

وتوضع حالة سامي جانبا تحت الاختبار لأن الكاتب لم يزودنا بـ (الدليل المناسب) ليثبت أن لاعب الكرة سوف ينجح. وحقيقة أن (سامي) محبوب لا تعني بكل تأكيد أنه سيكون ناجحا، فالبينة هنا (خارجة عن الموضوع) أي أن الحجة التي تفتقد العلاقة المنطقية بالعنوان يجب ألا تُستعمل لتأييد المناقشة.

المثـال الثاني

[أنا بدون تحفظ لست متفقا مع اقتراح السيد (س) لقيام تجنيد

عسكري عام، يتضح غباء هذه الفكرة عندما نأخذ في الحسبان أن هذا السيد قد طلق زوجته ثلاث مرات، وهو الآن يُقاضَى من قِبل زوجته بشأن دفعات نفقات زوجية متأخرة.

بالإضافة إلى ذلك، فإن أعداءنا.. يستخدمون نظام التجنيد العسكري، مما يجعلني أتساءل إذا ما كان للسيد (س) علاقة بهؤلاء الأعداء.

وعوضا عن تجنيد الشباب الأبرياء يجب على الدولة أن ترسل كلَّ القتلة المدانين للحرب في معاركنا. ومع كل ذلك فإن هؤلاء المجرمين يحبون أن يقتلوا الناس، إن هذا هو الشيء الديمقراطي في وطن الحرية وأرض الشجعان].

(التحليل)

يبدو أن لِكاتب هذه الفقرة بعض المشاعر القوية حول موضوعه، ولكن لسوء حظه لم يعط البراهين التي تؤيد مناقشته، التي تهدف إلى أن التجنيد الإجباري فكرة سيئة.

إن المشاكل الزوجية للسيد (س) ربما تشير إلى أنه ليس بالرجل الناجح في زواجه، ولكن ليس لهذه المشاكل ـ بكل تأكيد ـ علاقة بقيمة فكرة الرجل حول التجنيد، وبدل مناقشة الخطة وبحثها نجد الكاتب يفضل مهاجمة الرجل الذي اقترحها (مهاجمة شخصية).

ثم يجادل الكاتب بأن الخطة ليست جيدة لأن عدوَّنا يستعملها.. إننا على خلاف فكري مع أعدائنا، ولكن ذلك لا يعني أن كلَّ شيء يفعلونه سيئ ومقيت، ولذا فإن خطأ الكاتب هنا هو محاولته هدمَ الفكرة بما يُسمى (الذنب بالمشاركة).

والاقتراح المعاكس لن ينجح تحت الاختبار لأنه على الرغم من أن بعض القتلة قد يستمتعون بارتكاب جرائمهم؛ فإن مما يبعث على السخرية والازدراء أن نفترض أن تلك حقيقة كلَّ القتلة.. وهكذا فمن (التعميم) أن يقال إن كل القتلة المدانين يحبون أن يقتلوا الناس.

وحتى لو أن كلَّ القتلة يُحبون أن يقتلوا، فإن كثيرا من الأسئلة لم تؤخذ في الاعتبار عند صياغة هذا الاقتراح الجديد، .. فهل يوثق بهؤلاء القتلة؟ ثم ألا توجد حجة أخلاقية ضد مثل هذه الخطة؟

إذا تعاملت مع مشكلة معقدة، فإنك تحتاج إلى تحليل موضوعك واختباره من عدة جوانب ووجهات نظر قبل الوصول إلى أية قرارات.. إن الكاتب الذي ينشئ فكرة مبنية على أساس مشاعره الشخصية فحسب يقع فريسة (التبسيط المفرط) لحله أو المبالغة في التهوين.

وينهي الكاتب مناقشته بربط اقتراحه ربطا محكما بكلمات: الديمقراطية، والحرية والشجاعة، تلك الكلمات التي تحمل مضامين حسنة في نفوس البشر. وبنفس الغرض في ذهنه يعتبر الكاتب خطة السيد (س) ذات علاقة بالأعداء، تلك العبارة التي تحمل إيحاءات سلبية في النفوس.. وهكذا فإنه يحاول (تغذية تعصبنا) بهذا الأسلوب.

المثـال الثالث

[من المؤكد أن تدخين السجائر ليس ضارا بالصحة؛ فقد بدأ جدي التدخين عندما كان عمره أحد عشر عاما، وعاش حتى الخامسة والتسعين من عمره. وعمي (ج) الذي يدخن أربع علب يوميا، موفور الصحة في عامه الثاني والسبعين.

بالإضافة إلى ذلك فإن (م) اللاعب في فريق (البيسبول) يقول: إن سجائر (البوفو) تجعله يشعر بالارتياح، وتجدد نشاطه قبل المباراة الكبرى. هذا إلى جانب أن كلَّ الناس يدخنون السجائر، ولذلك فلا يمكن أن يكون تدخينها خاطئا.]

(التحليل)

كاتب هذه الفقرة يستعمل مثالين لمحاولة البرهنة على أن تدخين السجائر ليس ضارا بالصحة، هذان المثالان ربما يساعدان على توضيح المناقشة؛ ولكنهما برهانان (غير كافيين) لأنهما لا يُثبتان صحة موضوع الدعوى.. فرجلان لا يمثلان ملايين المدخنين، والبحث الدراسي القيم المستخدم للعينات على نطاق واسع تكون أدلته كافية لإقناع القارئ.

ثم إن الكاتب يرتكب خطأً عندما يورد نجم الكرة دليلاً إضافياً؛ فعندما يُقَدَّم [شخص ما] (حجةً) للإدلاء برأيه؛ يجب يقرر المرءُ ما إذا كان الشخص حجة في ذات الموضوع أو في موضوع غيره، ف(م) يمكن أن يعرف قدرا كبيرا حول (البيسبول) ولكنه لا يعرف عن تدخين السجائر أكثر من أي شخص آخر. وعلى المرء أن يتساءل أيضا عما إذا كان لدى الحجة أية بواعث مختلفة وراء الإدلاء بتصريحه، وفي هذه الحالة يؤيد لاعب (البيسبول) السجائر لأنه مأجور [من شركة السجائر بغرض الدعاية] وبناء على ذلك فهو (حجة غير مناسبة) بالتأكيد.

وينهي الكاتب مناقشته بمحاولة أخرى ضعيفة لإثبات وجهة نظره، فمع أن الكثير من الناس يدخنون؛ فإن الادعاء بأن كلَّ الناس يفعلون ذلك يعد (تعميما).. ومن الدقة أن يحدد العبارة بالقول: إن الكثير من الناس يتعاطى التدخين. وبالطريقة نفسها يجب أن تخفف الكلمات القوية، مثل:

(مطلقا، و دائما،) إلى (في بعض الأحيان، و غالبا) وإنه لمن المهم تحديد التعبيرات غير المحددة لتصبح أكثر دقة.

وحتى إذا كان كلُّ إنسان يتعاطى التدخين بالفعل فلا يُثبت ذلك أن الدخان غير ضار بالصحة، إذ قبل مائة وخمسين سنة كان الاعتقاد بين كثير من الناس أن الرق جيد[1]، ولكن ذلك لم يعنِ أنه كذلك، وهكذا فالمحاجة بأن (كل إنسان يفعل كذا) لا تُثبت أيَّ شيء، إذ حتى الأغلبية يمكن أن تكون على خطأ.

المثـال الرابع

[إذا كانت الأطباق الطائرة موجودة بالفعل، فهي يمكن أن تكون خطرا على مجتمعنا. وهكذا يجب أن نخشى هذه الأطباق إذا كانت هناك أشياء من هذا القبيل، لأنها يمكن أن تسبب ضرراً للناس على الأرض.

جارنا (ب) يدَّعي أنه لا يعتقد أن الأطباق الطائرة خطيرة، وفي الواقع لقد قال: إنه سوف يستمتع بالركوب في أطباق طائرة من كوكب إلى آخر، لأنه يحب ركوب الطائرات. وأنا شخصيا لا أعتقد أن الأطباق الطائرة خطيرة، لأنني لا أصدق بوجودها، وبعد كل ذلك لم أر أياً منها].

(التحليل)

يبدأ الكاتب بتقديم عبارة منطقية، مفادها أن الأطباق الطائرة يمكن أن تكون خطيرة، إذا كانت موجودة بالفعل، ولكنه بدل أن يحاول مباشرة إثبات عبارته نراه يستعمل كلمات جديدة فقط ليعيد الفكرة نفسها في

---

(1) هذا في غير الإسلام الذي ينص على أن تحرير الرقيق قربة جزاؤها الجنة ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾.

الجملة التالية.. وقد سُمِيَ هذا الخطأ بـ(العلل الدائرة) أو (اللف والدوران) لأنه يقود القارئ إلى دائرة رتيبة من الجمل المتشابهة المعاني.

كما أن (ب) مفكر غير منطقي؛ إذ عندما قارن ركوب الأطباق الطائرة بركوب الطائرة نسي أنه بالرغم من احتمال تشابه المركبتين بعض الشيء فمن المحتمل أن توجد بعض الفروق الكبيرة جدا بينهما. فالأشياء التي توضع للمقارنة يجب أن تكون متشابهة في كل الوجوه الرئيسة، أو أن النتيجة ستكون (مقارنة خاطئة).

وتوضع المناقشة جانبا تماما إذا نظرنا إلى العبارة الخاتمة، وهي أن الأطباق غير موجودة لأن الكاتب لم ير واحدة منها، فمن غير الصحيح أن شيئا ما لا يوجد لعدم (معرفتك الشخصية) به».

أدب الاختلاف الفكري

أدب الاختلاف الإيجابي مظهرٌ حضاريٌ عريق، لأنه يحترم عقول البشر، ويسمو بآدميتهم إلى مدارج الكمال، ، وقد اعتبر الإسلام اختلاف الآراء مصدرا من مصادر التشريع، وعنصرًا من عناصر إثراء الفكر، وإغناء العلم والثقافة، متى ما توفرت شروطه من طلب للحق بوسائل مشروعة، وغايات شريفة، ولذلك كثر التوجيه في القرآن الكريم إلى النظر، والتأمل، والتفكر، والتدبر، والتعقل، لأنها وسائل الاختلاف الإيجابي.

ولقد كان لجانبي الاختلاف أجر مستحق، فللمخطئ أجرٌ لا إثمٌ ولا وزر، وللمصيب أجران: أجر الإصابة وأجر الاجتهاد. ولما كان الاختلاف بين الناس لحكمة كان ما يؤدي إليه من التوسعة عليهم، والرفق بهم رحمة، وكان تنويع الحلول لمشاكلهم نعمة. .

ومن أدب الاختلاف احترام الطرف الآخر، بعدم مقاطعته، أو السخرية منه، أو احتقاره، وألا يُذهِبَ الاختلاف وُدًا، أو يخلق عداوة، أو ينبعث عن هوى وتعصب، وألاً يتحول الحوار إلى مهاجمة شخصية، أو رفع للأصوات، أو استفزاز للمحاور، ولذا شاعت في المجتمع الإسلامي

الأصيل آثار تدل على سمو النفس ورفعة القدر مثل قولهم: «رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأيُ غيري خطأ يحتمل الصواب» وقولهم: «الرجوع إلى الحق فضيلة» والمبدأ الأساس لخلق الحوار وأدب الاختلاف في الإسلام هو قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وما أشبهه من الآيات المحرضة على حسن المناظرة.

وليس الاختلاف الإيجابي ناتجا عن تشبث بالرأي، أو عصبية ممقوتة، أو إعجاب كلٍّ ذي رأي برأيه، ولكنه تعبير مؤدب عن رؤية أخرى تخالف وجهة النظر التي يراها المناظر، وهو اختلاف يستخدم آداب الحوار، ويتجنب أخطاء التفكير من تعميم، وتهوين، وسوء برهنة، ومغالطة، واحتجاج بغير حجة، وغيرها. كما يتجنب نابي القول والاستفزاز، والاستكبار.. إنه باختصار تعبير بريء يصف الزاوية التي يراها المناظر من جهته دون مبالغة أو تحقير، مع إعطاء كل طرف الحق في أن يصف الزاوية التي يراها، وأن يحاول التركيز في الاستماع إليه، وفهم مقاصده، ليضمن لنفسه رؤية أشمل، ولمحاوره إنصافاً أكثر.

آداب الاختلاف في البحث

ميدان البحث العلمي مجال واسع لاستعراض الآراء ومناقشتها، وإبداء الحجج المؤيدة والمعارضة، ومن ثمَّ كان لها آداب ينبغي الالتزام بها، لأن الهدف في البحث العلمي هو الوصول إلى الحقيقة وليس الانتصار للذات، ومن المكابرة غير اللائقة بالباحث أن يجد الحقيقة في غير جانبه، فيخفي أدلتها أو يتجاهلها، أو لا يعترف بها. وبذلك يمكن إيجاز آداب الخلاف في البحث العلمي فيما يأتي:

1 ـ الخضوع التام لقواعد الاقتباس الحرفي والاقتباس بالمعنى في الحجم والإحالة، كما اتفق عليها علماء البحث العلمي، لأنها تنصف صاحب النص، وتدل على أمانة الباحث وأخلاقه العلمية، وتفيد القارئ مرتين، الأولى: حين يدرك أمانة الباحث بذكر مصادر معلوماته، والأخرى حين يفيد من تلك المصادر في الاستزادة من مادتها في الموضوع المطروق أو غيره.

2 ـ ومن آداب الاختلاف في الاقتباس عدم قطع النص عن سياقه، بأن يكون مسبوقا أو ملحقا بتوضيح يجعل الاكتفاء بالنص المقتبس مخلاً

بالفكرة، ومن هذا الإخلال الأخذ بأنصاف الحقائق وهو أن ينقل الباحث معلومات صحيحة، ولكنها ناقصة، وهو أسلوب تتبعه بعض الصحف والإذاعات المغرضة، كما يستخدمه المغرضون من المستشرقين ومن على شاكلتهم، عند تعاملهم مع التراث الإسلامي، فالتراث كتاب مفتوح، يمكن للمنصف والمغرض أن يستخرج منه ما يناسب تفكيره ويحقق أغراضه، ولكنه في كل الأحوال ليس حجة على الإسلام ولا له حتى تقام الأدلة الأكيدة على صلة هذا الرأي التراثي بالدين الحنيف، من خلال أصوله المشهورة، أما الذين يأخذون آراء من كتب التراث الأدبي ليخلصوا إلى أدلة تُدين الإسلام والمسلمين فإنهم يخالفون آداب البحث وأصوله الأخلاقية.

3 ـ عدم حجب أدلة الخصم عند مناقشة موضوعها، أو عرضها عرضا مخلا ليسهل دحضها والاستخفاف بها، ويلجأ إلى هذا الأسلوب ذوي النوايا المغرضة، والفهم المنحرف لوظيفة البحث العلمي، فهو ميدان للتعاون على الوصول للحقيقة مهما كان مصدرها، وليس مطية لانتصار الآراء الشخصية والأهواء الخاصة، ولكن ذلك لا يعني عدم الدفاع عن القناعة الخاصة والمعتقدات الراسخة للباحث، بل ذلك من الأمور المتوقعة والواجبة في حقه، دون أن يقع خلال رده في أخطاء الفكر، ويخل بآداب البحث، ومنها تجاهل أدلة الخصم، وتشويهها، والتلبيس في الرد عليها.

ويمكننا أن نأخذ أبا حامد الغزالي مثالا للإنصاف العلمي للخصم، فهو قبل أن يردَّ على الفلاسفة، عرض مقاصدهم في كتاب سمَّاه (مقاصد الفلاسفة) لم يقصِّر خلاله في توضيح آراء الفلاسفة، ولم يقوِّلهم ما لم يقولوا، ولا أخفي أدلتهم المشهورة في بيان آرائهم،

وحين فعل ذلك حتى لم يترك على نفسه مأخذا شرع في دفع مقالتهم بما رآه صحيحا من الأدلة في كتابه (تهافت الفلاسفة).

4 ـ اتِّباع الأساليب العلمية في الردود، ومنها المعالجة الموضوعية باستخدام الاستنباط المنطقي، أو التجربة، أو الاستقراء، أو القياس والمقارنة، أو التوثيق والتحقيق، وغيرها من الوسائل الحيادية التي يقبل بها كل عقل سليم متى استوفت شروطها العلمية، وناقشت الأمور التي تقع في نطاقها.

5 ـ احترام صاحب الرأي المخالف، وذلك بعدم الاستخفاف به، أو مهاجمته شخصيا، فالفكرة لا تهزمها إلا فكرة أقوى منها، في الحجة والبرهان، وتبقى المهاجمة الشخصية دليل على تدني خلق الذي يلجأ إليها دون أن تقدم شيئا أو تؤخر في القيمة العلمية لمناقشة الموضوع.

آداب المناظرة

من العلوم الأصيلة التي كانت تُدرس في المساجد والمدارس العربية والإسلامية إلى عهد قريب علم آداب البحث والمناظرة، الذي يعنى بدراسة الأصول التي يقوم عليها الحوار بين المتخاصمين في الأمور العلمية والقضائية، وآدابها لا تختلف كثيرا عن آداب البحث السابقة، ولكننا نعرض ملخصا عنها هنا، بقصد العلم بها والمقارنة بينها وبين البحث الكتابي.

فالمناظرة لغة من النظر، ولكن المراد هنا هو النظر بالبصيرة، بقصد إظهار الصواب وإحقاق الحق، وفق قواعد منطقية تقود إليه. وعلى ذلك فالمناظرة أشرف من الجدل، لأنها تطلب الحقيقة، وتنتهي إلى الإلزام، وهو وصول المعلل أو المنظر إلى نقطة ضرورية القبول، أو مسلمة لا تقبل الرد من السائل أو المعارض. وربما انتهت المناظرة إلى عجز المعلل أو المنظِّر صاحب الدعوى عن إقامة الدليل على صحة دعواه، فيضطر إلى التسليم بوجاهة رأي المعارض، وهو ما يعرف في اصطلاح أهل هذا الفن بالإفحام.

أما الجدل عندهم فهو الدفاع على وجهة نظر المتكلم بهدف المحافظة عليها، وهدم فكرة الخصم، دون حرص على طلب الحقيقة في أيٍّ يد كانت، وذلك فارق جوهري، يجعل من آداب البحث مطلبا شريفا يقصر عنه الجدل.

وقد عرَّف بعض العلماء المسلمين علم المناظرة فكان منهم القاضي فكري الذي قال إنه: «صناعة نظرية يستقي منها الإنسان كيفية المناظرة وشرائطها، صيانة له عن الخبط في البحث، وإلزاماً للخصم وإفحامه»[1] ومنهم إسماعيل الكلنبوي الذي قال: «إنها مدافعة الكلام ليظهر الحق»[2]، وعرَّف هذا العلم طاش كبري زادة بقوله: «هو علم باحث عن أحوال المتخاصمين، ليكون ترتيب البحث بينهما على وجه الصواب، حتى يظهر الحق بينهما»[3].

ولهذا العلم آداب تنبغي مراعاتها، وأصول غير منحازة لا يجوز تجاوزها، لأنها من المعايير المتفق عليها، والمبادئ المسلم بها، ولأن الحوار بدونها سيبدو حواراً غير قابل للحسم، نتيجة لعدم وجود أسس مرجعية لحسمه وقبول نتائجه، فمن هذه الآداب:

أولا: تجنب الإيجاز المخل، لأنه يحول دون الفهم الموصل للحقيقة، فيؤثر على الهدف الأساس من المناظرة.

ثانيا: تجنب الإطناب المؤدي إلى الملل وسآمة البحث، وقد يؤدي

---

(1) دستور العلماء لعبد النبي الأحمد فكري 1 / 21 ط حيدر آباد الدكن.

(2) الآداب في المناظرة 4 ط القاهرة 1284

(3) مفتاح السعادة 2/ 599.2.

إلى تشتيت الأفكار، والتأثير في تسلسلها، وضياع الوقت المخصص للطرفين للوصول إلى الحقيقة من أقصر السبل الممكنة.

ثالثا: ترك الألفاظ الغامضة، والغريبة، لما تؤدي إليه من صعوبة في الفهم، وعدم الوضوح في الأفكار الذي هو مطلب أساس من مطالب المناظرة، ويستتبع ذلك هجر الألفاظ غير الدقيقة، والاحتمالية، وغيرها من الألفاظ التي تدفع إلى التردد في فهم المعنى المراد.

رابعا: تجنب استعمال الألفاظ المجملة والمطلقة بلا تقييد يوضح المراد منها، ومثلها المصطلحات المبهمة، والتراكيب غير الدالة، ويجوز في كل هذه الأحوال للخصم أن يستفسر، ويطلب الإعادة، إذا كان غير قاصد لتفويت غرض المناظرة، وكان لاستفساره وطلبه الإعادة ما يجعله مشروعا.

خامسا: نبذ التدخل في كلام المناظر قبل توضيح مراده، لئلا يقطع خيط أفكاره، فيقع الفساد في فهم السامع، أو عرض المتكلم، أو فيهما معا، مما يؤدي إلى فساد المناظرة، وعدم تحقق الغرض منها.

سادسا: تجنب الاستطراد، وهو أن يتناول أحدُ طرفي المناظرة قضايا لا دخل لها في موضوع المناظرة، لما في ذلك من تشتيت للأفكار، وتضليل في الوصول إلى الحقيقة المطلوبة من مجلس المناظرة.

سابعا: ومن تلك الآداب تجنب الضحك، أو الابتسام المراد به السخرية من الخصم، و الحط من شأنه، ومحاربته نفسيا، وتجنب الجلبة الصوتية ونثرة الحركات والإنذارات الاستفزازية التي يتستر بها ذوو الحجج

الضعيفة لإخفاء عجزهم عن مقارعة الحجة بالحجة وفي ذلك قال بعضهم:

مـا لـي إذا ألـزمـتُـهُ حـجـةً قـابلني بـالـضـحـك والقـهـقـهـهْ
إن كان ضحكُ المرء من فقههِ فالدُّبُ في الصحراء ما أفقههْ

ثامنا: وينبغي عدم عقد مناظرة بين غير المتكافئين في حرية الاستدلال والتعبير، بأن كان لأحدهما من المهابة والرتبة ما يجعل الآخر كليل الذهن، منكسر الحول في إثبات الحجة، فينعكس ذلك على طريقته في الاستدلال ضعفا، وعلى الحقيقة خفاءً.

تاسعا: ويقابل ذلك احتقار الخصم، والاستهانة بقدراته على الدفاع عن وجهة نظره، فينتج عن ذلك تقديم حجج واهية من المتكلم، ظناً منه أنها كافية لإلزام الخصم الحجة لهوانه في نظره، فيكون في ردِّ ذلك الخصم من القوة ما يسكت المترفع، ويبرهن على ضعف حجته، وإخفاقه في الدفاع عن فكرته، وهي الفكرة القوية لو أتيح لها من عنايته ببراهينه وعدم استخفافه بالخصم ما يساعد على إظهارها، وتسقط بذلك الحقيقة في مثل هذه المناظرة غير المتكافئة لأسباب خارجية ما كان لها أن تؤثر على سير المناظرة.

ولبعض علمائنا الليبيين عناية بعلم آداب البحث والمناظرة، نذكر منهم الشيخ محمد قاجة صاحب المخطوطات المتعددة، ومنها رسالة في هذا العلم، أصابها ما أصاب آثار هذا العالم الجليل من صعوبة في قراءة الخط. وللشيخ منصور أبو زبيدة عناية بهذا العلم أيضا ولا نعلم له فيه آثاراً مكتوبة.

أما من علمائنا المعاصرين فللدكتور فاتح زقلام مؤلَّف يتناول هذا العلم وآدابه ما يزال مخطوطا، وأحسبه منظومة رجزية لعناية هذا العالم

الجليل بالأراجيز في تأليف العلوم، وتوظيف قدرته الأدبية والعلمية في نظمها وشرحها، ومن ذلك أُرجوزته في العقائد.

كيف يمكن أن نفيد من آداب البحث والمناظرة في كتابة البحث؟

إن معظم هذه الآداب تصدق في حق الكاتب كما هي في حق المناظر، ومنها الاعتدال في التعبير بين الإيجاز المخل والإطناب الممل، واختيار الألفاظ بدقة ووضوح، تجنباً للغموض والضبابية، والأمانة والأخلاق العلمية في التعامل مع أفكار الآخرين، بحيث لا يجوز للكاتب بترها، كما لم يجز للمناظر مقاطعة المتحدث، ولا يجوز الاستخفاف بصاحب النص المستشهد به، كما لم يجز للمناظر السخرية من مناظره. ولا يجوز في الحالتين الاستطراد، والمهاجمة الشخصية، واللف والدوران، وغيرها من عيوب التفكير التي يرفضها البحث في الميدانين.

الفهم ونقد النص

ليس المراد هنا دراسة في تحليل النصوص وفهمها، فمجال ذلك غير هذا المقام، ولكننا نربط هذه الفقرة مع ما قبلها من آداب الاختلاف والمناظرة، لنصل إلى القول بضرورة فهم النص المقابل قبل تكوين صورة سلبية عن مصدره، وهو ما يجعل المعارضة مبنية على المنطق وليس عن الآراء السابقة، أو الدوافع النفسية والاجتماعية، إذ كثير من الآراء قد نسمعها ممن لا نميل إليهم ولكنها تبدو منطقية مقنعة، مع كثرة ما عندهم مما نرفضه ونستهجنه.

ويخيل إليك أحياناً أن ما تسمعه من أخبار أو تحليلات تدل على أن مخاطبك لا يفهم أو لا يحسن إدراك ما يقول، والسبب ليس دائماً كما تظن، فالفهم مرحلة متأخرة لعمليات سابقة أساسها طُرق تحصيل المعلومة، وأهداف موصِّلها، وكيفية التقاطها وتوصيلها، ففي كل خطوة من خطوات رحلتها إلى مخاطبك تتعرض المعلومة لمخاطر التغيير والتحريف بقصد أو بدونه، والآفات في ذلك أربعة على الأقل هي: الراوي، والأذن، والفهم، وأسلوب الأداء. ولو أردت التحقق من ذلك

فاجلس في حلقة من الناس، واهمس لجارك في أذنه بقصة، وليهمس بها إلى جاره، وهكذا حتى ينتهي الخبر إليك في آخر الحلقة، فستجد أن القصة قد نالها من التغيير شيء كثير نتيجة الآفات الأربعة المذكورة، إلا إذا حفظ كل عضو في سلسلة التوصيل النص حرفيا، وأداه كما سمعه، وكان هذا الراوي ثقة في التوصيل، وهذه الشروط وغيرها كانت أساسية في الأخذ بالرواية السمعية عند العلماء المسلمين الذين وضعوا الشروط الصارمة في هذا الشأن، وهذا التثبت يحتاج إلى وقت أطول بكثير من حال هذه الحلقة التي أنت فيها.

ولذا فليتدبر المرء قبل أن يحكم على ما يسمع، ومن يسمع، وليفكر ملياً قبل أن يكون أداة لنقل ما يسمع، وإن كان ما سمعه غريبا، أو مريبا، أو طريفاً مشوقاً، فهو أدعى إلى الشك في صناعته، لأن حرص الصانع على التأثير في مخاطبه بعناصر التشويق المختلفة يكون أكثر من حرصه على الحقيقة، إذ كثيراً ما تكون الحقيقة غير مثيرة بتفاصيلها للدهشة والانفعال، وليكن أول اختبارك للراوي بسؤاله عن الأسباب وراء الحدث، ففيها تبدو مقصدية القول، وقديماً قالوا إذا عُرف السبب بطل العجب، وقد يكون السبب حاجة في نفس القائل، أو مصلحة له في أداء الخبر على هذا النحو، أو غير ذلك.

وهذا ما جعل بعض المؤرخين يرفض أن يكون النص الشعري وثيقة تاريخية، لوضوح الذاتية في أساليب المبالغة والتشويق، ولإرادة التأثير في نية قائله، وتلك قضية أخرى نسوقها للمشابهة ولا نسلم بها كلَّ التسليم، وليس هنا مقام نقاشها.

وأوثق المصادر الجديرة بالنقل الكتاب، فهو أهم النوافذ الموثقة في

الحصول على المعلومة، وأيسرها في الرجوع إلى المصدر، ولا يعادله في ذلك غير ما تراه أمامك مباشرة فتصف منه ما رأيت، ولا تكمل الصورة من خيالك، فتلك بداية الأسطورة ونقطة الانحراف في نقل الخبر، وهو ما يؤثر في الفهم الصحيح للأمور. «وليس راء كمن سمع» ولا محسوس كمُتَخَيَل.

وفي غفلة عن صحة موثوقية المصدر، وصحة النقل عنه، ودقة الفهم للنص تدخل علينا فهوم خاطئة، ومعلومات مشوشة، وربما كاذبة، وتُطبع تصرفاتنا بعيوبها، وعقولنا بمشاكلها، ويصبح الرجل المحترم مصدراً للكذب، ومحلا للشك، أو متهماً بسوء الفهم والغفلة. فمحاولة الحصول على المعلومة الصحيحة تبدأ من العناء الذي يلاقيه المرء في الكشف عن موثوقية مصدرها، وأجدر بمن لا يستطيع ذلك أن يصمت، ولا يُنقل عنه في ذلك الشأن سلب أو إيجاب، فالمشكلة ليست في أننا لا نفهم ولكن في أننا لا نحاول أن نفهم، ونكتفي بالنقل، ونقنع بما ينقل إلينا كيف ما كان، وأحياناً نضع العهدة على الراوي، وقد نتحمل عهدته في رغبة لإثبات الذات بأي وسيلة.

وبعد الاتصال بالمصدر الموثوق يأتي دور نقد الخبر، الذي نحتاج إلى فهمه وتحليله وتمحيصه شكلا وموضوعا، ولا بأس في هذه المرحلة بالشك العلمي في صحة الخبر، وفي صحة معناه المتداول، لأن مثل هذا الشك في المعلومات السابقة يسوق إلى التثبت و امتحان تلك المعلومات، ونقدها داخلياً وخارجياً، حتى يثبت إلى جانب صحة مصدر النص صحة دلالته على المعنى المراد، وفرق بين الشك العلمي والشك المرضي الذي لا يقبل أي معلومة ولا يحاول التثبت منها.

ويقتضي نقد الخبر، تحليله لغوياً لإظهار كل الدلالات والاحتمالات الممكنة، وترجيح ما يثبت للباحث رجحانه منها، ويشمل ذلك التنبه إلى معرفة مصطلحات صاحب النص، ومعجم عصره ولغة تخصصه، ومصطلحاتها الخاصة، كما يقتضي معرفة منهج صاحب النص، وأسلوبه في التفكير والتعبير، ثم متابعة السياق العام للنص ومراجعة اقتضائه لهذا المفهوم أو ذاك، ومقارنة المواقف والآراء المتشابهة لصاحب النص، من خلال أمكنة مختلفة في نصه أو من خلال نصوص أخرى له في مكان آخر، ويقتضي نقد النص مقارنته بنصوص أخرى لمؤلفين آخرين يشتركون معه في المضمون أو في المصادر. سواء كانوا ممن تأثروا به أو تأثر بهم، أو كانت العلاقة مجرد مشابهة في الموضوع لم يثبت معها التأثير والتأثر.

والخلاصة أن نقد الخبر يستدعي التثبت من صحة الرواية، ونسبة الخبر إلى صاحبه، ثم من صحة معنى النص ووضوح دلالاته، وصدق براهينه وأفكاره، بحيث يمكن الحكم عليه أو له، والاستنتاج منه والاعتماد عليه، أو إهماله واستنقاصه، بناء على علم ونقد صحيحين وبعيداً عن الهوى في الرفض والقبول.

دوافع البحث العلمي

يندفع الباحث إلى الكتابة ببواعث مادية ومعنوية مختلفة، وكثيراً ما يكتب المؤلفون في مقدماتهم شيئاً عن تلك البواعث التي تدفعهم إلى الكتابة. فمنهم من كان عمله استجابة لدعوة من إنسان يصعب رفض دعوته، ومن يستجيب لدوافع دينية رجاء ثواب الله وجزائه، أو يهدف إلى تحقيق حاجات مادية، من مال أو جاه، أو شهرة، أو جائزة، أو درجة علمية، أو وظيفية أعلى أو غير ذلك، وربما كان الهدف مواجهة مشكلة ما، أو تفسيراً لمسألة غامضة تمثل تحدياً ما للكاتب أو مجتمعه، وعلى ذلك فإن الدافع قد يكون ذاتياً خاصاً أو وطنياً أو دينياً أو إنسانياً عاماً.

ولم يغفل علماؤنا المسلمون عن طبيعة هذه الدوافع على اختلافها، فأشاروا إليها بعامة في مواضع، وخصصوا ما يتعلق منها بأعمالهم في مقدمات كتبهم.

ومن طرائف ما لهم في ذلك نص كتبه أبو البركات البلفيقي فيما سماه بالمحركات على الكتابة حيث قال: «وهذه الأعمال لا ينشط إليها إلاَّ المحركات التي هي مفقودة عندي»

إحداها: «طلبة مجتمعون متعطشون إلى ما عندي متشوقون غاية التشوق» وفي هذا الدافع نلمس حافز السعادة بتلبية حاجة الآخرين.

وثانيها: «طلب رئاسة على هذا» وهو دافع ذاتي قوامه طلب الجاه والمكانة الاجتماعية السامية.

وثالثها: «سلطان يملأ من يظهر مثل هذا على يده غبطة» ولعل ذلك هو الدافع المادي.

ورابعها: «نية خالصة لوجه الله تعالى في الإفادة» وهذا هو الدافع الديني.

وخامسها: «قصد بقاء الذكر» وهي رغبة إنسانية في البقاء وعلو الصيت، وخلود الاسم، أو ما يسمونه بالعمل من أجل التاريخ.

وسادسها: «الشفقة على شيء ابتدئ وسعى في تحصيل مبادئه أن يضيع»[1] وهي الرغبة في الكمال، ومخافة النقص والنقد.

ويطلعنا ياقوت الحموي في مقدمة معجم البلدان على دافع ديني وآخر نفسي، فيقول: «لم أقصد بتأليفه، وأحمل نفسي لتصنيفه، لهواً ولا لعباً، ولا رغبة حثتني إليه ولا رهباً، ولا حنيناً استفزني إلى وطن، ولا طرباً حفزني إلى ذي ودٍّ وسكن، ولكن رأيت التصدي له واجباً والانتداب له مع القدرة عليه فرضاً لازباً، وقضى عليه الكتاب العزيز الكريم»[2]. . .

وقد كان له مع هذا الدافع الديني القوي دافع آخر نفسي، وذلك أنه

(1) انظر النص بتمامه في الاحاطة، 2/ 149.

(2) معجم البلدان، 7.

قال: (وكان أول البواعث لجمع هذا الكتاب أنني سئلت بمرو... عن «حُباشة» اسم موضع جاء في الحديث النبوي.. فقلت: أرى أنه حُباشة بضم الحاء.. فانبرى رجل من المحدثين وقال: إنما هو حَبَاشة بالفتح، وصمم على ذلك وكابر... فأردت قطع الاحتجاج بالنقل) فهذا الباعث نفسي هدفه الرد على المعترض والانتصار للحقيقة أو للذات.

على أن الباعث الأكثر دوراناً في المؤلفات الإسلامية الصرفة هو الباعث الديني، وكذلك كانت النية في الحصول على ثواب الله بادية حقيقة أو حكماً في كثير من تلك المؤلفات، ومن أمثلة ذلك أن ابن أبي جمرة طلب من ابن الحاج العبدري تأليفاً في تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع، ففكر في تأليف كتابه المعروف بالمدخل، واقفاً عند دواعي الإحجام عن التأليف وبواعث الإقدام عليه، وقال: «فامتنعت من ذلك خوفاً مما ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم في القوم الذين يمضغون ألسنتهم يوم القيامة، أنهم العلماء الذين لا يعملون بما يعلمون» ثم قال بعد أن ساق نصوصاً أخرى تحسب في دواعي الإحجام: «لكن عارضتني أحاديث أُخر لم يمكني الامتناع لأجلها، لأن ترك العمل معصية، وترك تبليغ العلم معصية أخرى، سيما إذا طلب مني، فارتكاب معصية واحدة أخف بالمرء من ارتكاب معصيتين بالضرورة القطعية»(1).

ثم يورد من النصوص ما يدعو إلى التبليغ والتأليف، ويرى أن ذلك متعين عليه من وجوه:

---

(1) المدخل، لابن الحاج، ص 4.

أولها: من قبل نفسه للتذكرة، **وثانيها**: من قبل طالبه حتى لا يدخل في حكم من سُئل عن علم فكتمه. **وثالثها**: احتمال أن يطلع على تأليفه شخص ويعمل به أو ببعضه فيدعو لمؤلفه بالتوفيق[1]. وهي كما رأينا بواعث دينية خالصة صادرة عن قلب مؤمن ورع.

ونخلص من ذلك إلى أن دوافع البحث العلمي هي:

1 ـ الدافع الديني والأخلاقي ويشمل: رجاء الله ـ القصد إلى الأعمال الصالحة وفي طليعتها العلم ـ الحرص على خدمة الدين من خلال العلم.

2 ـ الدافع الشخصي ويشمل: ـ الرغبة في مساعدة الآخرين ـ حب الاطلاع والتبليغ ـ طلب الرئاسة العلمية والمكانة الاجتماعية ـ الرغبة في الكمال.

3 ـ الدافع المادي، ويشمل سد الحاجة ـ الرغبة في تحسين الوضع الاقتصادي، ضمان مستقبل الباحث وأسرته ـ وغيرها من الأهداف المادية التي يشترك فيها مع غيره من العاملين في المجتمع.

الدافع الوطني، ويشمل الحماسة لخدمة الوطن وإظهاره بالمظهر اللائق به بين الأوطان، سداد حاجة من حاجات الوطن المتصلة بحقل تخصص الباحث.

4 ـ الدافع الإنساني، ويشمل المساهمة في الحضارة الإنسانية بما يسهم في تطويرها وحل مشاكل الإنسان ـ تخفيف المعاناة الإنسانية في مجال يمكن للباحث أن يقدم فيه شيئاً مفيداً، الاقتناع بدور العلم في

---

(1) المصدر نفسه، ص 5.

تطوير الإنسانية وتقدمها. هذا إلى جانب مشتملات أخرى داخل هذه الدوافع أو خارجها، فذلك مما لا يمكن إحصاؤه.

ونختم هذا المبحث بالقول إن دوافع البحث العلمي قد تكون متعددة في آن واحد، فيتحقق منها الغرض الديني، والوطني، والشخصي، والإنساني، ذلك أن العلم عمل صالح، وهو غاية مستهدفة لأمور الدنيا والآخرة.

صفات الباحث

ركّز علماؤنا القدامى على أربع صفات فيمن يؤخذ عنه العلم، وهي: العقل، والحيدة، والصدق، والإطلاع العلمي الواسع، وفي ذلك يقول الإمام مالك: لا يؤخذ العلم من أربعة: لا يؤخذ من سفيه، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس، وإن كان لا يتهم على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يؤخذ من شيخ له فضلُ صلاحٍ وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به»[1] وزاد بعضهم صفات التقوى والإتقان والأمانة[2] والذكاء والعدالة والفضيلة[3].

ولا تختلف الصفات التي وضعها العلماء المعاصرون كثيراً عن الصفات التي وضعها علماؤنا المسلمون في الجوانب الأخلاقية بخاصة،

---

(1) ترتيب المدارك، 1/ 123.

(2) انظر الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر، ص 16.

(3) انظر: فضل المقال لابن رشد، ص 28، وانظر مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص 121.

فهي كما سنرى تدور في فلكها أو تشابهها، وقد تزيد عنها بشروط فنية تتعلق بطبيعة الأهلية العلمية في جانبها العملي والمادي، كتوفر الباحث على لغات أجنبية، أو وسائل عصرية لتيسير البحث، فمن صفات الباحث في هذا المجال.

1 ـ القدرة على البحث والإبداع:

يتصف الباحث القدرة على البحث حين يمتلك وسائله العقلية والمعرفية ومهاراته الفنية، ويكون الإبداع في مرحلة تالية عمادها كثرة التجارب الناجحة والمخفقة، وصولا إلى خبرة معترف بها على صعيد المتخصصين والنقاد في مجاله، وبذلك يكتسب ملكة تجعله قادراً على كل العمليات الفكرية والإجراءات البحثية بمهارة، وهو ما يمنح العلم إضافة حقيقة بما يكتبه مثل هذا الباحث.

ولهذه القدرة صلة بكثرة وانتقائية الإطلاع، وبسعة الخيال، ولها جانب فطري، وجانب مكتسب، ففي جانبها الفطري نجد العقل الذكي، والذاكرة المسعفة والقدرة على الملاحظة، وعمق التفكير والتركيز، وفي جانبها المكتسب يأتي دور العلوم المساعدة على التنظيم والتقييم، والتجربة الذاتية التي تعطي الخبرات الإيجابية، والاجتهاد والمثابرة وفق المنهج الصحيح في العمل، والتفكير السليم في الاستنتاج، والاقتداء بتجارب الباحثين الناجحين.

إن جمع المادة العلمية ونقلها إلى مؤلَّف جديد لا يكفي لتكوين بحث علمي جيد، وإنما المدار في ذلك على التحليل، والتفسير، والاستنباط، والتمثيل، والصياغة وغيرها من الإجراءات العلمية التي سبق ذكرها، وهي إمكانيات تحتاج إلى قدرة خاصة على البحث والإبداع.

ويستتبع ذلك أن يكون الباحث ذا عقل واعٍ واسع الأفق منظم العمل، ليستطيع التصرف بحكمة أمام الركام المعرفي الذي جمعه في مرحلة البحث السابقة.

2 ـ سعة الاطلاع:

هي صفة ضرورية للباحث، بها يجدد معلوماته ويعمقها، وبها يطور نفسه، ويرى وجوه الاختلاف في نظرات المؤلفين السابقين في القضية المثارة، ومن خلالها يكوِّن وجهة نظره المستقلة والناضجة.

وإذا كان الإطلاع ضرورياً على مختلف ضروب المعرفة، فإنه يتأكد فيما يخص موضوع البحث، و يحبذ في جانبين آخرين: ناحية اكتساب المهارات الفكرية والتجريبية اللازمة للبحث، وقد حدد بعض العلماء علوماً ومعارف لازمة لاكتساب تلك المهارات كالإحصاء والعلوم التقنية، وعلم النفس وغيرها، في بعض الفروع النظرية[1] أما الناحية الثانية فهي الاطلاع في مجال تكوين العقل الناقد، لأن العملية العلمية تتطلب القدرة على النقد، درساً للأمور واستقراء لجوانبها المختلفة ووجوهها المتباينة، حتى يستقر الباحث على حكم ثابت وصحيح منطلق من غربال النقد ومعاييره المنطقية، ومن المنطلقات العلمية المتفق عليها بين أهل الذكر، لا من فكرة سابقة أو من هوى متبع.

3 ـ عمق التفكير:

تجمع هذه الصفة مجموعة من النشاطات الذهنية كالذكاء والقدرة

---

(1) انظر: «العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث: لجون ديكنسون، ص 103 و113 وقد خصص من العلوم التي ينبغي للباحث أن يطلع عليها: العلوم والرياضيات والمنطق والإحصاء وتاريخ وفلسفة العلوم بالإضافة إلى صياغة الأفكار ومعالجة البيانات وفهم مدلولاتها.

على التحليل والنقد والملاحظة والتفسير وسرعة البديهة، ومثل هذه القدرات العقلية أساسية للباحث، لأنه بدونها يقف عاجزاً أمام العمليات العلمية التي يتصدى لها مهما أوتي من الرغبة والإخلاص والموضوعية، إذ فاقد الشيء لا يعطيه، ومن فقد القدرة على الملاحظة والمقارنة والتحليل وغيرها من العمليات العقلية يفقد القدرة على البحث، فإذا أراد أن يكتب فهو يكثر النقل من أقوال الآخرين، والاتكاء على جهودهم، بشكل مباشر صريح، أو بأساليب الخداع والسرقة المبطنة، وفي كل ذاك تجن على العلم، وادعاء لا طائل من ورائه.

ومن هذه الصفات ما هو موهبة إلهية يمنحها الله للإنسان بشكل فطري، فيستخدمها في شتى مجالات الحياة، حتى إذا وظفها في مجال العلم أنتجت بحوثاً ناضجة بما توفر له من قدرات موهوبة وعقل سليم.

ومنها ما هو مكتسب نتيجة القراءة والتحصيل العلمي ومجالسة العلماء، التي تطور من إمكانات الباحث بصورة دائمة، فتراه في بحوثه الأولية مبتدئاً محدود العطاء؛ حتى إذا قضى عمرا في البحث والاطلاع والمثابرة صار باحثاً كامل الأدوات واسع المعرفة، شمولي الإدراك، وذلك بما بذله من جهود متواصلة في التحصيل والتكوين.

وخلاصة الأمر أن القدرة على التفكير قوة عقلية ضرورية لاكتساب مهارات النقد والتحليل والملاحظة وسائر العمليات الذهنية والبحثية اللازمة لإنجاز العمل العلمي، ولذلك ارتبطت بالنقطة الأولى من صفات الباحث وهي القدرة على البحث والإبداع، ويمكن أن نلحق بها سرعة البديهة لأنها ناجمة عن عمق التفكير والقدرة على الملاحظة وردود الفعل السريعة تجاهها.

4 ـ القدرة على التعبير:

قد يكون الإنسان كثير الإطلاع عميق التفكير متوفراً على كثير من الصفات الخلقية والعلمية، ولكنه غير قادر على التعبير عن أفكاره بطلاقة وانسجام، وذلك قصور لا يغتفر في ميدان البحث العلمي، فلا يكفي أن تعلم أن أمام الناس خطراً إذا لم تكن قادراً على إبلاغهم بذلك الخطر قبل وقوعهم فيه، ووسيلة التبليغ هي قدرتك على التعبير. فالقدرة على التعبير في قوة، وجمال، ووضوح، هي وسيلة الباحث في عرض أفكاره على الآخرين، وهي السبيل إلى عرض المعاني التي يتطلبها الموضوع.

ولما كانت هذه القدرة على هذه الدرجة من الأهمية وجب السعي إلى تكوينها بمزيد من القراءة والكتابة، وبالمحاكاة لأساليب الممتازين من الكتاب حتى يتمكن الكاتب من تكوين مهارة تجعله يمتلك أسلوبه الخاص وملكته المتفردة.

5 ـ الأمانة العلمية:

وهي صفة خلقية لابد من توفرها في شخصية الباحث يقتضيها عمله الجليل الذي أتاح له أن يكون أحد الذين تولوا حمل الحقائق العلمية والمعارف الإنسانية عبر الأجيال، ومن الوفاء لهذه المهمة الشريفة أن يبتعد عن الانتحال والكذب والنفاق، وألاَّ يسيء إلى النصوص المنقولة بتحريفها أو بترها بتراً مخلا، أو نسبتها لغير أصحابها، أو ما إلى ذلك من نواحي الخيانة العلمية. وسنشير لها في مواطن أخرى من البحث تكون فيها ضرورية بشكل واضح، مثل أصول الاقتباس، والصياغة العلمية.

6 ـ التواضع:

التواضع سلوك إسلامي رفيع دليله النصوص القرآنية التي تنهى عن

التكبر وتهدي إلى التواضع ونبذ التعالي، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ وقوله سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ فالتكبر مرتبط بالفساد، ومذموم شرعاً لما فيه من تضخيم الذات، وما قد يترتب عليه من إخفاء للحقيقة، واستعانة بالباطل لتزيين الذات القاصرة، وتسويغ للاستعلاء على الآخرين. وفي المقابل فإن التواضع محمود شرعاً فقد جاء في الأثر (من تواضع لله رفعه) وذلك لأن النفس تواقة إلى الظهور، مجبولة على حب الذات والشد من أزرها، والمذموم هو المبالغة في ذلك، فمن ألجمها بلجام الدين والعقل فقد جنبها المحذور وهو مجاوزة حدودها في الأنانية والادعاء وتزكية الذات ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

والتواضع فضيلة أخلاقية يحسن أن يتحلى بها الإنسان في حياته بصفة عامة، ولكنها تتأكد في حق المنتسبين إلى حلبة العلم، لما تنطوي عليه من خلق كريم منصف وخال من التعالي والتعالم، معترف للآخرين بجهودهم وإسهاماتهم، وهو اعتراف لا يقلل من قيمة المعترِف بل يحفظ له هيبته مع حق المعترف له، ويدل على موضوعيته في تقييم الأمور ووضعها في نصابها، ويرفع من قيمة المتواضع درجة أخرى بسبب إنصافه وصفائه، ويدفعه للعمل بصمت وهدوء بعيدا عن الغرور والظهور والادعاء.

أما المتعالي فإنه يقلل من قيمة الآخرين وأعمالهم، ويقوده ذلك أحيانا إلى تجاهل أدلتهم القوية، وإلى التعامل معهم بأساليب التهكم والمغالطة، وربما بتر نصوصهم أو شوهها، أو حمَّلها ما لا تحتمل، أو قوَّل الناس ما لم يقولوا، وفي ذلك تكمن الخيانة العلمية، وتختفي

الموضوعية، والدقة، وأمانة التوثيق، والتجرد من الهوى، وتظهر المهاجمة الشخصية للمنافسين وغير ذلك من الأمور التي تتنافى مع أخلاق الباحث وأمانة البحث.

7 ـ الرغبة:

إن المتعة التي يشعر بها صاحب الرغبة العلمية تذلل كثيرا من تلك الصعوبات التي تواجهه، وتدفع به إلى التغلب عليها بما يحمله بين حناياه من حب لتخصصه واقتناع به.

وعلى ذلك ينبغي أن يختار الباحث المجال الذي يرغب فيه، والموضوع الذي يميل إليه، فيجد فيه رغبة نفسية، وإمكانات ذاتية تكفل له الاستمرار، وتعينه على التحدي، وتذلل له الصعاب، وفي غياب هذه الرغبة يكثر التردد، ويضعف الإنسان أمام الإغراء في مجالات أخرى من الحياة تعطي مردوداً مادياً أكثر، وتواجه صعوبات ومجهودات أقل.

فالإقدام على أي عمل، إذن، يحتاج إلى رغبة في إنجازه، وكلما كان العمل صعبا أو عظيما ارتفعت درجة الرغبة إلى العزيمة والتصميم على ذلك الإنجاز، فبالرغبة والعزيمة تتولد طاقة في الروح تجعل المرء يستسهل الصعاب، ويغالب النوم والأرق، ويتابع النشاط، بل يستعذب المعاناة التي يلاقيها في سبيل ما يقوم به عن طيب خاطر.

والخلاصة أن الرغبة عنصر أصيل في رحلة البحث العلمي، إذ لا تخلو تلك الرحلة من مشكلات صارفة أحيانا عن مواصلة العمل واستفراغ الوسع، فتكون الرغبة والعزيمة صمام الأمان، وطاقة الدفع التي تمنع صاحبها من السقوط في منتصف الطريق.

وترتبط الصفات الخلقية والنفسية للباحث بخصلتين أخريين هما

الشجاعة الأدبية والإخلاص في العمل، الشجاعة في مواجهة الأهواء الشخصية للباحث أو للآخرين، والإخلاص في أداء رسالته العلمية على أتم الوجوه وهو الخصلة الأهم في تعبئة الطاقات الروحية والنفسية نحو الهدف.

8 ـ الموضوعية والتجرد من الهوى:

إن الحيدة العلمية صفة جديرة بأن تأخذ الصدارة بين الصفات الخلقية في شخصية الباحث، وتعني أن يعرض الكاتب. آراءه ويناقشها خارج دائرة الانتماءات المختلفة التي يتبناها فتكون مناقشته أو رفضه وقبوله للأمور مبنياً على أسس منطقية ومقدمات عقلية لا مجال فيها للتحيز والهوى والميول الذاتية.

9 ـ الصبر والمثابرة:

وهما صفتان ضروريتان لمواصلة العمل أيضا فقد تفتر العزيمة، وينطفئ لهيب الرغبة، فيكون المدار على الصبر والمثابرة في إعطاء شحنة من الأمل لطاقات الدفع الأخرى حتى تواصل الطريق وتتجنب محذور الإخفاق واليأس.

والبحث العلمي جهد مضن يكلف وقتا ومالا وعناء ليس بالقليل، ولا يمكن أن يستمر فيه من لا يجد من الصبر والمثابرة ما يدفعه إلى تحمُّل هذه التكاليف، وفي مسيرته من الصعوبات والمشكلات ما قد يصرف الإنسان عن متابعته، إذا لم يكن متحلياً بالصبر عازماً على مواصلة الجهد، بعد الجهد وحتى يحقق هدفه الأسمى، وقد تقدم أن وجود الرغبة يساعد في التغلب على المشكلات، ويذلل من الصعوبات، فالرغبة دافع مهم من دوافع الصبر والمثابرة، إلى جانب دوافع أخرى تتصل بالدين، والوطن،

والطموح الشخصي، والقيمة الاجتماعية والأهداف السامية التي يحددها الباحث لحياته، فمثل هذه الدوافع تصنع الصبر وتعين على المثابرة إلى حد كبير، لأنها تضع في الإنسان العزيمة والإرادة الكفيلتين بمغالبة الصعاب المقدور على مغالبتها.

10 ـ النظام والترتيب والإتقان:

يتعامل الباحث مع عدد كبير من المصادر والمراجع والوثائق والبطاقات والأوراق، وما في هذه وتلك من الأفكار والرؤى والملحوظات والتعليقات والمقارنات، فلا غرابة أن يحتاج هذا الرصيد الكبير إلى نوع من التنظيم والترتيب يسهل العمل، وييسر الاستفادة من المادة المدروسة.

وهذه الصفة مهمة لتنظيم فصول البحث ومطالبه، فلا يقدم ما يستحق التأخير ولا يؤخر ما يستحق التقديم، ومثل هذا النظام يتفادى التكرار والنقص، ويساعد على التناول للجزئيات الصغيرة التي تبدو مع دقة الترتيب والنظام بصورة أكثر وضوحاً.

والتنظيم لوقت الباحث مهم أيضا، لأنه يساعد على توزيع اهتماماته، وتجميع أفكاره، ويترك له فرصة محدودة للمشاغل الأخرى بما لا يقطع من تسلسل التفكير العلمي ولا يشوش على الذاكرة نتيجة الانقطاع الطويل والأشغال غير المنتمية إلى مجال البحث.

فالتنظيم ينبغي إذن أن يشمل عمل الباحث، ووقته، ومادته العلمية، فهذه الصفة السلوكية العملية، أساسها وجود عقل منظَّم ومنظِّم، لأن خلط الأمور يجعل الوصول إلى ما يريده الباحث عسيراً، وقد تفلح الذاكرة، أو المعينات الأخرى في تنظيم ما ليس منظما من حياة الباحث، وإتقان ما ليس متقنا من عمله، ولكن ذلك لا يبدو عمليا مع طول الزمن، وتشعب

المسائل. وقد صار للوسائل العلمية الحديثة نصيب كبير في تيسير عمليات التنظيم والترتيب، لكن الحاجة إلى العقل المنظَّم والمنظِّم تبقى على حالها من الأهمية.

11 ـ المهارات المساعدة:

إن المهارات المساعدة في العمليات البحثية، كالطباعة، والفهرسة، والتصوير، واستخدام الحاسوب، والتعامل مع المكتبة الحديثة، وغيرها من مهارات استخدام الآلات المختلفة، صارت من العوامل المهمة في توفير الوقت والجهد، وفي التنظيم وسرعة الترتيب في جميع الأعمال.

والبحث العلمي من أولى المجالات التي تتطلب تلك المهارات المساعدة، ولذا يحسن أن يتمرس الباحث على استخدامها ويعمل على توفيرها، ومع أهمية هذه المهارات لا نجدها عقبة في طريق الباحثين الذين لا يُحسنونها، أو لا يملكون القدرة على امتلاكها، بقدر ما هي عامل تيسير لتوفير الوقت والجهد.

أغراض التأليف

التأليف من أشرف الأعمال وأخلدها، فهو سنام نتاج البشر، وأنفس آثارهم الباقية، به تقوم الحضارات، ويتفاضل البشر، وتُصنع الحياة، ولكن أيُّ التآليف تبلغ هذا الشأو الرفيع، والقدر السامي والمقام العالي؟

إنها التآليف التي تقدم للمعرفة البشرية جديداً يطورها ويوسع آفاقها، فليس كل تسويد للورق ببالغ تلك المكانة التي ألمحنا إليها في الفقرة السابقة، ولا كل بحث بمضيف للمعرفة البشرية ما يحقق لها التطور والاتِّساع.

ومن هنا كانت دراسة أغراض التأليف جديرة بالنظر والتأمل حتى يخصها الدارسون بالعناية الفائقة، ويحبسوا أقلامهم عن ترف القول الذي لا يحقق شيئاً من هذه الغايات، ولا يضيف جديداً، يسهم في بناء الفكر الإنساني وتطويره، وقد لخصها العلماء القدامى في سبعة أغراض هي:

1 ــ ابتكار جديد:

يعمد فيه الباحث إلى شيء لم يُسبق إليه، فيبتكره بثاقب فكره وحسن

اختراعه، فيكسب المعرفة البشرية بذلك فائدة نظرية أو مادية ما كان لها أن تكتسبها لولا جهوده الرائدة وعقليته المبتكرة فاكتشاف كثير من الأمصال الواقية من الأمراض الفتاكة والمخترعات الحديثة في الكهربائيات والمبتكرات الجديدة في الحاسوب والإلكترونات وغيرها من المخترعات العلمية التي نستخدمها لم تكن سوى أحلام وأخيلة خلال القرنين الماضيين ثم دخلت إلى حيز الآمال والأفكار المتوقعة منذ مطلع هذا القرن، بل لم يكن بعضها قد دخل إلى دائرة الخيال البشري حتى عهد قريب، ولكنها صارت بفضل تقدم العلم واقعاً ملموساً تنتفع به البشرية وتساهم أجيالها المتلاحقة في تطويره وتحسينه.

وليس الاختراع بمقتصر على العلوم التطبيقية والتجريبية، فنظرية علم الاجتماع التي ابتكرها ابن خلدون، وعلم العروض الذي اخترعه الخليل بن أحمد وغيرهما من الإضافات النظرية لاتقل في أهميتها العلمية عن الإسهامات التقنية التي اخترعها أهل العلوم التجريبية.

2 ـ إتمام الناقص:

المعرفة الإنسانية نتاج أجيال متلاحقة وحضارات متوالية أسهمت فيها الأمم والأفراد بالجهود التي سمحت بها مدة إقامتهم على وجه البسيطة، ولاشك أن اخترام المنية للأفراد يعنى توقف نشاطهم الفعلي، ومن ثم كانت مشروعية إتمام ما بدأه السابقون من معارف وعلوم من حق الأجيال اللاحقة جماعات وأفراداً. وفى تراثنا الإسلامي أنماط مختلفة من التكملات التي استدركها اللاحق على السابق، ويمكن أن نضرب لها أمثلة من الكتب الموصولة ببعضها ككتاب «فوات الوفيات» الذي نظر فيه مؤلفه ابن شاكر إلى ما فات ابن خلكان في وفياته، أو كتاب الوافي بالوفيات

الذي أراد الصفدي أن يستدرك به على ابن خلكان أيضاً. ومثل ذلك فعل ابن الآبار في تكملته لكتاب الصلة لابن بشكوال الذي كان صلة لتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، ومن الكتب التي ألفت لإتمام ما قبلها ولكنها تنتظر الإكمال في حد ذاتها كتاب (اليواقيت الثمينة) في أعيان مذهب صاحب المدينة، فقد جعله صاحبه مكملاً لسلسلة التآليف في أعيان مذهب مالك ابتداءً من مدارك عياض، وديباج ابن فرحون، مروراً بنيل الابتهاج وكفاية المحتاج لأحمد بابا، وتوشيح الديباج للقرافي، وانتهاء بشجرة النور الزكية لابن مخلوف، سلسلة متواصلة أراد المدني أن يتمها باليواقيت الثمينة فبلغ حرف العين واخترمته المنية دون إكمال ما بقى من الحروف، وعسى أن يتولى غيره إتمام ما بدأه وتجاوز ما أراد، فتلك هي حركة العلم في رحلة الزمن إلى ما شاء الله تعالى.

والنمط الثاني هو إكمال الكتاب الناقص في حد ذاته، وهو الذي ينطبق عليه عليه هذا الغرض بصورة مباشرة، ومن أمثلته تكملة محمد رشيد رضا لتفسير المنار الذي بدأه الشيخ محمد عبده. وكتاب فتح القدير لكمال السيراسي الذي توفى مؤلفه فأتمه قاضي زاده وسماه (نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار) وهو من أوسع شروح الهداية في الفقه الحنفي.

3 ــ شرح المستغلق:

وفيه يعمد الشارح إلى النص العسير الفهم بسبب إجماله الشديد، أو ألفاظه الصعبة، أو معانيه المعماة، أو تجرده من الأمثلة والتوضيحات فَيُذَلِّلَ صعوباته بشرح الألفاظ وتيسير المعاني وفك المغاليق بالعبارة الميسرة، والمثال الموضح، والمقارنة المقربة، والأدلة المقنعة، حتى

تتحول الحزونة إلى سهولة والانغلاق إلى انشراح، والغموض إلى وضوح.

وفي هذا الغرض تدخل كل الشروح التي صنفت من أجل توضيح المتون المختصرة في شتى علوم التراث المنظومة والمنثورة، كما تدخل الحواشي والتعليقات والطرر التي جيء بها لتوضيح مواطن معينة ما تزال مغلقة من تلك الشروح.

وقد يحتاج المتن الواحد لشروح مختلفة لأهميته، أو لفرط استغلاقه، أو لحاجته المتجددة إلى البيان والتوضيح لأسباب تعليمية، ومن ذلك الشروح التي وضعت على ألفية ابن مالك في النحو العربي، والتي صنفت شرحاً لمختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي وتلك التي وضعت على كتاب (التنبيه) في فروع الشافعية لأبي إسحاق الشيرازي، أو مختصر الحزقي في الفقه الحنبلي، أو شروح السلم في المنطق، أو شروح الخزرجية في العروض، أو شروح جمع الجوامع في أصول الفقه، أو شروح الحماسة التمّامية في الأدب، وغيرها من الكتب التي حظيت بكثرة الشروح والحواشي.

4 ــ اختصار المطول:

ومن التآليف المشروعة اختصار وتلخيص الكتب المطولة شريطة ألاّ يخل الإيجاز بشيء من معانيها الجوهرية، ومن هذا القبيل ما فعله د. طه حسين في تجريد الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني؛ إذ حذف منه ما يتصدر الأخبار والأشعار من أسماء رواتها، وهي أسماء مكررة ليس لإيراد أصحابها تلك الأهمية التي نجدها في كتب الحديث، وإذا أهمت الباحث المتخصص فلا تهم سائر القراء ممن يعنيهم الوصول إلى المادة الأدبية دون

نظر إلى رواتها، ويوفر لهم هذا التجريد تكاليف أقل واستخداماً أيسر، وعلى ذلك لم يكن في حذفهم إخلال بالنص.

وقد يكون الاختصار بقصد التيسير والتعليم وفي هذا الغرض تدخل جميع المختصرات التعليمية التي تتحول فيها أمهات الكتب إلى مختصرات ميسرة تلبي حاجة المتعلم، واشهر المختصرات التي لقيت عناية الشرح وأصحاب الحواشي (مختصر خليل في الفقه المالكي) ومن أطرف ما يذكر بصدده أن الأستاذ محمد عدود الشنقيطي انتهى من نظمه وبدأ في شرح هذا النظم في أيامنا هذه من مستهل القرن الحادي والعشرين.

ومن المؤلفين من يؤلف كتابه في ثلاثة مستويات كبير ومتوسط وصغير، كما فعل الفتح بن خاقان بكتابه «مطمح الأنفس»، وأغلب ذلك لضرورة التعليم، أو لزيادة المادة العلمية في كل مرحلة من مراحل البحث.

5 ـ جمع المتفرق:

وفي هذا الغرض كثير من التآليف التي تقوم على جمع مسائل ذات وحدة موضوعية ولكنها مبثوثة في كتب مختلفة، لم يسبق جمعها ودراستها في سلك واحد، وقد أشار ابن خلدون إلى مثال من ذلك في مسائل علم البيان التي كانت مبثوثة في كتب النحو وكتب الأدب، فجمعها عبد القاهر الجرجاني، والسكاكي وغيرهما، حتى صارت أصولاً لفن البيان[1]، ومن أمهات كتب الفقه في المذاهب المختلفة ما يجمع شتات كتب وأراء كثيرة يمكن أن نعدها في جمع المتفرق، ومن ذلك كتاب (الذخيرة) للقرافي،

(1) ابن خلدون، المقدمة 3، ص 239.

وكتاب النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني اللذان جمعا الكثير من الأراء المبثوثة أو المفقودة لأهل المذهب المالكي، وفي بعض الرسائل الجامعية مسائل جمع لمتفرقات من مذاهب شتى في موضوع واحد يكون جمعها وترتيبها والتعليق عليها مقصداً من مقاصد التأليف المشروعة في الدراسات العليا مثلاً، ولكن هذا الجمع لا يرتفع بقيمة البحث إذا لم يكن مصحوبا بعمليات بحثية أخرى كالمقارنة، والترجيح، والبرهنة والمناقشة في حالي المعارضة أو القبول.

6 ـ ترتيب المختلط:

وهو غرض جدير بالعناية، لأن بعض المؤلفين قد أهمهم جمع المادة العلمية وتوثيقها، وشغلوا بذلك عن ترتيبها وتهذيبها لأسباب مختلفة، ثم جاء من بعدهم من يرتب ما اختلط من سواد تآليفهم في أبواب متجانسة، وفصول متتابعة، على نسق منطقي، تسلم مقدماته لنتائجه، أو ترتب على حروف الهجاء، أو تتبع التَّسلسل الزمني أو غير ذلك من ضروب الترتيب.

ومن أمثلة ذلك إعادة ترتيب المعاجم العربية المرتبة على أواخر الحروف ليصير ترتيبها على أوائلها، وهي عملية تيسير مهمة كان من أعلامها الشيخ الطاهر أحمد الزاوي في ترتيب القاموس المحيط، وجماعة من الدارسين الذين أعادوا (لسان العرب) و(تاج العروس) وغيرهما من المعاجم.

وساق ابن خلدون من كتابي «المدونة» و«العتبية» مثالاً على ضرورة ترتيب المختلط فقال: «كما وقع في المدونة من رواية سحنون عن ابن

القاسم، وفي العتبية من رواية العتبي عن أصحاب مالك، فإن مسائل كثيرة من أبواب الفقه منها قد وقعت في غير بابها، فهذَّب ابن أبي زيد المدونة، وبقيت العتبية غير مهذبة، فنجد في كل باب مسائل من غيره»[1].

7 ـ إصلاح الخطأ:

وهو غاية نبيلة من غايات البحث العلمي، ومطلب جدير بالاهتمام، به تقوَّم هفوات السابقين، وتستدرك زلاَّتهم، ولكن هذا المقصد يحتاج إلى آداب في الناقد والمنتقد على السواء، فمن آداب الناقد أن يكون موضوعياً في نقده غير مستنقص للمنتقَد أو مهين له بسبب ما وقع في كتابه من الأخطاء، لأن الإنسان عرضة للخطأ، ولو لم يكن للسابق من فضل غير دعوة اللاحق إلى تتبع آثاره في سفر جديد أو مقالة على صحيفة لكان ذلك كافياً في إثبات فضله.

وعلى المنتقَد أن يكون واسع الصدر موضوعياً في رده معترفاً بما وقع فيه من تقصير، مقتدياً بقول الأوائل: «رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا» وإذا وجد في نقد اللاحق تطاولاً ومغالطة فله أن يرده إلى صوابه بالإقناع والمناظرة العلمية والردود المنطقية، فإن اقتنع فهو ما أراد، وإن لم يقتنع فيكفي أنه أوصل رده إلى الآخرين، وفي ذلك إذاعة لسابق فضله، وتذكير بقيمة عمله:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طُويَتْ أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما حولها ما كان يُعرف طيبُ عَرْفِ العود

(1) المقدمة، 1238 ـ 1239.

وقد جنى العلم والحضارة الإنسانية من غرض إصلاح الخطأ أثمن وأنفس الثمار، ولا يعزى تطور البشرية إلاّ إلى هذه الجهود المتواصلة التي تكمل وتصحح وتقوِّم، وفق المنطق والتجربة والتحقيق.

وقد عني علماؤنا القدماء بذكر مقاصد التأليف ومن ذلك قول ابن حزم: «وهي إما شيء لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتمه، أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيءٍ من معانيه، أو شيء متفرق يجمعه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مؤلفه يصلحه»[1].

هذا، وقد زاد بعضهم إلى هذه الأقسام السبعة تفصيل المجمل وتعيين المبهم، وعدهما غيرهم من ضمن شرح المستغلق[2]، وزاد المعاصرون إلى ذلك أغراض أخرى كالترجمة من لغة إلى أخرى، وتحقيق المخطوطات والوثائق، التي يهدف فيها الباحث إلى التوثيق والشرح والضبط والمقارنة بين الأصول بالإضافة إلى التخريج والتعليق والإحالة، وهي جملة أغراض متداخلة حظيت بعناية الدارسين في القرون التالية أكثر مما كانت عليه لدى القدماء.

---

(1) رسائل ابن حزم، 2/ 186 وتقريب المنطق له 10.

(2) المصدر نفسه، وانظر المقدمة: 1238 بتحقيق عمر عبد الواحد وافي وقواعد التحقيق للقاسمي، ط (1)، ص 38.

أوليات البحث العلمي

للبحث العلمي أوليات تتركز على خدمة المجتمع في جوانب الحياة المادية والمعنوية، وتخصص الدول قدراً من ميزانياتها لهذه الأوليات، وتتولى بعض الشركات الخاصة دعم عدد من الأبحاث السائرة في هذا الاتجاه، وقد قررت بعض المنظمات التابعة للأمم المتحدة في إحدى السنوات ألاّ تقل ميزانية البحث العلمي عن (2.5%) من إجمالي دخل ميزانية أية دولة متقدمة أو نامية، ومن أجل ذلك أنشئت مراكز البحث العلمي ذات الميزانيات العالية. ولعله من المناسب أن نذكر أن من حاجات المجتمع في الجانب المعنوي عناية الباحثين بتراث الأمة الذي يشكل جانباً مهماً من هويتها ويحقق ذاتها المميزة. وغني عن الذكر أن التراث يشتمل على ظلال وأضواء، إيجابيات وسلبيات، والدراسة الموضوعية الناقدة هي الكفيلة بتمييز الأضواء من الظلال والصحيح من الخطأ حتى تكون هذه الدراسة صلة وصل متينة بين الماضي والحاضر، وتكون مرآة أخرى تعرض توقعات المستقبل بناء على المعطيات التي تسفر عنها تلك الدراسات الواعية.

والدراسة التراثية تشتمل على تحقيق التراث ودراسته واستنطاقه واستنباطه والوقوف عند دروسه وعبره.

وهناك أوليات معنوية كثيرة تسهم في تأكيد الهوية وتقوية الانتماء الاجتماعي والديني والوطني لا مجال لاستقصائها في هذه العجالة.

هذه إذن هي أوليات البحث التي تخصص لها المراكز والميزانيات. فماذا عن الأوليات في المراحل التعليمية العليا والجامعية وما في حكمها.

إن الأوليات في مرحلة التدريب والتعليم تختلف عن الأوليات في مراكز البحث الفعلية، فالهدف هناك هو أن نضع حاجات المجتمع في أيدي باحثين مهرة لنعرف ماذا أنتجوا في خدمة المجتمع، أما هنا فنحن نضع أمام طلابنا الوسائل لنصل إلى الإجابة عن سؤال محدد هو كيف أنتجوا؟ وهل استطعنا أن نضعهم في طريق البحث العلمي في مرحلة الدراسة النظرية؟

وبمثال آخر إننا لا نضع الحرير في يد من يتعلم حرفة الخياطة ليتدرب عليه، ولكن نبدأ بإعطائه قطعة من القماش الرخيص لنرى كيف يمكنه أن يصنع منها ثوباً قد لا يلبس أبداً، لأن ذلك ليس الهدف من صناعته، بل الهدف هو إنجاح عملية التدريب، وقد اختلف الهدف فاختلفت الوسائل والشروط.

وإذا أخذنا المثال من دراستنا الأدبية فإن المقارنة بين موضوع ملتزم كالشعر عند أحمد محرم، وموضوع غير ملتزم كخمريات أبي نواس، تجعل حاجة المجتمع إلى الأخلاق الفاضلة تفرض علينا الاختيار الأول، في حين لا يمكن للموضوع الأول أن يحقق للمتعلم من شروط البحث ما يحققه الثاني، وذلك أننا سنجد عشرات المصادر عن أبي نواس منها

المخطوط والمطبوع والمرقون، والتراثي والحديث، وهو ما يعطي فسحة كبيرة للطالب في مرحلة جمع المادة أو تقويمها ونقدها وتحليلها وموازنتها، مقابل ما لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة من المصادر عن أحمد محرم مما يشبع من أهدافنا التعليمية شيئاً.

وسنجد في الاتجاه الأدبي لأبي نواس عدداً من الدراسات السابقة يستحق الوقوف والمناقشة، ولا نجد عن الثاني غير إشارات محتشمة في بعض الكتب التعليمية غير الموثقة.

وسنجد في لغة أبي نواس وأسلوبه وإشاراته ورموزه ما يحتاج إليه الباحث المتدرب ويغني هوامشه بالتعليقات والحواشي بما لا يقارن إطلاقاً مع لغة أحمد محرم الواضحة والعصرية.

وعلى ذلك فإن الأستاذ الذي يريد أن يكون طالبه موفقاً في اختياره، ملزم باختيار الموضوع الثاني على علاته، ويمكنه أن يطالب الباحث بنقد الموضوع في أحسن الأحوال وإظهار عيوبه الفكرية والتزاماته الأخلاقية.

ونخلص من ذلك إلى أن أوليات الباحث العلمي المحترف تختلف عن أوليات الباحث المبتدئ المتدرب. نطلب من الأول ماذا ينتج؟ وما قيمة ما ينتج؟

أما أوليات الثاني فهي كيف أنتج وهل استطاع أن يلتزم بشروط البحث العلمي الصحيح في بحثه التعليمي؟ اختلفت الأهداف فاختلفت الوسائل والشروط.

خطوات البحث

بعد هذه السياحة في تعريف البحث العلمي ومتطلباته الفكرية والكتابية، نصل إلى خطوات البحث وأهمها: اختيار الموضوع، وتحديده، ووضع الخطة الأولية، وجمع المصادر والمراجع، والقراءة وأخذ الملاحظات، والتحليل والتصنيف، ثم الخطة التفصيلية، والصياغة الأولى، والمراجعة، والصياغة الثانية.

الخطوة الأولى: اختيار البحث:

يبدأ اختيار الموضوع بانتقاء عنوان في الحقل الذي يعرفه الباحث، أو يميل إلى الكتابة فيه، وقد يوكل أمر اختيار البحث في المراحل الجامعية وما دونها إلى أستاذ المادة، ويتولى الطالب في هذه الحالة إعداد ما يعرف بورقة البحث تتناول ملخصا لما كتبة مؤلفون سابقون في مجال البحث، وتقاس مهارة الطالب بجمع أطراف الموضوع وترتيبه، وصياغته.

على أن أمر الاختيار سيوكل للطالب فيما بعد هذه المرحلة، والاختيار عندئذ يتطلب سعة اطِّلاع على المجال الذي يرمي الباحث إلى دراسته، حتى يستخلص منه موضوعا معينا يشعر بأهميته، ويحس بالميل

إليه، ويراعى في اختياره أن يكون متناسباً مع قدراته وإمكاناته، وأن تكون له أهداف علمية واضحة، ومصادر علمية كافية لإجرائه، فكيف يمكن أن يختار طالب الدراسات العليا موضوع بحثه؟

تمر بطالب الدراسات العليا مدة طويلة دون أن يكون قد اختار الموضوع المناسب للمرحلة التي ينجزها، وقد يختار موضوعات كثيرة ثم يعرضها على الأستاذ المشرف أو قسم الدراسات العليا فلا يجد قبولا لموضوعه أو لخطته، بحجة قصورها، أو ندرة مصادرها، أو قلة جدوى الموضوع، أو كونه تكرارا لعمل سابق استوفى صاحبه جوانب دراسته. وقد تطول مدة الاختيار، ويتكرر الرفض بصورة تدفع الطالب إلى السأم وخيبة الأمل قبل أن يجرب قدراته الفعلية في البحث والدراسة.

وتفادياً لهذه النهاية الأليمة وما يسبقها من معاناة وتضييع للوقت والجهد، والإمكانات المادية الأخرى فكّر بعض الأساتذة في تحديد أوليات للبحث، ثم اقتراح عناوين تخدم هذه الأوليات، وتوزيعها على طلاب الدراسات العليا ليجدوا ضالتهم بيسر وسهولة، وهذه الطريقة على أهميتها في كونها تنير أمام الأجيال الصاعدة مجالات البحث المناسبة كما يراها ذوو الخبرة والعلم، فإنها تحرم الطالب من الاعتماد على نفسه في اختيار البحث، الذي سوف يرافقه وينتمي إليه انتماء أبوة روحية، بكل ما تحمله الكلمة من مراعاة للميول والاتجاهات النفسية والتخصصية، وتدفعه إلى تبني موضوع من اختيار غيره وفق ميول ورغبات ذلك الموجه.

وهنا نضع أمام الطالب هذه المحاولة، التي قد تساعده في الحصول على موضوعه، دون أن تسلبه حقه في الاختيار المناسب لإمكاناته المتنوعة، وهو ما يحقق له العلاقة الروحية مع ذلك الموضوع.

الاختيار عن طريق الدراسات السابقة:

إن الخطوة الأولى في اختيار الموضوع هي التوجه نحو المجال الذي نعرفه ونميل إليه، من خلال دراساتنا السابقة ذات الطابع التعليمي أو الشخصي، فإذا اخترنا موضوعنا وفق هذه الخطوة كان علينا أن نتجه إلى من الدراسات السابقة الأكثر خصوصية وصلة بموضوع البحث.

وفي هذه المرحلة نبدأ تأسيس قائمة المصادر والمراجع، التي ستتطور عبر رحلة البحث في الكم، وتتنوع في الكيف، بحيث تشمل جميع أنواع المصادر الممكنة لهذا الموضوع: من مطبوعات، ومخطوطات، ووثائق مكتوبة أو مسموعة أو مرئية، ولكن مراجعتنا للدراسات السابقة لا تنتظر استكمال هذه القائمة، ولا تتوقف على استحضار جميع أنواعها.

إذ بمجرد توفر الكتاب الأول تتم القراءة عبر فهارسه، ومقدمته، و خاتمته، و أهم الفصول المتصلة بما يهمنا منه، لنحصل على قرار بجدوى الاختيار من عدمه، وهنا نبدأ بتسجيل الملاحظات الأولى التي قد تدخل في عناصر دراستنا، أو تعطينا بعض عوامل الحسم بأننا لن نحصل على جديد في متابعته، ومن الباحثين من تدفعه هذه القراءات إلى تعديل موضوعه ليكون أكثر سعة أو أكثر اختصارا، أو أدق اختصاصا، أو غيرها من التغييرات الممكنة، مراعيا في ذلك حدود الموضوع والمرحلة الجامعية التي ينجزها.

إن الاطلاع على الدراسات السابقة يحقق لنا ثلاثة أهداف مهمة هي:

1 ـ الكشف عن المزيد من مصادر الموضوع ومراجعه.

2 ـ معرفة نواحي المعالجة العامة والتفصيلية في تلك الدراسات لإدراك مظاهر القصور والتقصير.

3 ـ معرفة طبيعة المعالجة، لكشف السلبيات أو الأخطاء التي يمكن تلافيها أو الإشارة إليها، ونواحي الامتياز التي يمكن الاستفادة منها.

والاستفادة المرجعية تقتضي النظر في قائمة المصادر والمراجع الملحقة عادة بالكتاب، مع عدم إهمال النظر إلى الحواشي والهوامش فقد يكون فيها من المصادر ما لا يرى الباحث تدوينه في قائمة المصادر وهو على درجة كبيرة من الأهمية.

فإذا لاحظنا أن مصادر مهمة غابت عن صاحب الدراسة، ربما كان بعضها مخطوطات أو وثائق جديدة تم الكشف عنها وتحقيقها بعد دراسته، كان ذلك من المشجعات على إعادة النظر في تناول الموضوع، والبحث عن أسباب تؤكد هذا الاتجاه. ولكن ذلك يدعو إلى الاطلاع على هذه المصادر الجديدة للعثور على فوائد علمية تصحح خطأً سابقا، أو تضيف جديدا لم يعهده صاحب الدراسة السابقة.

أما معرفة نواحي المعالجة فنتبين منها الفجوات التي تركها صاحب الدراسة السابقة وإمكانية اعتبارها قدرا كافيا للاستدراك وإعادة النظر، وقد تكون هذه الفجوات مظهرا من مظاهر النقد والقصور، التي يستدركها اللاحق على السابق، فيحقق بذلك غرضا من أغراض البحث العلمي.

ومن خلال اطلاعنا على الدراسات السابقة قد نلمس أنها شمولية عامة تحتاج إلى تركيز، أو جزئية محدودة تهمل جوانب أخرى لم تكن من شرط البحث حين شرع في كتابة بحثه.

وقد تكون الدراسة مستوعبة المصادر، جامعة لعناصر الموضوع،

ولكن طبيعة المعالجة تفتقر إلى شروط البحث العلمي السليم، من موضوعية، ومنهجية، ومنطقية في البرهنة والعرض، ومراعاة لجودة الأسلوب وصحة النتائج، وتوثيق المادة العلمية، فيكون ذلك مسوغا من مسوغات إعادة النظر في الموضوع وكتابته بروح وشروط علمية سليمة.

فإذا تأكد لنا أن الدراسة وافية لجوانب الموضوع، مستوعبة لمصادره ومراجعه، خاضعة لشروط البحث العلمي دفعنا ذلك إلى التحول إلى موضوع آخر، غير آسفين على ما أنفقناه من جهد ووقت في تصور هذا الموضع الذي أضفناه إلى رصيد معلوماتنا الراسخة، وكلما تمَّ مسح مجالات الدراسة بهذه الطريقة زاد ذلك الرصيد من جهة، وزادت مهارتنا في سرعة هذه العملية من جهة أخرى.

الاختيار عن طريق كتب الفهارس:

نحتاج إلى كتب الفهارس حين نختار الكتابة عن موضوع ما، أو علم من الأعلام، وهما المجالان الرئيسان في الرسائل الجامعية، ولكل منهما كتب الفهارس التي تناسبه وتكشف عن جانب من مصادر دراسته ومراجعها.

أ ـ فالفهارس المناسبة للموضوعات هي:

- فهارس الكتب المطبوعة، ونجدها في فهارس العناوين بالمكتبات العامة والخاصة، وقوائم دور النشر، وقوائم معارض الكتب العامة، وكتب الببليوغرافيا الوطنية، والقومية، والمتخصصة، والأجنبية.
- فهارس المخطوطات في المكتبات العامة والخاصة، وفيها يقع الباحث على ما لم يسبق تحقيقه أو دراسته من الكتب المخطوطة، كما يمكنه عن طريقها معرفة عناوين وحقولٍ وموضوعاتٍ تستحق النظر أو

التطوير، أو توحي بموضوعات أخرى تدور في فلكها، قبولاً أو رفضاً، أو توضيحاً أو ما إلى ذلك من أنواع الدراسة والتحليل.

- فهارس الدوريات، ومنها الكشافات الخاصة بمجلة أو صحيفة معينة، والكشافات العامة مثل الفهرس الإسلامي لبيرسون، وكشافات الموضوعات في الدوريات العربية، ومجلة الفهرست.

- فهارس الرسائل الجامعية، وفيها يمكن للباحث أن يجد فراغات غير مدروسة، لأزمنة، أو بيئات، أو موضوعات، تنبهه عنها الموضوعات المدروسة.

- عناوين الكتب في الثقافات الأخرى: وهي وسيلة مهمة يغفل عنها كثير من الباحثين، إما لأنهم لا يتقنون لغات تلك الثقافات، أو لعدم اكتراثهم بما يصدر فيها من كتب ودوريات، وهي في الحقيقة جديرة بالنظر وليس التقليد، فقد يوحي ذلك النظر بموضوعات في المنحى الذي سار عليه الكتاب الذي بين يديك، أو بمنحى ومنهج جديد لم يخطر لمؤلفه على بال، وإن كان العمل من وحي كتابه.

- موضوعات الساعة: وهي القضايا التي يكثر دوران الحديث حولها في المجالس العلمية الثقافية، والوسائل الإعلامية، وتكمن أهمية تناول هذه الموضوعات في الدوافع النفسية والفكرية التي تنبثق عنها وتدفع الباحث للإجابة عن الأسئلة المعلقة بها، ولفض الخلافات الفكرية أو العقائدية الناشئة عنها، وهي قد تدفع إلى التناول المباشر، أو توحي بموضوعات تعالج جذورها أو تستشف مآلها ومستقبلها في عملية استشراف منهجية، أو تستقصي أسبابها ونتائجها في دراسة نقدية تفسيرية.

- موضوعات يوجه إليها الأساتذة من ذوي الخبرة والتمرس، وهي على

أهميتها، تدخل في نطاق الموضوع المُتبنى، وينبغي أن يكون الموضوع ابنا شرعيا للباحث نابعا من ميوله ومحققا لرغباته، وحصيلة لتجاربه أو معارفه، أو خبراته. ومع ذلك فقد تتكون لدى الطالب هذه العلاقة مع بحثه بعد اختياره وتشبثه به.

ب ـ الفهارس المناسبة لاختيار الأعلام:

وفيها يجد الباحث اسم العلم الذي يريد دراسته، ومعلومات أولية عنه، وكثيرا ما يجد قائمة بالمصادر والمراجع يستزيد بها من المعلومات، ويستهل بها قائمة المصادر التي تبدأ من تلك اللحظة، وتزيد عند مطالعة أي مصدر جديد.

ولا بد من الإشارة إلى ثلاثة مراجع مهمة في هذا الخصوص هي:

ـ كتب المشاهير مثل: كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي.

ـ كتب المعجمات المتخصصة مثل: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة.

ـ دوائر المعارف الخاصة مثل: دائرة المعارف الإسلامية باللغات الأجنبية.

الاختيار عن طريق قراءة الكتب ذات الموضوعات العامة:

أَلَّف في الموضوعات العامة قدماء ومعاصرون، وكتبهم لفرط عمومها، وتنوع أبوابها، وطرافتها أحيانا، مظنة وجود موضوعات جديدة لم تتناولها أقلام الكُتَّاب بشكل تفصيلي، أو لم تحسم القول فيها بعد، ومن هذه الكتب في القديم:

ـ كتاب المزهر في اللغة للسيوطي.

وهو كتاب لغة، ولكنه يثير قضايا كثيرة في جوانب من فروع العربية

الواسعة، ويمنح الباحث عناوين كثيرة يمكن أن يناقشها، تعميقا وتفصيلا.

ـ كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني.

لعل هذا الكتاب أن يكون أهم كتب نقد الشعر العربي القديم، وفيه الكثير من القضايا القابلة للمناقشة والتحليل والمقارنة مع مصادر نقدية أخرى.

أما في العصر الحديث فمن ذلك:

ـ سلسلة الإسلام لأحمد أمين (فجره، وضحاه، وظهره)

أثار الكاتب العديد من الموضوعات، وله فيها آراء تحتاج للمناقشة، وأخرى تحتاج إلى زيادة النظر والتفصيل، وهي في عمومها جولة واسعة في التاريخ الثقافي الإسلامي عبر عصوره، ومن هنا جاءت الحاجة إلى وقفات تفصيلية، وتصحيحات لما ورد فيها مختصرا أو كان في محل نظر.

ـ تاريخ الأدب العربي، لطه حسين.

جُمع هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه، وقد أثار العديد من القضايا التي كانت محل جدل في حياته وبعد مماته، وسيجد الباحث فيها العديد من الأمور التي يمكن أن يناقشها، أو يوسعها، أو أن يبحث قضايا موازية لها، بمنهجها أو بغيره.

والاختيار هنا ليس من قبيل الإعجاب بما في هذا الكتب من تناول فني بليغ وآراء جديدة، وإنما لما فيها من تنوع وإثارة لقضايا تحفز الهمم للوقوف معها أو ضدها، وذلك شيء ضروري لتحريك الباحث إلى العمل برغبة ومسؤولية.

الخطوة الثانية: تحديد الموضوع:

إن اختيار الموضوع مرتبط بتحديد عنوانه، زمانيا أو مكانيا، أو موضوعيا، وربما شمل التحديد كل هذه الجوانب، فاتساع الموضوع يجعله غير محصور المدى، وهو ما يتعذر معه الإلمام بمصادره، وتفاصيله، وقد لا يسمح عمر الباحث باستكمال تلك الموضوعات الموسعة، أو يستطيع في هذه السعة أن يصل إلى نتيجة مقنعة وصورة شاملة.

فموضوع مثل (الشعر العربي) يجعلك أمام كمٍّ هائل من المصادر الشعرية عبر العصور، ولا يمكن أن ينتهي البحث فيها بحصر المادة، أو حتى جمع العينات الممثلة لها، وبذلك يخرج الباحث بنتائج غير دقيقة، ولا شاملة، ولا مؤدية لمتطلبات البحث العلمي وأغراضه المشروعة، فلو حدد الموضع مكانياً لكان أكثر توفيقاً، كأن يكون (الشعر العربي في فلسطين) ومع ذلك فإن متابعة الشعر العربي في فلسطين عبر أكثر من عشرة قرون سيكون أمراً عسيراً على باحث بمفرده، وعليه إذن أن يحدد الزمان كأن يكون في (الشعر العربي الفلسطيني في القرن العشرين) وربما وجد في شاعر أو ديوان واحد كفاية لتقديم دراسة دقيقة، فيكون بذلك أكثر تحديداً، وأقرب إلى التوفيق.

الخطوة الثالثة: وضع الخطة المبدئية:

تعتمد الخطة المبدئية عادة على عدد غير كثير من المصادر التي يتلمس بها الباحث طريقه نحو الموضوع، وعليه فإن شبكة المعلومات لن تكون متكاملة في ذهنه عن ذلك الموضوع ولذا فإن هذه الخطة تقتصر على الملامح العامة بإيراد ما يمكن تخيله من عناوين الأبواب والفصول،

وستتضح الفروق بين هذه الخطة والخطة التفصيلية عند الحديث عن تعريف الخطة وشروطها فيما بعد.

الخطوة الرابعة: جمع المصادر والمراجع:

المصادر هي المواد الأصلية ذات العلاقة المباشرة بموضوع البحث، أما المراجع فهي تلك الدراسات أو الكتب المساعدة التي ترتبط به ارتباطاً معيناً (نقداً، أو تفسيراً، أو مقارنة.. إلخ) معتمدة في تناوله على المصادر الأولية عادة. وإذا كانت المصادر تقع في المرتبة الأولى من حيث الأهمية فإن المراجع تقع في درجة لا يستهان بها، لأنها تسهم دون شك في توسيع مدارك الباحث، ومجال دراسته، بما تزوده به من نظرات، وما تسفر عنه من نتائج، أو من قضايا للنقاش. ولكن المحذر منه أن يأخذ الباحث مادة موجودة في المصدر الأصلي معتمدا في أخذها على المرجع الذي يعد ثانويا في دراسته.

وتسجل المصادر والمراجع التي تدخل في نطاق البحث على قائمة أولية، لا يهمل فيها الباحث تلك الدراسات والكتب التي تمت أجزاء منها إلى البحث بسبب، فقد تكون للإشارات الصغيرة أهمية قصوى في توثيق، نتائجها، وتوجيه الدراسة وجهات أخرى لا تمنحها المراجع الأكثر تخصصاً.

وسنرى في قسم المكتبة والمصادر أن مفاتيح المعارف من المراجع المهمة التي تمنحنا ما نحتاج إليه من معلومات عن المصادر نفسها، في عملية تبادل معرفي مهم يجعل أهمية كبيرة لكل من المصادر والمراجع.

ثم إن قائمة المصادر والمراجع ستتوسع باستمرار، نتيجة الاطلاع على الكتب الجديدة التي تحتوي هوامشها وحواشيها، وقائمة مصادرها،

على كتب أو دوريات أو مخطوطات، قد لا نكون اطلعنا عليها سابقاً، فنضيفها إلى قائمة المصادر، وسيكتشف الباحث مع الأيام فروقاً أساسية بين المصادر الأولية والثانوية، والمراجع الأولية والثانوية، العميقة منها والسطحية، الموثقة منها والأقل ثقة.

الخطوة الخامسة: القراءة وأخذ الملاحظات:

إن مهارة الباحث في استخدام نوع القراءة المناسب لما بين يديه من المصادر والمراجع أمر ضروري، لما فيه من اختصار الوقت وتوفير للجهد، إذ يتطلب منه اطلاعه على عدد كبير من المصادر والمراجع أن يقلب آلاف الصفحات، وعليه أن يكون قادراً على التمييز بين المواضع التي يسرع فيها أو يبطئ، وبين ما يحتاج إلى التحليل والنقد، وما يحتاج إلى التسجيل نصاً أو إشارة، وما تكفي في مراجعته نظرة إلى فهرس الموضوعات تقنعه بقراءة شاملة، أو جزئية، أو تدفعه إلى الاستغناء عن ذلك أو تأجيله.

ويقترح بعض الكتاب تسجيل الملاحظات في بطاقات صغيرة ليسهل ترتيبها بحسب موادها، على أن يُكتب في طرف كل بطاقة اسم الكتاب ومعلومات نشره. ويرى غيرهم كتابة الملاحظات في ملف حامل للأوراق، ويرون أن ذلك أجمع للملاحظات وأحفظ لها من الضياع، وبانتشار أجهزة الحاسوب صار بعض الباحثين يستخدمه مباشرة في تسجيل الملاحظات، لتوفره على إمكانات متعددة للترتيب، والحذف، والإضافة، والحفظ.

قواعد الاقتباس:

الاقتباس هو أن نأخذ من المصادر والمراجع ما به حاجة، وله صلة

بالبحث، ولا شك أن للاقتباس شروطه الصارمة في البحث العلمي، والتزامها هو دليل الأمانة العلمية، ولكننا هنا في مرحلة مبكرة عن مرحلة الصياغة التي تطبق فيها تلك الشروط، فماذا نلتزم به منها؟ وماذا لا نلتزم به؟

إن القدر المسموح به من الاقتباسات الحرفية القصيرة، في مرحلة الصياغة، هو ستة أسطر فما دونها، وأن الاقتباسات المطولة تكتب عند الحاجة الماسة إليها بحروف أصغر من حروف المتن الأصلي وبهامش أكبر منه.

أما فيما يُسمى بمرحلة (التقميش) هذه، أو مرحلة جمع المادة فإن الباحث غير ملزم بهذين القيدين بداهة، فله مطلق الحرية في النقل الطويل للمادة في بطاقاته حرفيا أو بالمعنى، أو بالاختصارات والإشارات الدالة على موضع المعلومة وعنوانها، وفي كل الأحوال هو ملزم بإيراد معلومات النشر للإفادة منها في مرحلة التوثيق، كما هو معروف، وعليه وضع العلامات التي تدله على أن هذا التقميش حرفي أو بالمعنى، حتى لا يقع في شك بعد ذلك بين النوعين، كما عليه أن يثبت في ملاحظاته رقما يدل على نهاية الصفحة التي ينقل منها، وبداية الصفحة الجديدة ليعرف فيما بعد موضع الإحالة.

أما في مرحلة الصياغة فمع مراعاة الاقتصار على الأسطر الستة المشار إليها في النقل القصير، يراعى وضع النص بين علامتي التنصيص، والإحالة إلى المصدر مباشرة في هامش النص. كما أن الإحالة تكون مباشرة إلى المصدر في النقل الحرفي المطول بشروطه السابقة. وفي حالة الاقتباس بالمعنى تصاغ الأفكار بأسلوب الباحث، مع عدم الإخلال بمعاني

النص الأصلي، بالحذف والزيادة، أو التحريف، والبتر المشوه لأفكاره، أو الإخلال بترتيبها على وجه يحدث تغييراً في مضامينها، على أن تكون الإحالة هنا إلى المصدر مسبوقاً بكلمة (انظر)، أو متبوعا بكلمة (بتصرف)، وفي كل الأحوال ينبغي أن يعرف القارئ بداية الاقتباس ونهايته، وقد تُرِكَ للباحث في النص المنقول بالمعنى اختيار العبارات أو الرموز الدالة على تلك البداية والنهاية.

ولا يباح التدخل في النص المقتبس بالزيادة أو النقص المخل، غير أن الباحث إذا عنّ له أن يعلق بكلمة مفسرة، أو يحذف كلمة أو كلمات لا يخل حذفها بالمعنى، وجب عليه أن يضع الزيادة بين قوسين، وأن يرمز للنقص بثلاث نقاط بين قوسين أيضاً على النحو الآتي (. . .).

الخطوة السادسة: التحليل والتنظيم:

عند بداية هذه الخطوة يكون الباحث قد اطلع على قدر كبير من المصادر والمراجع، ودون الكثير من الاقتباسات التي ستكون شواهد وبراهين بحثه، وسجل كثيراً من الملاحظات التي عنَّت له أثناء القراءة، وفيها آراؤه الشخصية، وتعليقاته على الأخطاء والتناقضات، والمقارنات التي اكتشفها بين المصادر المختلفة، والنتائج التي توصل إليها في جزئية من الجزئيات، والتساؤلات التي ما زالت معلقة ويخشى أن تضيع إذا لم يدونها، كما أن كثيراً من الأفكار الأخرى ستعتمل في ذهنه دون أن يرى ضرورة تسجيلها في المرحلة السابقة.

ومن ثم فإن مرحلة التحليل والتخطيط هذه ستكون مرحلة تحويل وهضم لكل هذه المعطيات التي سينتج عنها قربٌ شديد لملامح الصورة

التفصيلية للموضوع، وعلى الباحث أن يعيد قراءة ما كتبه من ملاحظات قراءة تحليلية «مبيناً أوجه القوة والضعف، وأوجه الاعتدال والانحراف.. وغيرها من الأفكار المتصلة بالموضوع»[1]. ثم يصنف تلك الملاحظات والاقتباسات في أبواب أو أقسام وفصول حسب خطة بحثه لتبدأ بعد ذلك التصنيف صورة الخطة التفصيلية، فما هي الخطة وما المراد بالخطة التفصيلية؟

الخطوة السابعة: الخطة التفصيلية:

الخطة بصفة عامة هي: هيكل البحث الذي يُظهر ملامحه المتوقعة قبل إنجازه، ويُبدي سماته التفصيلية بعد الإحاطة بمصادره، ويُصور أفكاره في صورة موحدة ومتكاملة.

وهما خطتان قبلية وتفصيلية، فالقبلية هي المشروع المبدئي الذي يقترحه الباحث قبل التعمق في قراءة بحثه، أما الأخرى فهي التي تتعرض للتفاصيل الدقيقة التي تبدت من خلال قراءة متأنية لمصادر البحث ومراجعه، وجمع الملاحظات المتعلقة به وتحليلها، وترتيبها بما يجعل صورة الموضوع واضحة في ذهن الباحث. وتُعرف الخطة أيضا بأنها الخارطة[2] التي يسير عليها الباحث للوصول إلى غاياته النهائية من البحث المنهجي المنظم.

وبالنظر إلى الخطة في مرحلتها المبدئية ومرحلتها التفصيلية نجد توزيعاً لمادة البحث وأفكاره على مجموعة من الأجزاء المكونة للكل

---

(1) أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر ص 23

(2) انظر منهج البحث الأدبي، د. علي جواد طاهر ص: 69 وما بعدها

الموحد الذي هو موضوع البحث، والفرق هو أن الخطة الأولى تشتمل على الخطوط الكبرى المقترحة[1]، أما الخطة التفصيلية فتشتمل على تفاصيل كثيرة تهدف إلى استيعاب مادة البحث، وترتيبها، وتنسيقها، وفق منهج وتسلسل منطقي. وتقوم هذه العملية الأخيرة على تصفح الملاحظات التي جمعها الباحث في مرحلة القراءة[2]، وتصنيفها وتوزيعها على فصول ومباحث وفقرات البحث، بحيث تكون عملية الصياغة ميسورة بما تم لها من تمهيد تحليل وتخطيط، وبما رافق ذلك من جمع للشواهد والأمثلة والبراهين. وعلى ذلك فإن الخطة في هذه المرحلة تغيِّر الكثير من الأفكار الأولية التي كانت تدور في خلد الباحث قبل أن يتعمق في القراءة، وإذا لم يحدث ذلك التغيير فإن الدلالة الأولى هي أنه بنى اختياره الأول على قراءات واسعة لم تؤثر في تحويرها تلك القراءات اللاحقة بشيء، وهذا افتراض إيجابي، يقابله أن القراءات الجديدة لم تكن كافية، أو أن الباحث لم يستطع أن يوظفها لصالح الوصول إلى نتائج ذات بال.

وتوضع الخطة القبلية بناء على القراءة الأولية وخيال الباحث، فهو من خلال تلك القراءة يرسم في ذهنه معالم رئيسة لهيكل البحث دون تفصيلات كثيرة؛ ومن غير المقبول أن تنقل الخطة من كتاب مشابه لموضوع الأطروحة طلباً لسرعة الإنجاز، واستنامة إلى دواعي الراحة وخلوداً إليها، وأسوأ منه أن تنقل الموضوع وخطته من كتاب سابق ظناً أن

(1) انظر إعداد الأطروحة الجامعية لكمال اليازجي ص: 25

(2) المرشد إلى كتابة الأبحاث 237

أحداً لن يقف عليه. ويعد كشف مثل هذه الخطة مرفوضاً ومخجلاً، ليس لما يتصف به مقدمها من الكسل والاعتماد على الآخرين، ولكن لشروعه في الخيانة العلمية بملء هذا الهيكل بمادة البحث السابق أو أغلب أفكارها.

ومن المحذورات أن تنقل قالباً جاهزاً إلى عمل يختلف عنه كثيراً أو قليلاً في وثائقه، وأفكاره، ونتائجه، إذ لو تطابق العملان لكان الجهد فيهما تكراراً عبثياً.

وعلى ذلك فالخطة الأولية تشتمل على أبواب وفصول عامة بالقدر الذي تسمح به القراءات العاجلة، لأن تفصيلها في هذا الوقت سبق للأحداث، والخطة هنا غير نهائية ولا ملزمة، أما الخطة التفصيلية فتكون بعد القراءة وجمع الملاحظات وتحليلها وتركيبها، ويقصد بالتحليل عزل عناصر الموضوع لمعرفة مضامينها وخصائصها وعلاقاتها، ويدخل في ذلك التحليل الخارجي والباطني، ويقصد بالتركيب هو إعادة بناء ما تم تحليله في العملية السابقة، ومن ذلك تصنيف الملاحظات وفحصها وترتيبها في خطة تفصيلية دقيقة، ثم في صياغة محكمة[1].

ويحتاج الباحث في الوصول إلى التفاصيل الشاملة لنوع من التبويب الدقيق، وينبغي التنبيه إلى أن الكتب الكبرى يمكن تقسيمها إلى كتب وأبواب تحتها أقسام أو فصول وتحت الفصول مباحث، أما الكتب الأصغر حجماً فيحسن تقسيمها إلى فصول ومن ثم تجزئتها على النحو التالي:

(1) انظر منهج البحث في التاريخ. د. محمد عبد الكريم الوافيص: 93 وما بعدها

الفصل الأول

(عنوان الفصل)

المبحث الأول: (عنوان المبحث)

أولا: (عنوان صغير)

1 ـ (عنوان أصغر من سابقه)

أ ـ (قد تصاغ الفكرة دون حاجة إلى عنوان، وفي حالة وجوده يكون أصغر من سابقه)

ـ (تصاغ الفكر ة عادة دون حاجة إلى عنوان)

وبعد استنفاذ المبحث الأول بأوله وثانيه، وربما بثالثه ورابعه، وبما في كل نقطة من تفصيلات تحت حروف أو شرطات أو عناوين صغيرة، يتحول الباحث إلى المبحث الثاني، مراعياً متطلبات البحث دون أن يلزم نفسه قسراً بجميع التفاصيل السابقة، فإذا كان التطابق جاء عفواً وبلا تعسف عُدّ حسنة من حسنات الباحث. فإذا أكمل مباحث الفصل انتقل إلى فصل آخر في حرص على التوازن غير المتعسف.

شروط وضع الخطة:

ينبغي أن يراعي واضع الخطة جملة من الشروط حتى يتمكن من إعداد خطة مقبولة، وهذه الشروط هي:

1 ـ أن تكون فصولها شاملة لمحتويات الموضوع، جامعة لتفاصيلها، فإذا ندّ شيء من ذلك كان نقصاً مخلاً بالبحث، وموضعا لانتقاد المتلقي.

2 ـ ألا يكون داخل محتوياتها ما لا يمت إليها بصلة وثيقة، وينصح في

هذا الصدد بالابتعاد عن ضم المداخل والتمهيدات والمقدمات إلى صلب البحث، فذلك مأخذ شائع، وعيب مشين ينبغي ألا يكون في البحث الجامعي، ناهيك عن وجوده في الرسائل العليا والدقيقة.

3 ـ أن تترابط الفصول والمباحث بروابط منطقية، بحيث يسلم الأول منها للتالي، وتكون الخاتمة جماعا للنتائج والمقترحات والتوصيات.

4 ـ أن يكون لكل فصل خيط يربطه بالعنوان، وفق منهج محدد.

5 ـ أن تخضع الخطة للتغير وفق ما تظهره مسيرة البحث من نتائج وكشوف، لأن ذلك هو مظهر حياة البحث ونمو أفكاره، وقدرة صاحبه على اكتشاف الجديد من أغراض البحث ومقاصده في ميدان دراسته.

الخطوة الثامنة: الصياغة الأولى وشروطها:

الآن وقد جمعت المادة العلمية، وقسمت إلى فصول متمايزة، ورُتبت الأفكار داخل الفصل الواحد، فليس على الباحث إلا أن يشرع في صياغة أفكار بحثه وفق التنظيم المتسلسل الذي ارتضاه، وأن يمنحها من أسلوبه الخاص ما يكسبها صفة الإبداع والذاتية الأسلوبية، باستثناء النصوص التي يحافظ فيها على أسلوب أصحابها.

وفي هذه المرحلة يُتوقع من الباحث أن يرسم لنفسه شخصية متميزة في المناقشة، والبرهنة، والتحليل، والاستنتاج، وحسن الإفادة من الوثائق، وتوظيف الأمثلة والاقتباسات، بحيث تكون في انسجام مع سائر أفكار البحث، وتحت سيطرة الباحث الأسلوبية، لا أن تكون مجموعة من

النصوص المتلاصقة التي تضيع معها شخصيته، ويكون مجرد خادم لها عوض أن تكون في خدمته.

ويراعى في الاقتباسات من آراء الآخرين تلك الشروط التي ذُكرت في صفة الأمانة العلمية، وفي شروط الاقتباس، وذلك بأن توضع الفكرة بأسلوب صاحبها في النقل المباشر بشروطه، وأن تصاغ بأسلوب الباحث في النقل غير المباشر، كما تقدم، وبالشروط المذكورة في قواعد الاقتباس أيضا[1].

ولما كانت مرحلة الصياغة على قدر كبير من الأهمية، لأنها المحك العملي لقدرة الباحث على الإبداع في عملية البحث والتعبير عن ذاته، كانت هذه المباحث التي قدمناها عن التفكير السليم وأخطائه، والكتابة العلمية وشروطها، ومناهج البحث، وأغراض التأليف، وعمليات التفكير، والإجراءات البحثية، وقواعد الاقتباس، كلها في خدمة هذه المرحلة، ولا يمكننا أن نعيدها هنا، ولكننا يجب أن نستحضرها، لأن هذا هو موضع استخدامها وتنفيذها.

وقد يتساءل الباحث في هذه المرحلة عن حجم البحث الذي عليه أن ينجزه. فهل في العمل العلمي الضخم قيمة تميزه عن العمل الصغير الحجم، أو أن العكس هو الصحيح؟

يتباهى بعض الناس بضخامة أعمالهم وكثرة كتاباتهم، فيقيمون الكتب العلمية بمدى ما فيها من صفحات، لأنها في نظرهم دليل على

---

(1) انظر كيف تكتب بحثا أو رسالة لشلبي ص 100 ومنهج البحث في العلوم الإسلامية للدسوقي 127، وانظر preparing Reesarch paper: p: 10 وفيه أن الاقتباس المسموح به ليكون جزءاً من البحث، ويقع بين علامتي التنصيص لا يزيد عن خمسة أسطر.

الجهد المبذول والعمل الموصول، ويرى غيرهم أنك ذلك مأخذ على صاحب البحث لا مزية فيه، وهو عبء على القارئ والمناقش والطابع، وقد بلغ ببعضهم الأمر إلى أن يُشرع نصا يمنع فيه تقديم الرسائل التي يزيد حجمها عن رقم محدد لا يجوز تجاوزه، وهو منظور فيه إلى قدرة المناقشين على إنجاز قراءة البحوث والصعوبات التي يكابدونها في قراءة طويلة، كما أنه يلاحظ حرص بعض الباحثين على الاحتفاظ بكل ما يجمعه من مادة علمية، وعدم تضحيته بما خارج منهجه من المعلومات والتفاصيل، وإذا كان أصحاب الاتجاه الأول يباهون بالقدرة على الاستيفاء والشمول، فإن أصحاب الاتجاه الثاني ينتصرون للقدرة على الاختصار وتحديد الأفكار، مرددين قول القائل تقبل عملي على ما فيه من الطول لأنني لا أملك الوقت الكافي للإيجاز.

والأقرب للموضوعية القول إن حجم البحث يعتمد على إثبات القدر اللازم من الألفاظ والجمل لتغطية المعاني المطلوبة، ليكون موضوع البحث واضحاً تاماً، وسليماً مفيداً، أي واضحاً في معانيه تاماً في هيكله، سليماً في بنائه اللغوي والفكري، ومفيداً بأدائه لغرض من أغراض البحث التي تعارف عليها العلماء، فالعبرة ليست بعظم حجم البحث، ولا باختصاره الشديد، ولكن بتحقيقه لغرضه واستيفائه لشروط البحث الجيد.

وعلى ذلك فإن من يباهي بكبر حجم بحثه يُحاكم إلى مدى تطبيقه لتلك الشروط، فإذا كان مع تلك الضخامة خالياً من الحشو والتكرار والاستطراد، واضح المنهج غير زائد عن متطلباته، كانت الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، يُشكر عليها الباحث، ولا عبرة بما تُسببه للقارئ أو الناشر من جهد أو مال، فهما مخيران بين الإقبال عليه والإحجام، أما إذا

كان متزيداً مكثراً من الحشو والاستطراد والتكرار، مطيلاً في استعراض النقول؛ مضطرب المنهج كانت ضخامة البحث ضرراً على العمل وعلى صاحبه والمتعامل معه، ودلت على عيب في المنهج وطريقة التفكير، وهي قد تدفع المناقشين إلى ردِّ البحث وطلب الإيجاز قبل الوصول إلى مرحلة المناقشة.

ومن جهة أخرى فإن المباهي بالاختصار والإيجاز، المفاخر بقدرته على التكثيف والتلخيص محاكم إلى شروط البحث، لمعرفة سلامة عمله من الإخلال والنقص والقصور في مبانيه ومعانيه، فإن كان مع اختصاره متمماً لمراده، موفياً بشروط بحثه، واضحاً في معانيه سليماً من الخلل والبتر والتقصير، حُسب له ذلك الإيجاز بلاغة وحكمة، ونوقش بحثه على ضوء ما قدَّمه من مادة علمية موثقة فكان جديراً بالرفع من شأنه، لأنه استطاع أن يضع معانيه في القالب المناسب دون تقصير.

وكلما كان الموضوع واضحَ العنوان محدود الجوانب الموضوعية والزمانية والمكانية، كانت الإحاطة به أيسر، وكان إيجازه أبعد عن الإخلال، والإطالة فيه أبعد عن التزيد والحشو.

محتويات البحث:

يحتوي البحث على مقدمة، وأجزاء يمكن تسميتها بالأبواب، أو الأقسام، أو الفصول، وتتفرع هذه إلى تفريعات أصغر، تُسمى بالمطالب أو المباحث حسب ما تقدمت الإشارة إليه في الخطة التفصيلية.

والمقدمة هي آخر ما يُكتب، وتشتمل على تنبيه عن مشكلة البحث أو قضيته، وأهميته، وأهدافه، وعرض نقدي للدراسات السابقة فيه،

ومنهج بحثه، وخطته، ومصادره الأولية، والصعوبات التي واجهت الباحث بصدده.

ثم تتسلسل أجزاء البحث منطقياً بحيث يسلم كل منها إلى الآخر حتى نهايته، أما الخاتمة فتخصص عادة لنتائج البحث، والتوصيات التي يقترحها الباحث على من سيواصل المسيرة من بعده، وربما وعد هو نفسه بتنفيذ هذه الاقتراحات مستقبلاً، أو كشف عن جهود مصاحبة في هذا المجال.

الحواشي والهوامش:

ضمن الصياغة الأولى تتم صياغة الحواشي والهوامش، ويُقصد بالحواشي قديماً تلك التعليقات التي يزيدها المؤلف أو غيره على أيٍّ من جوانب الصفحة، لغرض من الأغراض العلمية، كالتصحيح، والشرح اللغوي، أو التوضيح والتفسير لبعض المعاني الغامضة، أو الاستنتاج من نقطة معينة في المتن، والتعريف بعلم أو بلد، ثم تحول موضع المصطلح في العصور الحديثة إلى ما يكتب في أسفل دون أن يتغير محتواه، إذ ما زالت الحواشي مقصودة لتلك التعليقات المضيئة للنص. ومع ذلك فينبغي أن يكون لما يُكتب في الحاشية صلة ما بما يرد في المتن، وأن يكون مختصراً بحيث لا يثقل الأصل ويشتت ذهن القارئ، ويمكنه أن يحيل المستزيد إلى المصادر والمراجع.

أما الهوامش فتوضع في أسفل الصفحة أيضا، ولكن للإحالة إلى المصادر والمراجع، والإشارة إلى مواضع الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، فغرضها توثيقي غالبا، ومن الكتاب من يفضل كتابة الهوامش في صلب البحث، ومنهم من يفضلها في نهاية

كل فصل أو في نهاية الكتاب بكامله بأرقام مسلسلة على المستويين، غير أن كتابة الهامش أسفل كل صفحة، وبأرقام جديدة يبدو أكثر قبولا عند معظم الباحثين في الوقت الحاضر.

وتكمن أهمية الهوامش فيما يلي:

1 ـ توثيق المادة العلمية بمصادرها ومراجعها التي تعد براهين الباحث النقلية على ما يقدمه من معلومات وحقائق، وبذلك يثق القارئ في صحة النقول، ويمكنه التأكد منها بالرجوع إلى أصولها المحال إليها.

وهو ما يجعل الناقل يحرص على الدقة لأنه أعطى مفتاح المراجعة للنقاد من بعده، فلا ينقل إلا صحيحاً بعد التأكد من موضع نقله وسلامته، ولا يتصرف بما يخل بالأصل. ولا يكفي أن يشار إلى المصدر بذكر العنوان وصاحبه في صلب البحث، لأن ذلك لا يقود إلى المصدر بسهولة، ولذا وجبت الإشارة إلى معلومات النشر كاملة في قائمة المصادر والمراجع، بل هناك من يلتزم بالإشارة إلى السطر أيضا لتكون الإشارة دقيقة ومساعدة على التتبع والاستفادة الموسعة.

2 ـ وتكمن أهمية الهوامش أيضا في أنها دليل على الأمانة العلمية للباحث، حيث تنسب الآراء والمعلومات إلى أصحابها، إذ لا يجوز للكاتب أن ينسب إليه ما اجتهد غيره في تحصيله، ووصل إليه بعد بحث وتنقيب وإعمال فكر، و لا يُقبل في ذلك الزعم بتوارد الخواطر، أو وقوع الحافر على الحافر، وعلى الباحث أن يكون على صلة بمن كتب قبله في موضوعه، وأن يشير إليه متى تطابق ما يورده مع آراء ذلك المتقدم.

3 ـ والفائدة الثالثة لإيراد الهوامش هي إفادة القارئ مرتين، أولا: بالمعلومات الجديدة التي يحتويها البحث، وثانياً: بمصادرها الوثقية، وبذلك يمكنه من توسيع دراسته ومداركه، ولربما كانت هذه الفائدة الأخيرة أهم في نظر بعض القراء من الأولى، لاهتمامهم بتوسيع معارفهم حول النقطة المثارة بواسطة الاطلاع على أكبر قدر من مصادرها المذكورة في الهامش.

4 ـ أما الحواشي فإن أهميتها في تلك الإضاءات التي تمنحها لأغراض علمية متعلقة بالمتن، ولكنها غير متصلة به اتصالاً مباشراً يسمح بدخولها في نسيجه الداخلي.

5 ـ وتخفف الهوامش والحواشي من الإثقال على النص الأصلي بالمعلومات الإضافية، بالرغم من أهميتها، فهي ينبغي أن تثبت في الهوامش والحواشي لفائدتها، ولعلاقتها التوضيحية للنص، ولكنها لا تعتبر جزءاً من بنائه الفكري، وتسلسله المنهجي.

الخطوة التاسعة: المراجعة:

ويراد منها تصحيح وتنقيح الصياغة، وملاحظة ترتيب الأفكار الجزئية، وإحكام الربط بينها في المواضع التي تحتاج إلى ذلك، وتقتضي هذه المرحلة شيئاً من التعديلات الفكرية والأسلوبية، كالإضافة، والحذف، والترتيب، والتصحيح، بل ربما احتاج الأمر إلى العودة إلى القراءة للتثبت من قضية، أو إثراء موضع فقير، أو الشك في أمر من الأمور، وتغيير ما يلزم وفقا للمستجدات.

وعلى ذلك فمرحلة المراجعة ليست مجرد إعادة للقراءة وتصحيح الأخطاء الإملائية، على أهمية هذا الأمر أيضا، ولكنها قراءة متأملة وناقدة

لكل ما سبقت كتابته، مع استحضار خطة البحث ووثاقه، والرجوع إلى المصادر عند اللزوم لتغيير ما يلزم تغييره.

الخطوة العاشرة: إعداد النسخة النهائية:

يُقصد بهذه الخطوة النهائية من رحلة البحث تبييض المادة العلمية بعد تنقيحها ومراجعتها، وإلحاقها بالفهارس اللازمة بعد استقرار صفحاتها، وتخضع شروط إعداد النسخة النهائية إلى تعليمات جامعية تتعلق بحجم الخط، والهوامش، وعدد الأسطر، وما يُكتب على الغلاف وغير ذلك مما قد يختلف من جامعة إلى أخرى، ويكون قسم الدراسات العليا هو المرجع في الاستفهام عنه.

الخطوة الحادية عشرة: الفهارس:

لقد باتت الفهارس تستحوذ على اهتمام المشتغلين بالبحث العلمي، لأهميتها في مراجعة الأعمال العلمية دون حاجة لقضاء وقت طويل في القراءة بحثا عن علم أو بلد، أو كتاب، أو غيرها من المعلومات ذات الخصوصية التي يمكن فهرستها.

ولذا أصبحنا نجد إلى جانب فهارس الموضوعات، فهارس للأعلام، والأماكن والقوافي، والآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والمصطلحات العلمية، أو ما يسمى بالمفردات الخاصة بصفة أعم.

وقد يسرت الآلات الحديثة، وفي مقدمتها الحاسوب خدمات الفهرسة بما جعلها ميسورة إلى حد بعيد.

الكتـــابـة
أساليبها وأنواعها

معالجة الكتابة النثرية عمل يحتاج إلى مران وثقافة أكثر من حاجته إلى قواعد ونظم محددة، على أن هذه الأخيرة تساعد دون ريب في تنسيق أفكار الكاتب وتحسين أساليبه الكتابية. وسيجد القارئ في هذه العجالة تصوُّراً لهيكل الموضوع النثري، وإشارة إلى أدوات الكتابة، وبياناً موجزاً لخصائص الأساليب والأفكار، وتذكيراً بأنواع الكتابة، وطبيعة كل نوع منها.

وتبقى هذه النظرات أفكاراً مجردة إذا لم يحرص الدارس على تنفيذها في أعمال تطبيقية مستمرة منفردا، أو تحت إشراف أستاذه، وبهديٍ من توجيهاته الإضافية، إذ تكمن أهمية هذه التوجيهات في مراعاة الحالة الخاصة بالدارس، والوقوف على مشاكله المتعلقة بالكتابة، كالإملاء، والخط والرصيد اللغوي، والنحو، وعلامات الترقيم، وغيرها من الملاحظات التي يمكن أن يجدها الأستاذ في كتابة طلابه، ويعمل على علاجها ضمن التطبيقات الكتابية.

والنصيحة التي يجدر بنا أن نسديها بين يدي هذا الموضوع، هي أن

تتحول الكتابة لدى الدارس إلى هواية يومية، تستوي في ذلك الكتابة الذاتية كالمفكرات، والأعمال الخاصة، والكتابة للآخرين في الصحف والمجلات المدرسية، والدوريات العامة، فذلك هو أساس تكوين الأسلوب الجيد.

غير أن النبوغ في الكتابة مع حاجته الحقيقية إلى الممارسة الدائمة يحتاج إلى شيء آخر مهم هو القراءة التي تطلعه على عروض مختلفة من أساليب الكتاب الممتازين، وسنقف عند نماذج من تلك الأساليب التي لا تعني أنها ممثلة لجميع الأساليب العربية الممتازة قديما وحديثا، فما أهمل قد يكون أبلغ مما ذكر، ولكن ما سيرد ذكره من نماذج معدود في النصوص الأدبية الرفيعة.

هيكل الموضوع النثري

كتابة موضوع نثري ما، بحثاً كان أو مقالة أو رسالة أو غيرها، يحتاج إلى تخطيط وتنظيم فكري، ونسيج أسلوبي يجعله في صورة موحدة ومتناسقة، ولذا كان تخطيط الهيكل العام للبحث على درجة كبيرة من الأهمية، باعتباره يضع الحدود الرئيسة للموضوع، فيما يشبه وضع خريطة تحتوي على المعالم الأساس لأي هيكل معماري، ثم يكون النسج على ذلك المنوال هو اللحمة والسدى اللذان يوضحان طبيعة العمل، ويظهران قيمته العلمية.

ومثلما يتكون البناء من أحجار متجاورة، وأشكال متناسقة، وأعمدة راسخة يقوم عليها البنيان، ثم من جدران محصورة بين تلك الأعمدة، يتكون الموضوع النثري من ألفاظ مختارة، وجمل متآلفة، وفقرات

مترابطة، وفصول منتظمة. ولك من هذه العناصر شروط وخصائص تجعلها صالحة لإقامة هيكل نثري جيد.

أولا: الألفاظ

الألفاظ هي الوحدات الصغرى في العمل التأليفي، و هو لا يكتمل قيمته إلا إذا روعيت في هذه الوحدات شروط الاختيار الجيد، ومنها:

1 ـ الوضوح:

وهو أن تكون الألفاظ معبرة تمام التعبير عن مراد الكاتب، بلا لبس، أو غموض، أو احتمالات، فالكلمات الغامضة، أو تلك التي تضع ضبابية بين المتلقي والمعنى المراد تؤثر سلباً في وضوح المعنى وأداء الرسالة المراد تبليغها، ويحسن بالكاتب أن يبتعد عنها لأنها تعرض أفكاره لسوء الفهم، وربما صرفت القارئ عن متابعتها بما تبعثه في نفسه من السآمة والحيرة.

إن اللفظة الجيدة هي التي تجعل الذهن يقفز إلى معناها مباشرة، دون احتمالات أو ظنون، ليوفر تأمله في فهم الأفكار العويصة التي تستحق ما يبذله فيها من تفكر وتأمل، ويحسن أن تساعد الألفاظ الواضحة في تقريب تلك الأفكار العويصة لا أن تساهم في تعتيمها.

والمباشرة في المنهج العلمي للكتابة تختلف عن المباشرة غير المطلوبة في تناول الموضوعات التوجيهية الأدبية الساذجة التي تحرم القارئ من استخدام ذكائه وفطنته، وتعامله معاملة الأطفال في التوجيه والتعليم، والفرق بين المباشرة هنا وهناك من الواضحات التي لا تخفى.

وعلى ذلك فالوضوح المراد هنا يتطلب مجانبة الألفاظ الضعيفة،

والمعقدة، والغامضة، وكذلك المصطلحات العلمية غير الشائعة مالم يوضحها الكاتب في هامش بحثه. ولا بد من التذكير بأن وضوح الفكرة وترتيبها ونضجها في ذهن الكاتب يساعده في اختيار الكلمات الواضحة والمؤهلة لتقديمها في صورة جيدة.

2 ـ الدقة:

هذه النقطة وثيقة الصلة بسابقتها ولكنها غيرها في الواقع، فقد تكون الكلمة واضحة المعنى، ولكنها غير معبرة بدقة عن المعنى المراد، ويكون في مرادفاتها ما يصلح لذلك الغرض أفضل منها. ويُخشى في هذا المقام من سوء استعمال الكلمات القريبة المعنى مع وجود فروق قليلة بينها كالمترادفات والمشتركات اللفظية، والمصطلحات المستعملة في علوم مختلفة بمعان متباينة وإن كانت متقاربة كالقياس الذي يستخدمه الرياضيون وأهل المنطق، وأهل أصول الفقه وغيرهم بطرق خاصة بكل علم، والكلمات ذات المعاني العامة الصالحة لأكثر من مفهوم، أو تلك التي تطورت دلالتها حتى صرفت الذهن عن معناها الدقيق.

3 ـ التأثير والحيوية:

ليست كل الألفاظ بمتساوية في تأثيرها على المتلقي، وإن تطابقت معانيها، فهي تختلف في إيحاءاتها ورموزها، ورقتها وجزالتها، واستعمالاتها المستحسنة أو المرفوضة، اجتماعياً أو سياسياً أو علمياً، فمن الألفاظ المبتذل والبالي والركيك، ومنها الكلمات ذات الدلالات المحسوسة والمجردة والمركزية والهامشية، والكاتب المجيد هو من يختار لموضوعه ما يمنحه التأثير والحيوية ويجنبه التعقيد والرتابة.

ثانيا: الجمل

لا تقل الجمل أهمية عن الألفاظ في تأسيس هيكل الموضوع النثري، فهي أول الكلام المفيد لمعنى يحسن السكوت عليه، وفيها تظهر مهارات اختيار الألفاظ وتآلفها وأدائها للمعاني التي يتطلبها المقام. والعناية بها تعني حسن صياغتها، وسلامتها من الأخطاء النحوية وغيرها، وإجادة أساليبها بمراعاة مقتضى الحال الذي سيقت الجملة تعبيراً عنه، واجتناب الضعف الناتج عن التفكك بكثرة المتضايفات، أو الفصل الطويل بين أجزاء الجملة، والرتابة والسرد الذي يُفقد الجمل حيويتها.

ومن حسن العناية بالجملة إتقان التآلف بين مفرداتها، فوضع الكلمة الجزلة مع السهلة، والحوشية مع الحضرية، والفخمة مع الرقيقة، يخلق نشازاً تمجه الآذان، ولا تقبله الطبائع السليمة، ومن حسن التآلف عدم تكرار الكلمات في الجملة الواحدة أو في الجمل المتجاورة لغير نكتة بلاغية، وكذا تجنب الخلل في ترتيب أجزاء الجملة إلا لغرض بلاغي مقنع، فالتقديم والتأخير على أهميته في علم البلاغة قد يسيء للجملة إذا لم يستخدمه خبير ذواقة يعرف مواطن حسنه وقبحه.

وتراعى في الجملة العيوب المعنوية والبلاغية، فلا يؤكد الكلام حين ينبغي عدم التأكيد، ولا يكون الفصل بين الجمل حين يجب الفصل أو العكس، ولا يكون الإطناب في غير بابه، ولا الإيجاز المخل. وأقبح أنواع الخلل ما أدى إلى حذف شيء أساس في الجملة، كحذف الجواب من الجملة الشرطية، أو حذف خبر إن أو كان من الجملة الناسخة، وقد حدث هذا ويحدث في بحوث الطلاب الذين يطيلون الجمل فيغفلون عن إتمامها، وتشغلهم سبل أخرى من التفكير عن إتمام ما شرعوا فيه، ولم

يحفلوا بمراجعة أعمالهم فقدموها على علاتها، وعلاج آفات الجمل يتم بمطالعة النماذج الرفيعة من النثر الفني أكثر من قراءة القواعد على أهميتها، لأن مطالعة النصوص القيمة تكسب القارئ السليقة والذوق الذي يولد الإحساس بمواطن الضعف والقوة في الأساليب، كما يكون العلاج بمراجعة المادة المكتوبة قبل تقديمها، لأن من حسن العناية بالعمل العلمي تنقيحه وتصحيحه وإمعان النظر فيه خلال مرحلة المراجعة لما له من دلالة على الإتقان، ولما فيه من أهمية كبرى في تلافي قصور السهو والنسيان وانتقال النظر، ومراجعة الأخطاء المختلفة.

وعلى الكاتب أن يراعي إتمام الجملة بما يجعل الوقف عند نهايتها مقبولاً، والسكوت حسناً ومتوازناً مع الجمل الأخرى شكلاً وموضوعاً، إذ ليس تمام الجملة مقتصرا على سلامتها اللغوية، ولكنه يتطلب التناسق بين جمل الفقرة، وإحكام نسجها، وتنويع أساليبها وفق قواعدها المعروفة.

ومعلوم أن في العربية جملتين هما الجملة الإسمية والجملة الفعلية، وأن الجملة الإسمية تتكون من مبتدإ وخبر، أما الجملة الفعلية فتتكون من فعل وفاعل، وقد زاد بعضهم الجملة الشرطية، ويراها غيره فعلية إن بدأت بفعل وإسمية إن بدأت بفعل[1] ولكل من هذه الجمل قواعد وأصول نحوية وبلاغية تنبغي مراعاتها.

والاهتمام بالجمل لا يعني أن يقف الكاتب عند كل جملة يكتبها بداية، فيعيد فيها النظر حتى يتأكد من سلامتها من جميع النواحي ثم ينتقل إلى غيرها، فهذا أمر قد يقطع تسلسل أفكاره، ويحرمه من مراعاة الجملة داخل سياقها العام، فالمطلوب عكس ذلك تماماً، أي أن يدوِّن أفكاره

---

(1) انظر إعراب الجمل وأشباه الجمل / قباوة 25

بصورة عامة، ويجتهد في أن تكون جمله صحيحة مترابطة حتى ينتهي منها، ثم يعود إلى ما كتب فيراجع ويضيف أو يحذف وينقح ويصحح، حتى يضع النص في الشكل الذي يرضى عنه ويقتنع به.

ثالثا: الفقرات

والفقرة هي المقطع النثري ذو الفكرة الرئيسية الواحدة الموضحة بالأمثلة والتوضيحات والأدلة أو البراهين والأسباب والتحليلات و الإحصائيات وغيرها مما يستخدم عادة لتوضيح الفكرة وبيان تفاصيلها. وتحتوى كل فقرة على جملة رئيسة تمثل الفكرة العامة للفقرة ومجموعة من الجمل الجزئية المفصلة والمفسرة أو المبرهنة المتصلة بها اتصالاً وثيقاً وتسمى تلك الجمل بالجمل الداعمة للجملة الرئيسة.

إن تأليف كتاب كامل يبدأ من بناء فقرة صحيحة، ولهذه الفقرة شروط شكلية وأخرى معنوية نوجزها في الآتي:

1 ـ يحسن عند كتابة كل فقرة جديدة أن يبدأ السطرُ الأول منها بفراغ يقدر بخمس مسافات للآلة الكاتبة، أو بموضع إبهام متوسط الحجم في الورق المتداول ـ خلافاً لبقية أسطرها ـ وتكون المسافة بين الفقرات أوسع نسبيًا من تلك التي تفصل بين الأسطر في الفقرة الواحدة، وهو ما يكفل للموضوع الإضاءة وحسن التقسيم.

2 ـ الحجم الطبيعي للفقرة يتوقف على تمام النقطة الفكرية المحددة التي تناقشها، على ألا تطول هذه الفقرة حتى تبلغ صفحة كاملة وألا تختصر حتى تكون في سطر أو سطرين، والحجم المتوسط عادة هو سبعة أسطر، قد تزيد أو تنقص دون مؤاخذة إذا كانت بين الحدين الأقصى والأدنى المشار إليهما، فالطول المفرط يجعل الكتابة أشبه

ما تكون بالمخطوطة التي فقدت الإضاءة بين أفكارها، وفقدت بذلك عنصر شد القارئ إلى متابعة أفكارها، ووقوفه عند كل فكرة بتأمل وعناية. وفي المقابل فإن الاختصار المخل لا يسمح بمناقشة الفكرة المتناولة، ولا يثريها بالنقاط التفصيلية التي سبقت الإشارة إليها.

3 ـ لما كان الغرض من كتابة الفقرة هو عرض فكرة محددة، ومحاولة إقناع القارئ بها قبل الانتقال إلى الفقرة التالية، فإن الحاجة إلى ذلك الإقناع تستوجب توفير الأدلة الكافية والنقاط المفسرة، والمعلومات المتممة والموضحة لفكرته، والشروح اللفظية والمعنوية التي لا تترك مجالاً لخفاء جانب من جوانب تلك الفكرة، وتحسم النقاش فيها لصالح الكاتب ووجهة النظر التي يتبناها في حدود إمكاناته المنطقية والمعلوماتية.

4 ـ ولتحقيق الغرض السابق ينبغي أن يتحلى الكاتب بالوضوح في لغته وأفكاره، فيبتعد عن الكلمات الغامضة وغير الدقيقة، وعن الجمل العامة التي لا تؤدي الدلالة الصريحة للمعنى المراد.

5 ـ كما أن تنظيم الأفكار الجزئية داخل الفقرة وتسلسلها يتيح للقارئ متعة متابعتها، وسرعة تحصيل المراد منها، ولا يشوهها بالتعقيد والتقديم والتأخير المخل بالمعنى، ولا يأخذ من وقت القارئ بإعادة القراءة أو التأمل الطويل، ولا يدفعه إلى السآمة والملل من الاستمرار فيها.

6 ـ إجادة الصياغة التي تعد عنصرا مهما من عناصر بناء الفقرة، ويتم ذلك عن طريق الاختيار الموفق لألفاظها، وإحكام بناء جملها، وسلامتها من عيوب البناء المختلفة المذكورة في موضوع الجمل،

وإذا كان البناء المنطقي ضرورياً في نجاح مضمون الفقرة فإن الأساليب التي تصاغ بها لا تقل أهمية عن ذلك المضمون، لأنها الوعاء الذي يقدمه للقارئ.

7 ـ ومن تمام نجاح الفقرة جودة الربط بين جملها، بحيث تسلم كل جملة إلى أختها، ويراعى إعراب الجمل في تبين محلها، لأن الإعراب فرع المعنى وبه يستقيم المضمون ويتضح، كما يراعى استخدام ألفاظ بعينها لربط الجمل، كالظروف وحروف الجر، وبعض الأحوال، ومن الكلمات المستخدمة في الكتابات الصحفية للربط ألفاظ مثل: (وأخيرا، وبعد ذلك، وعندئذ، وما زال، وبالرغم من، ومن جهة. . . ومن جهة أخرى، ومع أن، والأهم من ذلك).

8 ـ وبتكثيف كثير فإن كل ما يتوجب من شروط لقيام كتابة جيدة يمكن يتطلبه بناء فقرة ناجحة، مثل حسن استخدام علامات الترقيم، واللغة وقواعدها، والتفكير المنطقي وتجنب عيوبه، وحسن البرهنة، ولذلك كان من يستطيع كتابة فقرة ممتازة مؤهل ـ من حيث الصياغة ـ لأن يؤلف كتاباً كاملاً.

الروابط بين الفقرات:

الأفكار في الفقرات ينبغي أن تتحرك إلى الأمام بتسلسل منطقي، تماماً كما تتحرك من جملة إلى أخرى داخل الفقرة الواحدة، فالنص وحدة منطقية مترابطة، يجب أن تحافظ على سلاسة أفكارها، وتواصل قضاياها، فلا يُقدَّم ما يستحق التأخير، ولا يؤخر ما يستحق التقديم، لغير نكتة بلاغية واضحة، وغير مخلة بالمعنى، فكل فقرة، ينبغي أن تظهر في شكل خطوة

طبيعية إلى الأمام، من حيث انتهت الفقرة السابقة لها. وستكون كذلك إذا توفر لها الآتي:

1 ـ إذا تجاوزت الثغرة الواسعة بين الأفكار، بحيث لا يضيع القارئ وهو ينتقل من فكرة إلى أخرى، ولا يفقد التواصل بين أفكار النص. وتتكون تلك الثغرة أساسا من وجودها في ذهن الكاتب، فلو كانت الأفكار واضحة ومنتظمة في ذهنه ما كان لهذه الثغرة أن تنشأ، وإذا كان لها أن تتسرب في مرحلة الصياغة الأولى فإن المراجعة كفيلة بعلاجها ما دامت الأفكار واضحة المعالم متكاملة التفاصيل.

2 ـ إذا استخدمت الكلمات الرابطة لتنبه إلى العلاقات بين الأفكار والعناوين، وقد سبقت الإشارة إلى أمثلة من هذه الكلمات، ومنها أيضا تكرار بعض كلمات النص المهمة أو مصطلحاته.

3 ـ إذا رُبطت الفقرات بكلمات رئيسية في الفقرتين المتتاليتين، أو بالإحالة إلى فكرة أو مَعْلم أو شخصية مذكورة في الفقرة السابقة(1).

رابعا: الفصول

إذا كان العمل الكتابي يبدأ من الكلمة وينتهي بأكبر قسم من أقسام البحث المسمى فصلاً أو قسماً أو باباً، فإن البداية في تخطيط هيكل البحث تنطلق، بعد اختيار الموضوع، من تقسيمه إلى تلك الأقسام الكبرى، والتي اخترنا لها هنا اسم الفصول، استغناء به عن غيره من التسميات، ولأن ما يجري عليه من الشروط والمواصفات ينطبق عليها غالبا.

وكما تكوِّن الكلمات الجملة، وتكوِّن الجمل الفقرة، يتكوَّن الفصل

---

(1) Scll. Foresman: Guide to Modern english p: 135.

من عدة فقرات موزعة على القضايا التي يتضمنها، ولذا فإن الشروط التي سبق الحديث عنها في صياغة الفقرة، والترابط بين الفقرات وتسلسلها المنطقي تعد شروطاً أساسية في قيام فصل محكم ومترابط، وهو ما يسهل علينا الآن تحديد المواصفات العامة للفصل الجيد، وذلك لأن الوفاء بالشروط السابقة لبناء الفقرة يحقق هذه الغاية على النحو المطلوب.

على أن هناك ملاحظات عامة في تأسيس الفصل وما ينبغي أن يراعى فيه يمكن أن تزيد في وضوح الرؤيا وتحسين المظهر العام لفصول البحث، فمن هذه الملاحظات:

1 ـ يجب أن تكون الصلة واضحة بين الفصل والعنوان الرئيس، بحيث يخدم بشكل مباشر جانباً من جوانبه، ولا يكون تمهيداً أو مدخلاً من مداخلها، فمحل التمهيدات والمداخل خارج جسم البحث، فلو فرضنا أن موضوعنا هو دراسة فقه أبي حنيفة، فإن الحديث عن عصره وبيئته يكون في المداخل لا في صلب البحث، على الرغم من إحساسنا بأهميته في فهم الظروف التي نشأ فيها الرجل، وقس على ذلك كل مبحث أو فصل لا يمت إلى عنوان الموضوع بشكل مباشر.

2 ـ ويفضل أن تتقارب فصول البحث في المستوى من حيث خدمتها لموضوع البحث، وقد سيقت عبارة التفضيل والمقاربة لأن اشتراط التساوي في الأهمية غير وارد وغير ممكن، ولكن تركيز القضايا المهمة في فصل واحد وإهمال العناية بالفصول الأخرى يؤثر سلبا على قيمة العمل في صورته الكلية.

3 ـ وما يقال في القضايا يقال في أحجام الفصول، فعلى الكاتب أن

يراعي التوازن في أحجامها، فلا يجعل بعضها في مئات الصفحات وبعضها الآخر في صفحات قليلة، على أن ذلك لا يعني التطابق المتعسف في تحديد تلك الأحجام، إذ من الطبيعي أن تختلف فيما بينها بعض الاختلاف، نتيجةً لتباين حاجات أفكارها إلى المادة اللغوية الكافية لتبليغها، وإلى التفاصيل والأمثلة والنقاط الموفية بغرضها.

4 ـ ويشترط في الفصول أن تغطي جوانب الموضوع، فلا تندُّ عنها قضية من قضاياه، أو جانب من جوانبه، لأن ذلك يحدث خللا في الإحاطة بمجموع البحث ويؤثر سلبا في نتائجه التي لم تراعِ أركاناً مهمة تنبغي مراعاتها.

5 ـ ومما يراعى في تأليف الفصول المنهجية في توزيعها، والمنطقية والتنظيم في الانتقال بين قضاياها العامة، وأجزائها الداخلية، أو بين الفصول ذاتها، أي أن الانتقال يجب أن يكون متدرجا ومترابطا، بحيث تُسلم كل فكرة إلى الفكرة التالية، ويمهد كل فصل لتابعه، ليكون العمل أشبه بمقدمات ونتائج منطقية تُسلم كل خطوة فيه إلى الخطوة التالية، وتنتهي جميعها بنتائج سليمة مترتبة على ما سبقها من مقدمات.

والمنطقية في صورتها هذه تغنينا عن نقطة مهمة يلحُّ عليها المنهجيون، وهي وحدة العمل الفكري وتماسكه، وتجنبنا عيباً طالما حذروا منه وهو الاستطراد والتوسع أو الاختصار المخل.

6 ـ ويتصل بذلك أن تكون نظرة الكاتب إلى موضوعه شمولية، فلا يركز على نقطة دون أخرى، ولا يغفل عن جزئية يُعدُّ حذفها نقصا في

هيكل البحث، وهذا يعني توزيع عناية الكاتب على فصوله ومباحثه بالتوثيق، وحسن العرض، وإعطاء الأفكار والأساليب حظها من النضج والتنقيح والإحكام.

عيوب الفقرات والفصول:

تشترك الفقرات والفصول في جملة من العيوب نلخصها في الآتي:

1 ـ إهمال أيٍّ من الشروط السابقة في التوازن والتوثيق والصياغة، والمنهجية، والتنظيم، والصلة بموضوع البحث، والتقارب في الأهمية، وتغطيتها لجوانب الموضوع، وإغفال العناية بعلامات الترقيم، والشروط الشكلية والموضوعية الأخرى.

2 ـ الاستطراد، وهو الخروج عن تسلسل أفكار الفقرة أو الفصل إلى موضوعات خارجية لداعٍ من دواعي التشابه بينها وبين قضايا الموضوع الأصلي، فالحديث ذو شجون وفنون، ومن هذه الشجون والفنون ما لا يتصل مباشرة بعنوان البحث فيخرج بالكاتب دون وعي أو به من ميدان البحث إلى ساحة أخرى تخرج به عن المنهجية المطلوبة.

3 ـ سوء البرهنة على أفكار البحث وهو أن يقع الباحث أثناء البرهنة على قضايا موضوعه في أخطاء التفكير التي تناولها موضوع التفكير العلمي، الأمر الذي يعود سلبا على البناء الفكري للفقرات والفصول، ويحط من نتائج البحث ويبعده من تحقيق أهدافه.

4 ـ الخلل في الصياغة، بضعف التأليف بين أجزاء الكلام نتيجة لعيب نحوي أو أسلوبي أو معنوي، أو نتيجة لسوء اختيار الألفاظ المناسبة والدقيقة في تأدية المعنى.

5 ـ الاضطراب والتشويش الناشئ عن سوء التنظيم في ترتيب الأفكار في الفقرات والفصول، وذلك بتقديم ما حقه التأخير أو العكس، بما يؤثر في البناء الفكري لها، ويدخل في ذلك كل عيوب التفكير والتنظيم والمنهج التي تحدث تشويشاً واضطراباً في تسلسل قضايا البحث، وتحول دون تبليغها على الوجه المطلوب.

وسائل الكتابة

تتألف الكتابة من عنصرين مهمين هما الفكرة والأسلوب، ويعتمد الكاتب في أدائه لهذين العنصرين على سلامة وسائل الكتابة، والخبرة في استخدامها، فما وسائل الكتابة وكيف تتكون الخبرة في اكتسابها؟

وسائل الكتابة هي المهارات والاستعدادات الضرورية لوضع أفكار البحث في هيكل مناسب وإطار جذاب. ومن هذه الوسائل ما يأتي:

أولا: الرصيد اللغوي الحاصل من تنامي ثقافة الكاتب وسعة اطلاعه العلمي، فبقدر اتساع ذلك الاطلاع وعمقه في شتى الميادين الفكرية، وفي ميدان البحث على وجه الخصوص يتسع مخزون الكاتب من المصطلحات العلمية والمفردات الدقيقة في التعبير عن المراد، وهو ما يكوِّن الرصيد اللغوي، ويمكنه من تطويع ذلك الرصيد لمعانيه وأفكاره بيسر وقوة وجمال ووضوح.

وينصح الكاتب الناشئ بتنويع قراءاته بين أساليب الكتاب على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم وميولهم، ويُفضل أن يتدرج في ذلك بحسب سنه وقدرته على الفهم، وميوله الذاتية في اختيار المادة المقروءة، فكل

قراءة تسهم بحظها في تكوين الرصيد اللغوي والأسلوبي للقارئ، في كتاب كانت أو في مجلة، بحثا أو قصة أو قصيدة، وقد كان بعض الأساتذة ينصح لتنمية أسلوب الطلاب بالتدرج بين أساليب خيرة كتاب العربية في عصره، فيختار في المرحلة الأولى كتب المنفلوطي لما فيها من جمال ووضوح، ثم وحي الرسالة للزيات لما فيها من بيان وتدفق، ثم وحي القلم لما فيها من عناية بالأصالة والمضمون، ثم لكتب طه حسين لجمعها بين روح البحث وجمال الأسلوب، ثم لكتب العقاد التي تهتم بعمق الفكرة وتغوص في أعماق الفكر وتناسب المستوى المتقدم من الباحثين المتأملين. وعلى غرار هذه الأمثلة يوجد الكثير من الكتاب العرب والأجانب، فالقارئ ليس ملزما بأسلوب هذا الكاتب أو ذاك، ولكن يحسن أن ينتقي الأسلوب الذي يقبل عليه بنشاط ورغبة حتى لا يحدث له الملل فينصرف عن القراءة، أو يحس أنها واجب ثقيل على النفس.

ويرى المرحوم شكري الفيصل في محاضراته التي أملاها على طلاب الدراسات العليا بكلية التربية بطرابلس سنة 1979 في ميدان العلوم العربية والإسلامية أن الطالب الجامعي في حاجة إلى ترميم ثقافته العربية بقراءة كتاب قديم وآخر حديث في التخصص الذي اختاره، ووجه طلاب الأدب العربي إلى قراءة العمدة لابن رشيق أنموذجاً للمنهجية القديمة في البحث، وتحصيلاً لما فيه من فوائد نقدية وأدبية مهمة، وفي الدراسات الحديثة في الأدب وجههم إلى كتاب تاريخ الأدب العربي لطه حسين، ليطلعوا على منهجية المحدثين في الدرس الأدبي، وأرى أن يضيفوا إليه كتاب «مصادر الشعر الجاهلي» لناصر الدين الأسد حتى يطلع الباحث على نقد هذا المنهج فيأخذ منه ويدع.

كما وجه طلاب اللغة وعلومها إلى دراسة المزهر في علوم اللغة

والأدب أنموذجاً للكتاب القديم، وإلى دراسة بعض الأبحاث اللغوية واللسانية المعاصرة أنموذجاً لمنهجية المحدثين، وهكذا فعل في توجيه طالب الدراسات الإسلامية إلى كتاب قديم وحديث.

على أنه وجَّه الجميع إلى قراءة سلسلة يوم الإسلام لأحمد أمين، وأحسب أنه نبههم إلى ضرورة مراعاة تأثره في بعض الأحيان بأحكام المستشرقين غير المسلِّمة، وأكد أن الطالب الذي يمتلك عقلاً ناقداً وثقافة أصيلة لا تختلط عليه الأمور، ولا تخفى عليه مواطن الزلل ومواضع اليقين.

ثانيا: القواعد النحوية والصرفية التي يجب أن يكون الكاتب ملماً بها، وليس بالضرورة أن ينكب على أمهات الكتب المتخصصة فيتقنها قبل أن يحاول الكتابة، فينفق الجهود المضنية للتعمق في تفاصيلها ومعرفة شواذها وغريبها، مثلما يفعل المتخصصون، وإنما المهم أن يُلم بالقواعد العامة، وأن يتمكن من تطبيقها بيسر ومهارة، حتى يصبح استعمالها سليقة في بيانه المكتوب والمنطوق.

ثالثا: الإلمام بقواعد الإملاء والقدرة على الكتابة بخط واضح، ولا غنى للكاتب عن ذلك ولا ينبغي أن يتحرج من دراستهما في أي مرحلة من مراحل عمره، ويحسن أن يتقن استخدام الآلة الكاتبة، لأنها تضمن الوضوح، وبالرغم من أن أجهزة الحاسوب قد زُودت بمصححات إملائية لمراجعة ما قد يكون وقع فيه الكاتب من أخطاء، فإن ذلك لا يغني عن مهارة الكاتب الذاتية في الإملاء.

ويُحذر الكاتب بالخصوص مما قد يظنه من صغائر الأخطاء مثل إغفال همزات القطع، والخلط بينها وبين همزات الوصل وإهمال الحروف

المعجمة، وإعجام المهملة، وغيرها من الأخطاء التي يمكن أن يتداركها بشيء من العناية، ويقبح بالكاتب أن يُجريها على لسانه وقلمه، فينطبق عليه قول القائل:

فلم أر في عيوب الناس عيباً   كنقص القادرين على الكمال

رابعا: حسن استخدام علامات الترقيم ومعرفة مواضعها، والانتباه إلى دلالاتها، وهو مبحث حديث، لكنه يتصل في علوم العربية بعلامات الوقف والفصل والوصل، والعطف والفواصل والإشارات الكتابية المتعارف عليها في علم المخطوطات.

وتكتسي هذه العلامات أهميتها مما يأتي:

1 ـ التمييز بين الأساليب المختلفة، كالتعجب، والاستفهام، والفصل والوصل، والشرح والتفصيل، والتعليل، فتساعد القارئ على إعطاء كل أسلوب ما يناسبه من الاستجابة الصوتية والمدود الموافقة لها، وذلك لأن الصوت المعبر عن حيرة المستفهم غير الصوت المعبر عن دهشة المتعجب، ووقعهما على أذن السامع غير وقع هدوء أسلوب المجيب، واستغاثة المنادي، وذلك مما لا يخفى علينا من خلال استعمالاتنا اليومية للغة.

2 ـ تسمح علامات الترقيم بإضاءة النص بفصلها بين أجزاء الكلام، مما يساعد على الفهم، والوقف، ويريح النظر والفكر.

3 ـ تنبه القارئ إلى ما طرأ على المكتوب من حذف، وإضافة، واقتباس، واعتراض، فلا يخلط بين هذه الأنواع، ولا يقع في لبس بين أسلوب الكاتب وأسلوب غيره ممن استشهد بهم.

وعلامات الترقيم المنوه عنها هي:

1 ـ الفاصلة (،) ويؤتى بها للفصل بين الجمل مثل: بلغني أنك تعكف على الدراسة، وتمارس الرياضة، والمفردات المتعاطفة، مثل: (أعضاء مجموعتنا الشمسية هي: الشمس، وعطارد، والزهرة، والأرض، والمريخ، والمشتري، وزحل، ونبتون، أورانوس بلوتو.) وبعد القسم مثل: (والله، لقد فعلت كذا)، والمنادى مثل: (يا إبراهيم، قل لمن حولك كذا) وأكثر معلومات النشر عند تدوينها في قائمة المصادر مثل: (البيان والتبيين، لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1388).

2 ـ الشارحة ـ (:) وتوضع بعد لفظ القول، مثل: (قال صلى الله عليه وسلم: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) ولبيان الأنواع مثل: (والرسائل أنواع هي: الرسائل الديوانية، والرسائل الإخوانية، والرسائل العلمية) ولتفسير المبهمات والتعريف بالمصطلحات وغيرها من المعرَّفات، مثل: (الصلاة: لغة الدعاء...).

3 ـ الفاصلة المنقوطة (؛) وهي تفصل بين الجمل ذات الصلة السببية كقولنا: (لم يحج بعد؛ فمرتبه المحدود لا يكفيه لضروريات الحياة).

4 ـ علامة الاستفهام (؟) وتستعمل في نهاية الأسئلة لبيان الاستفهام، وفي نهاية الجمل المراد منها الشك، مثل: (لقد قتل المستعمرون الرجال واستولوا على الأراضي الخصبة، فهل شفى ذلك حقدهم الصليبي؟ إن الحقائق تثبت أكثر من ذلك، حين تثبت حرصهم على تغريب العقول والتنصير ومسخ الشخصية المحلية).

5 ـ علامة التعجب (!) وتستعمل للتعبير عن التعجب أو غيره من

الانفعالات المختلفة، مثل: (ما أخصب هذه الأرض! تزرع أكثر من مرة في العام الواحد فتعطي أطيب الثمر!) وقد يؤتى بها للتعجب فيما كُتب قبلها، مثل: (يقول بعض الرحالة إن طرق القوافل كانت طرقاً لتجارة الرقيق! وهذا من مفترياتهم المدسوسة؛ لأن الوثائق تثبت خلاف ذلك).

6 ـ الشرطتان (ـ ـ) ويؤتى بهما لاحتواء الجمل الاعتراضية، مثل: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»** فقولنا ـ ﷺ ـ جملة معترضة جيء بها بين القول ومقوله لغرض الدعاء.

7 ـ علامتا التنصيص («») وتحتويان على النص الحرفي المقتبس مثل: قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.

8 ـ القوسان ( ) ويستعملان لضم الأرقام مثل: (1)، أو الكلمات أو الجمل المفسرة مثل: «تعتبر منظمة التربية والثقافة والعلوم الإسلامية (الايسيسكو) من أهم المنظمات الإسلامية على هذا المستوى العالمي».

9 ـ علامة الحذف (. . .) وتُكتب للتنبيه عن وجود حذف من الأصل، بقصد الاختصار والاقتصار على المطلوب من النص، مثل جاء في المعجم الوسيط «الحِسبة: الحساب (. . .) ومنصب كان يتولاه في الدول الإسلامية رئيسٌ يُشرف على الشؤون العامة، من مراقبة الأسعار ورعاية الآداب» وقد يكون الحذف بسبب آخر، كعدم وضوح الكلمة في نص مخطوط أراد الكاتب تحقيقه أو اقتباسه والتنبيه إلى الكلمة أو الكلمات المحذوفة بوضع علامة الحذف بين قوسين، والتنبيه عليها في الحاشية.

10 ـ الشرطة (ـ) وترسم بعد الأرقام والأعداد، والحروف إذا كانت عناوين جانبية، مثل: (1 ـ) (أ ـ) (أولا ـ).

11 ـ القوسان المركنان [ ] ويضمان الكلمات أو الجمل التي أضافها الكاتب على نص غيره، وكثيرا ما يستخدمها المحققون لإضافة عبارة مكملة للمعنى وغير مثبتة في الأصل، بأن ينقلها من كتاب آخر أو يجتهد في إضافتها بما يقتضيه المعنى مثل قول عمر لرجل: «لا يلهك الناس عن [نفسك]؛ فإن الأمر يصير إليك دونهم! ولا تقطع النهار سادرا (أي لا يهتم بشيء)؛ فإنه محفوظٌ عليك ما عملت. وإذا أسأتَ فأحسِن؛ فإني لم أر شيئا أشدَّ طلبا ولا أسرع دركا من حسنة حديثةٍ لذنب قديم» فقوله: [نفسك] وضع بين قوسين مركنين ليشعران بأن الكلمة يقتضيها النص وسقطت من أصله المعتمد وإن ثبتت في أصول أو مراجع أخرى.

12 ـ القاطعة (.) وتستعمل عند انتهاء الكلام وتمام فائدته، وإرادة الوقوف أو الشروع في حديث غيره. ككل نقطة ذكرناها واستوفينا الحديث عنها، وكل فقرة في هذا الكتاب وغيره احتوت فكرة كاملة.

13 ـ الخط المائل (/) للفصل بين بديلين مثل: (الصديق العزيز/ محمد سالم) وبين صفرى النسبة المئوية (%)

14 ـ علامة المتابعة (=) وتوضع في آخر كلام لم ينته في صفحته لينتقل النظر إلى الصفحة التالية فيتم له المعنى.

تمرين:

ـ اكتب مقالة استخدم فيها علامات الترقيم السابقة الذكر استخداماً صحيحاً.

أنواع الكتابة

للكتابة النثرية أنواع كثيرة، لكل منها طابعها وسماتها الخاصة بها، فكاتب البرقية مثلا يضع في اعتباره الاختصار والتركيز الشديدين، فغرضه التبليغ الموجز لأن كل كلمة تساوي نقوداً تُدفع للبريد، بخلاف كاتب الرسالة أو الرواية الذي لا يحاسب على طولها أو قصرها. وكاتب البحث العلمي مُطالب بالدقة والتوثيق فيما يتناوله من الحقائق الثابتة، ولا يُسمح له بالتجاوز في إطلاق العبارات والاستعارات التي قد تجعل المعنى غامضا عسير الفهم، بخلاف كاتب القصة التي ربما لا تمت إلى الحقيقة بسبب، وقد تستمد أحداثها من وحي الخيال وترتيب العقل ممزوجين بشيء من الواقع الذي قد يكثر أو يقل. لذلك وجب الوقوف السريع عند طائفة من هذه الأنواع لمعرفة خصائصها وسماتها البارزة.

1 ـ الرسالة:

تطلق الرسالة فتنصرف إلى الخطاب المرسل في غرض إخواني أو رسمي، للتبليغ الابتدائي أو للرد على خطاب سابق، كما أن من المواد العلمية والأدبية المختصرة في التراث العربي ما يسمى بالرسائل لاشتراكها

معها في الإيجاز والاختصار، أو لكونها مرسلة من شخص إلى آخر أو للسببين معاً.

وتتكون الرسالة غالباً من مقدمة ووسط وخاتمة، تشتمل المقدمة عادة على التحية ويتضمن الوسط غرض أو أغراض المراسلة، وتختم بما يدل على الوداع أو بلفظ السلام وما يجري مجراه من التحيات.

وتحرص الرسائل الرسمية المتضمنة لشأن من شؤون الدولة على الوضوح واستيفاء المعلومات، أكثر من حرصها على أناقة التعبير، وتتميز بتنظيم الأفكار المراد تبليغها إلى المرسل إليه في وضوح ومنطقية، بل إن الرسائل الرسمية في التراث كانت تجمع بين هذه الخصائص والأناقة في التعبير لاستعانة دواوين الدولة بالكتاب المهرة عبر التاريخ الإسلامي أمثال عبد الحميد الكاتب، وابن المقفع، والفضل بن سهل، وعمرو بن مسعدة، والصاحب بن عباد، وابن أبي الخصال، ولسان الدين بن الخطيب، وغيرهم وهم كثر، ومع ذلك فالرسائل الديوانية عند هؤلاء الكتاب أكثر التزاماً بأصول الرسائل الرسمية من رسائلهم الإخوانية.

وقد صارت الرسائل الرسمية تلتزم بمكملات أساسية هي تاريخ التحرير، والرقم الإشاري الذي يحيل إلى موضعها في قسم المحفوظات، وعنوان المرسل والمرسل إليه بما في ذلك المبرق والبريد المصور (الفاكس) والعنوان الجوي لشبكة المعلومات (الإيميل)، وتُذيل الرسالة بالمرفقات وهي الوثائق أو سوابق الموضوع. أما بقية المكملات فقد اختلف موقعها بين أعلى الصفحة وأسفلها، في جانبها الأيمن والأيسر. وتكتب بعض الجهات عنوان موضوع المراسلة في الوسط بين قوسين أو بدونهما، وتضع عنوان المرسل إليه بعد اسم المرسل إليه مباشرة، بينما

تضع اسم المؤسسة وعنوانها وهواتفها تحت خط أسفل الصفحة، أو فوق الخط أعلاها.

أما الرسائل الشخصية فيرسل الكاتب فيها قلمه، معبراً عن خطرات نفسه، وحنايا وجدانه، دون ضوابط صارمة أو خصائص ملزمة، وهي عادة محل إظهار الأناقة في التعبير وسبحات الخيال، وقد جعلت هذه المندوحة الواسعة مجال الاختلاف كبيرا بين الرسائل الإخوانية، فمنها المختصر والمطول، والأنيق والمهمل، والمنظم والمشوش، لكن الرسائل القيمة هي تلك التي تحتوي على قدر من الخصائص الفنية يجعلها جديرة بالاطلاع والاحتذاء.

2 ــ المقال:

هو مادة علمية أو أدبية، تحتوي على فكرة عامة محدودة تمثل جانباً من موضوع واسع، ويتميز بميله إلى الموضوعية وإن استخدم الخيال لرسم المثال الأفضل، أو استخدم التصوير غير المباشر للمبالغة في تصوير أفكاره أحيانا، وقد يستعين صاحبه في تحقيق أهدافه في الإقناع بالتحليل والبرهنة العقلية والترتيب المنطقي، وربما استرسل في عرض أفكاره كيفما اتفق ودون ترتيب محدد، وهو غالبا ما يتجنب الإطناب ويميل إلى الإيجاز أو المساواة.

وعندما يكون المقال أقل ميلا إلى الموضوعية، وأكثر إفساحاً لاندفاع العواطف والانفعالات، ويسترسل مع الأفكار أنَّى توجهت؛ يكون المقال بهذه الصورة خاطرة من خواطر الذهن المرتجلة، ومنها يستمد اسمه وخصائصه، وفي مكتبتنا العربية فيض من هذه الخواطر، يمكن للطالب أن يعود إليها، وأن يتبين خصائصها من خلال القراءة والتحليل والنقد، ومنها

كثير من مقالات وحي القلم للرافعي، و مقالات طه حسين الصحفية، ومقالات التليسي النقدية، وافتتاحيات الإبراهيمي في البصائر التي جمعها في كتاب عيون البصائر، وغيرها لكتاب الشام والعراق والجزيرة ممن لا يسعنا ذكرهم في هذه العجالة.

3 ـ القصة:

هي نوع من أنواع النثر الفني، الذي يعتمد على صناعة أحداث متخيلة، أو اقتطاع حوادث واقعية من حياة الناس، لها طابع الإثارة والطرافة، وصوغها في أسلوب جذاب، ويتطلب ذلك مهارة في الوصف والتحليل والحوار، ورحابة في الخيال، وقدرة على الصياغة الفنية، وموهبة مصقولة بسعة الاطلاع وقوة الملاحظة.

والقصة وهي تسرد أحداثها تهدف إلى شدِّ القارئ وإثارته باعتمادها على التدرج في الوصول إلى الحبكة وهي الأزمة التي يعقبها الحل، وربما جاء ذلك في صورة صراع بين الخير والشر، بين أناس مختلفي الطباع، أو بين نفس واحدة تتجاذبها أنواع الصراع الداخلي، بين الحب والواجب مثلاً[1].

والقصص أنواع منها القصة القصيرة التي تقتصر على «لحظات عابرة قصيرة منفصلة» من حياة الناس، فهي عند رائدها موسبان (النصف الثاني من القرن التاسع عشر) تصوير لحدث معين لا يهتم الكاتب بما قبله أو بما بعده[2].

ومن هذا الجنس الأدبي القصة التاريخية الواقعية التي تساق للعبرة

(1) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص 160

(2) المصدر نفسه 161

كقصص القرآن الكريم، والقصة الخيالية، كقصص السندباد، وألف ليلة وليلة. والقصص الفلسفية كقصة حي بن يقظان لابن باجة الأندلسي، وقصة كانديد لفولتير الفرنسي

ومن النثر الفني الرواية، وهي جنس أدبي قصصي يهتم بتصوير الشخصيات في مراحل مختلفة من حياتهم، عبر زمن طويل، وضمن أحداث وتفاصيل كثيرة، وتتميز بواقعيتها واهتمامها بالحدث، وتصوير المجتمع، ومن الروايات ما يعنى بالتحليل النفسي، وإبراز العنصر الفكري، ومنها ما يستخدم لغة الشعر وعلى الأخص في الروايات العاطفية والخيالية[1].

4 ـ ورقة البحث:

يكلف طلاب المرحلة الجامعية في ورقة البحث بالكتابة في موضوع محدد يختاره أستاذهم وربما أشركهم في اختياره، ويكون عليهم أن يتابعوا العمل من نقطة الاختيار هذه وفق خطوات محددة. ومن ورقات البحث ما يقدمه المختصون في ندوة أو مؤتمر يكتسي طابع الاختصار لاشتراك عدد كبير من الباحثين فيه، فهي هنا أشبه ما تكون بمختصر بحث.

وقد تكون هذه الورقة ملخصا لما كتبه الآخرون في الموضوع المعطى، فهي عندئذ تقدم جهود الآخرين في أسلوب موجز يهتم بالجمع والتركيز، ويبرهن على قدرة الباحث على الفهم والتنظيم، دون أن يتطلب الأمر الاستنتاج والتوليد والتنظير الذي نجده في البحوث العلمية الكاملة.

ولذا فالمطلوب في حالة الطالب هو استعمال المعلومات المتوفرة

(1) المصدر نفسه ص 103

أكثر من إضافة شيء جديد، ولكنها تمنح الطالب فرصة لظهور قدرته على التعبير، ومهارته في الترتيب والتنسيق. وفي كل الأحوال فإن المفضل في اختيار الموضوع أن يكون ضيقاً، بحيث يمكن أن يحيط به الباحث في الحجم والوقت المحددين للورقة، وأن يتيسر من خلاله التدريب الصحيح على طرق البحث ومناهجه.

وفي مثل هذه الورقة يتجه الطالب إلى مراجع محددة، فيدون أسماءها في بطاقات يضمنها بالإضافة إلى ذلك معلومات النشر كاملة. ثم تأتي مرحلة أخذ الملاحظات، وفيها تسجل اختصارات للأفكار التي تهم الباحث وتتضمن عناصر الموضوع الرئيسة والجديد عن دائرة معارفه من تفاصيلها، ثم تصاغ في أسلوبه الخاص مع الاستشهاد بالاقتباسات المناسبة في مواضعها.

وبرغم صغر ورقة البحث فإن ما يُشترط في البحث من توثيق، وتنظيم منهجي، وأسلوب سليم، يطلب فيها، لأنها تدريب أولي يمهد لكتابة بحث كامل، ويفضل أن يتكون الطالب تكوينا سليما في هذه المرحلة على نسق البحث العلمي السليم في الشؤون المذكورة، وإن كنا لا نبالغ في هذه الورقة بمطالبة المتدرب بالمصادر المخطوطة والنادرة والثمينة، حتى لا تقف هذه المطالب دون إقدامه على التدريبات البحثية الضرورية له قبل مرحلة الدراسات العليا.

5 ـ التقرير الوظيفي:

هو عرض تفصيلي لموضوع يتعلق بشأن من شؤون الجهة التي أُعد من أجلها، ويتضمن حقائق وبيانات أو إحصائيات تهدف إلى إحاطة قارئه بمجريات الأمور وحقائقها الموثقة في الشأن الذي كُتب فيه، أو في المؤسسة التي قُدم منها التقرير.

ويتطلب ذلك أمور ثلاثة، أولها: إعطاء صورة واضحة عن موضوع العرض، تنعكس على لغته وأفكاره، وأسلوبه، ومعلوماته، ووسائل عرضه المختلفة، بالكلمة كانت أو بالرسم البياني، أو بالإحصاءات والنسب.

ثانيها: الإلمام بجميع عناصر الموضوع، بحيث لا يقع المتتبع للتقرير على نواقص تحجب عنه بعض الحقيقة، أو أخطاء تقود إلى نتائج خاطئة أو تفسيرات فاسدة، أو تخمينات غير موثقة.

ويحتاج الأمر الأول من كاتب المقال إلى اختيار لغة سهلة ودقيقة في الوقت نفسه، وأسلوب مباشر ومطابق لظاهر الحال، وإلى أفكار واضحة، ومنطقية في ترتيب القضايا وفق خطة سليمة وخطوات مرتبة منهجيًا، ينطبق عليها ما ينطبق على البحث العلمي من التوثيق والتنظيم والأمانة العلمية، وصحة البرهنة ومراحل البحث، إلى آخر ما يُطلب على الباحث من دقة ومنهجية ووضوح.

أما الأمر الثاني فيحتاج منه إلى عملية جمع للمصادر المختصة، وتسجيل للملاحظات تشبه إلى حد كبير مثيلتها في البحث العلمي، وذلك حتى يتم الإلمام الكامل بجزئيات الموضوع والوقوف الشخصي على صحة ما فيه من معلومات وإحصائيات، حتى يوفر لتقريره حظا أوفى من المصداقية والأمانة العلمية، مما يعود عليه وعلى مؤسسته بالنفع المشترك، ويبنى قراراتها على الأسس المتينة.

الأفكار والأساليب

الأفكار هي لب الموضوع وثمرته، التي يهدف الكاتب إلى توصيلها من خلال عمله العلمي، و الأساليب والوسائل والأجناس الأدبية هي الأنماط والأطباق التي تساعده على تقديمها إلى المتلقي في عرض متميز، ولا يعني ذلك تفضيل الأفكار على الأساليب، أو العكس، فهما صنوان في بلوغ العمل الأدبي درجة الإبداع والجودة، وكما تجب العناية بالأولى لأنها الرسالة المراد تبليغها، تجب العناية بالأخرى لأنها وسيلة ذلك التبليغ.

وأبرز مظاهر العناية بالأفكار ما يأتي:

1 ـ إيجاد رؤية شاملة للموضوع المراد تناوله، تُمكن من استيعابه، وتساعد على نسج جزئياته في تناسق منهجي وأسلوبي واضح، ويتم ذلك عن طريق القراءة المعمقة والنقدية لمصادر الموضوع المراد تناوله، وتجميع وتنظيم المادة اللازمة لصياغته.

2 ـ تركيز الأفكار وتحديدها في نقاط تجنب الكاتب عيوب الارتجال والتعبير الإنشائي والتهويم الخطابي الخالي من الدقة والتسلسل المنطقي فيما يجب فيه ذلك التسلسل من النثر الموضوعي والفني.

3 ـ التحذير من عيوب التفكير التي تقدم ذكرها[1]، ومنها التعميم، والتهوين، وأخطاء البرهنة، وقد تجاوزوا في الكتابة الفنية عن المبالغة إذا لم تبلغ حد الغلو والإغراق، وعن إطلاق العنان لخواطر الخيال وسبحاته واستعاراته وكناياته التي تخالف الحقيقة إذا كانت لغرض توضيح الصورة أو تجميلها أو ما إلى ذلك من أغراض فنية.

4 ـ عرض الأفكار عرضا خاليا من التقليد الأعمى، وتأثير أماني النفس ورغباتها دون دليل، حرصا على تحقيق أغراض ذاتية وإن خالفت الحقيقة أو لم تستند إلى حجج كافية.

أما الأساليب فتتنوع بتنوع طبيعة الموضوع إلى أسلوب علمي، وأسلوب أدبي، وأسلوب علمي متأدب، فالموضوع العلمي يتطلب أسلوبا علميا دقيقا خاليا من التعبير غير المباشر والتحسينات البلاغية المؤثرة سلبا على المعنى، والكاتب هنا يحرص على مطابقة العبارة للمعنى المراد، ويتصف بالحيدة، ويحرص على عرض موضوعه في عبارات صحيحة لغويا خالية من التعقيد، مستمدة تأثيرها من الحقائق المجردة. وهو يستخدم لذلك ما يخص موضوعه من المصطلحات والرموز العلمية، والمفردات الدقيقة والمتعارف عليها في ذلك العلم، ويتوخى المنهجية الصارمة في تناوله لجوانب موضوعه، الأمر الذي يجنبه الاستطراد والأساليب الفضفاضة.

أما الأسلوب الأدبي فيعبر عن مشاعر وأخيلة صاحبه تجاه موضوع العمل الأدبي، واضعاً ذلك في إطار فني ممتاز، قوامه الألفاظ المختارة،

---

(1) انظر أخطاء التفكير في هذا الكتاب.

والصور البليغة، والتراكيب المحكمة. وفي هذا الأسلوب تظهر شخصية الأديب وثقافته، وتنعكس على سطور كتابته ميوله ورغباته وانفعالاته، أو رغبات وانفعالات الشخصيات التي يكتب عنها ـ إن كان يؤلف عملاً قصصياً ـ محاولاً في الحالتين التأثير على القارئ، عن طريق التحسين أو التشويه الناتج عن استخدام القدرة البيانية استخداماً متميزا:

تقول هذا مجاج النحل تمدحه   فإن تُعب قلت: ذا قي الزنابير
مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما   حسن البيان يُري الظلماء كالنور

والأسلوب الثالث هو الأسلوب العلمي المتأدب، وهو الذي يضع الحقائق العلمية في ثوب أدبي أنيق، ونجده عادة في المجلات العلمية ذات الصلة بالجمهور العريض من القراء، وفي الكتب والموسوعات التي تحاول تيسير العلوم البحتة لتكون في متناول ذوي الثقافات الأخرى، وقد كان يُحسن هذا الأسلوب في البلاد العربية الدكتور أحمد زكي رئيس تحرير مجلة العربي ـ رحمه الله ـ وأحسب أن عدداً من أعضاء المجمع العلمي للغة العربية في دمشق المتخصصون في علوم مختلفة ممن يملكون مهارة هذا الأسلوب، وهو من السهل الممتنع الذي يهبه الله لمن جمع بين الثقافة العربية والعلوم التقنية، وعليه تعتمد الأمم في ترجمة العلوم إلى عامة المثقفين لتصبح مألوفة في لغة الشعب وموضع إقبال من غير المتخصصين، وتلك مهمة غير هينة في تحضير الشعوب.

نماذج من فن الكتابة النثرية

ـ 1 ـ

من البيان المعجز

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ صدق الله العظيم.

ـ 2 ـ

الرسالة الجدية

لابن زيدون

يا مولاي وسيِّدي الذي ودادي له، واعتمادي عليه، واعتدادي به. أبقاكَ الله ماضيَ حدِّ العزم، واريَ زند الأمل، ثابت عهد النعمة.

إن سلبتني ـ أعزك الله ـ لباسَ إنعامك، وعطَّلتني من حُلى إيناسك،

وأظمأتني إلى برود إسعافك، ونفضتَ بي كفَّ حياطتك، وغَضَضْتَ عني طرفَ حمايتِك، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك، وسمع الأصمُّ ثنائي عليك، وأحسَّ الجماد باستنادي إليك، فلا غرو فقد يغصُّ الماءُ شاربَه، ويقتلُ الدواءُ المستشفيَ به، ويؤتى الحَذِرُ من مأمنِه، وتكون منِيَّةُ المتمني في أمنيته، والحَيْنُ قد يسبقُ جهدَ الحريص:

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفَتَى فتَهُونُ غيرَ شماتةِ الحُسَّادِ

وإني لأتجلدُ، وأري الشامتين أني لريبِ الدَّهرِ لا أتضعضعُ، فأقول: هل أنا إلا يدٌ أدماها سوارها، وجبين عضَّه إكليلُه، ومشرفيٌّ ألصقَهُ بالأرضِ صاقلُه، وسمهريٌّ عرضه على النار مثقفُه؟ والعتَبُ محمود عواقبُه، والنبوةُ غمرةٌ ثمَّ تنْجلي، والنَّكبة «سحابة صيفٍ عن قريب تقشع».

ولن يريبَني من سيِّدي أن أبطأَ سحابُه، أو تأخَّرَ غناؤه، فأبطأُ الدلاءِ فيضاً أملؤها، وأثقلُ السحابِ مشْياً أحفلُها، وأنفعُ الحيا ما صادفَ جدْبا، وألذُّ الشَّرابِ ما أصاب غليلا، ومع الليل غدٌ، ولكلِّ أجلٍ كتابٌ، له الحمدُ على اهتباله، ولا عَتبَ عليهِ في إغفالِه.

وإن يكنِ الفعلُ الذي ساءَ واحداً فأفعالُهُ اللائي سَرَرْنَ ألوفُ

وليتَ شِعري، ما هذا الذنب الذي لم يسعْهُ عفوُك، والجهلُ الذي لم يأتِ من ورائه حِلْمُك، والتطاولُ الذي لم يَسْتَغْرِقْهُ تطَوُّلُك، والتحاملُ الذي لم يَفِ بِهِ احْتِمالُك، لا أَخْلُو مِنْ أَنْ أكونَ بريئًا فأينَ عدْلُكَ، أوْ مُسيئاً فأَين فَضْلُكَ.

إلاَّ يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أوْسَعُ

حَنَانَيْكَ قدْ بلَغَ السَّيلُ الزُّبَى، ونالَني ما حَسْبي بِهِ وَكَفَى، وما أُراني

إلاَّ لَوْ أُمِرْتُ بالسُّجودِ لآدمَ فأَبيتُ واستكبرتُ، وقال لي نوح اركبْ معنا فقلتُ سآوي إلى جَبَلٍ يعصِمُني من الماء، وأمرتُ ببناء صَرْحٍ لعلِّي أطَّلِعُ إلى إلهِ موسى، وعكفْتُ على العجل، واعتديت في السَّبت، وتعاطيت فعقرتُ، وشربتُ من النَّهر الذي ابتُلِيَ بِهِ جُيوشُ طالوتَ، و قُدتُ الفيلَ لأبرهةَ، وعاهدتُ قريشاً على ما في الصحيفةِ، وتأولتُ في بيعةِ العقبةِ، ونفرتُ إلى العير ببدرٍ، وانخذَلْتُ بثلُثِ الناسِ يومَ أُحدٍ، وتُخلفتُ عن صلاة العصرِ في بني قُرَيْظَةَ، وجِئتُ بالإفكِ على عائشةَ الصدِّيقيَّةِ، وأنفتُ مِنْ إمارةِ أُسامةَ، وزعمْتُ أنَّ خلافة أبي بكرٍ كانتْ فلْتةً، وروَّيْتُ رُمْحي من كتيبةِ خالد، ومزَّقْتُ الأديمَ الذي باركتْ يدُ الله عليه، وضحَّيت بالأشمطِ الذي عنوان السجود به، وبذلتُ لقطام:

ثلاثة آلاف وعبدًا وقينةً   وضرْبَ عليٍّ بالحُسامِ المصمَّمِ

وكتبتُ إلى عمرَ بن سَعْدٍ أنْ جَعْجِعْ بالحسينِ، وتمثَّلْتُ عندما بلَغَني مِنْ وَقْعةِ الحَرَّةِ:

ليتَ أشْياخي ببدرٍ شَهِدوا   جَزَعَ الخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الأسَلْ

ورجمتُ الكعبةَ، وصلَبْتُ العائذَ على الثَّنيةِ، لكانَ فِيما جرَى عليَّ ما يحتملُ أنْ يكونَ نكالاً، ويُدعَى ولوْ علَى المجازِ عِقاباً.

وحَسْبُكَ مِنْ حادثٍ بِامرئٍ   ترَى حاسِديهِ لَهُ راحمِيناَ

فكيفَ ولا ذَنْبَ إلا نميمةٌ أهداها كاشحٌ، ونبأٌ جاءَ بِهِ فاسقٌ، وهمُ الهمَّازونَ المشَّاؤونَ بنميم، والواشونَ الذينَ لا يلبثونَ أنْ يصْعَدوا العصا، والغُوَّاتُ الذين لا يتركون أديماً صحيحاً، والسُّعاةُ الذين ذَكَرَهُم الأحْنفُ بنُ قيس فقال: ما ظنُّكَ بقوم الصِّدقُ محمودٌ إلا منهم.

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِكَ رِيبةً   وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهبُ

واللهِ ما غَشَشْتُكَ بعدَ النصيحةِ، و لا انحرفتُ عنكَ بعدَ الصاغيةِ، ولا نصبتُ لكَ بعدَ التَّشيُّعِ فيكَ، ولا أزمعْتُ يأساً مِنْكَ معَ ضمانٍ تكَفَّلتْ بِهِ الثِّقةُ عنكَ، وعهْدٍ أخذهُ حُسْنُ الظَّنِّ عليكَ، ففيم عبثَ الجفاءُ بأزمَّتي، وعاثَ العقوقُ في مواتي، وتمكَّنَ الضياعُ منْ وسائلي؟ ولِمَ ضاقتْ مذاهبي، وأكْدَتْ مطالبي؟ وعلامَ رَضيتُ من المركبِ بالتعليقِ؟ بل منَ الغنيمةِ بالإيابِ؟ وأنَّى غَلَبني المُغَلَّبُ، وفَخرَ عليَّ العاجزُ الضَّعيفُ، ولطمتني غيرُ ذاتِ سِوار؟ ومالَكَ لم تمنعْ مني قبلَ أُفترس؟ وتدركُني ولمَّا أُمزَّق؟ أمْ كيفَ لا تتضرمُ جوانحُ الأكْفاءِ حسَداً لي علَى الخصوصِ بكَ؟ وتتقطَّعُ أنفاسُ النظَراءِ منافسةً في الكرَامةِ عليكَ، وقد زانني اسمُ خِدْمتِكُ، وزهاني وَسْمُ نعمتكَ؟

ألستُ الموالي فيك غرَّ قصائدٍ   هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
ثناءٌ يُظنُّ الروضُ منهُ مُنوَّراً   ضُحًى ويُخالُ الوَشْيُ فيه مُنمَّنما

وهل لبسَ الصَّباحُ إلا برداً طرَّزتْهُ بفضائلكَ؟ وتقلَّدت الجَوزاءُ إلا عِقدًا فصَّلتْهُ بمآثرِكَ، واستملى الربيعُ إلاَّ ثناءً أملأتُهُ مِنْ محاسِنِكَ؟ وبثَّ المسكُ إلاَّ حديثاً أذَعتهُ في محامدكَ «ما يومُ حليمةَ بِسِرٍّ» وإنْ كُنتُ لمْ أَكْسُكَ سليباً، ولا حلَّيْتُكَ عُطلاً، ولا وَسَمْتُكَ غُفُلاً، بل وجدتُ آجُرًّا وحصى فبنيتُ، ومكانَ القولِ ذا سَعَةٍ فقلتُ، وحاشا لكَ أنْ أُعَدَّ منَ العاملةِ الناصبةِ، وأكون كالذبالةِ المنصوبةِ (تضيءُ للناسِ وهي تحترقُ) فلكَ المثلُ الأعلى، وهو بي وبك أولى.

ولَعَمرُكَ ما جهلتُ أن صريحَ الرَّأيِ أن أتحوَّل إذا بلغتني الشمسُ، ونَبَا بِيَ المنزلُ، وأصفحَ عنِ المطامعِ الَّتي تقطعُ أعناقَ الرِّجالِ، فلا أستوْطئُ العجزَ، ولا أطمئنُّ إلى الغرورِ، ومنَ الأمثالِ المضروبةِ (خامري

أُمَّ عامر)[1]. وإني مع معرفتي بأنَّ الجلاء سباءٌ، والنُّقْلةُ مُثْلةٌ:

وَمَنْ يغتربْ عن قومِهِ لم يزلْ يَرَى   مَصَارِعَ مظلومٍ مَجَرًّا ومَسْحَبَا
وتُدْفَنُ منهُ الصَّالحاتُ وإنْ يُسِئْ   يكُنْ ما أساءَ النارَ في رأسِ كبكبَا

عارفٌ بأنَّ الأدبَ الوطنُ لا يُخشَى فراقُهُ، والخليطَ لا يُتوقَّعُ زِيَالهُ، والنسيبَ لا يُجفَى، والجمالَ لا يَخْفَى، ثمَّ ما قرانُ السعدِ للكوكبِ أبهَى أثراً، ولا أسْنَى خطراً من اقترانِ غِنَى النفسِ بهِ، وانتظامها نَسقاً معهُ، فإنَّ الحائزَ لهما الضَّاربَ بسهمٍ فيهما (وقليل ما هُم) أينما توجَّهَ وَرَدَ منْهلَ برٍّ، وحطَّ في جنابِ قَبول وضُوحِكَ قَبْلَ إنزالِ رَحْلِهِ، وأُعْطِيَ حُكْمَ الصَّبيِّ على أهلِهِ.

وقِيلَ لهُ أهلاً وسهلاً ومرحباً   فهذا مقيلٌ صالح ومقيلُ

غير أنَّ الوطنَ محبوبٌ، والمنشأ مألوفٌ، واللبيب يحنُّ إلى وطنهِ حنينَ النجيبِ إلى عطنهِ، والكريمَ لا يَجْفو أرضاً فيها قوابله، و لا ينسَى بلداً فيها مراضعهُ، قال الأول:

أحبُّ بلادِ اللهِ ما بينَ منعجٍ   إليَّ وَسَلْمَى أن يصوبَ سحابُها
بلادٌ بها عقَّ الشبابُ تمائمِي   وأوَّلُ أرضٍ مسَّ جِلدي تُرابُها

معَ مُغالاتي بعلوِّ جوارِكَ، ومنافستي في الحظِّ من قربكَ، واعتقادي أنَّ الطمعَ في غيركَ طبعٌ، والغِنَى في سِواكَ عناءٌ، والبدلَ مِنْكَ أعْور[2]، والعوضُ لغا[3]:

وإذا نظرتُ إلى أميري زادني   ضنـاً بـهِ نـظري إلـى الأمـراءِ

(1) فصل المقاتل 187 وأمثال الميداني 1/ 160
(2) انظر الميداني 1/ 59
(3) اللغاء: ما لايُعتدُّ به

كُلُّ الصَّيدِ في جوفِ الفَرَا، وفي كلِّ شجرٍ نارٌ، واستجمد المرخُ و العَفَار[1]، فما هذه البراءةُ ممن يتولاكَ، والميلُ عَمَّنْ لا يميلُ عنك؟ وهلاًّ كانَ هواكَ فيمنْ هواهُ فيكَ، ورِضاكَ فيمنْ رِضاهُ لكَ.

يا منْ يعزُّ علينا أنْ نُفارِقَهُمْ   وِجْدَانُنَا كُلُّ شيء بعْدَكُمْ عدمُ

أُعيذكَ ونَفْسي مِنْ أنْ أشيمَ خُلَّبا، واستمطِرَ جَهاما، وأُكرِمَ غيْرَ مُكرَمٍ[2]، وأشكو «شكوى الجريحِ إلى العقبانِ والرخم»[3] وإنما أبَسْتُ بكَ لتدرَّ، وحرَّكتُ الحُوارَ لتحنَّ ونبَّهْتُكَ إلاَّ لأنامَ، وسريتُ إليكَ إلاَّ لأحمِدَ السُّرَى لديكَ، وأنك إنْ سنَّيْتَ عقْدَ أمري تيسَّرَ، ومتى أعذرْتَ في فكِّ أسْري لمْ يتعذَّرْ، وعلمكَ محيطٌ بأنَّ المعروفَ ثمرةُ النِّعمةِ، والشفَّاعةَ زكاةُ المروءةِ، وفَضلَ الجاهِ ـ تعودُ بهِ ـ صدقةٌ.

وإذا امرؤٌ أهدَى إليكَ صنيعةً   مِنْ جاههِ فكأنَّها من مالهِ

لعلني أُلقي العصا بذراكَ، وتستقِرُّ بيَ النَّوَى في ظلكَ، وأستأنفُ التأدبَ بأدبكَ، والاحتيال على مذهبك، فلا أُوجدَ للحاسد مجالَ لحظةٍ، ولا أدعَ للقادحِ مساغَ لفظةٍ، والله ميسِّركَ من طِلابي بهذه الطِّلبةِ، وإشكائي من هذه الشَّكوى بصنيعةٍ تصيبُ منها مكانَ المصنعِ، وتستودعها أحفظ مستودعٍ، حسبما أنت خليقٌ لهُ، وأنا منكَ حريٌّ بهِ فذلك بيدكَ، وهيِّنٌ عليكَ.

ولمَّا توالتْ غُرَرُ هذا النثرِ، واتَّسقتْ دُررهُ، فهزَّ عِطفَ غُلوائهِ، وجرَّ

---

(1) فصل المقال 202

(2) وفي الذخيرة 1/ 1/ 344 وأكدم غير مكدم، وهو من أمثال العرب (الميداني 2/ 57 وفصل المقال 355)

(3) ديوان المتنبي 513

ذيلَ خُيلائهِ، عارضه النظمُ مباهيا، بل كايده مُداهياً، حين أشفقَ من أنْ يعطفكَ استعطافهُ، وتميل بنفسكَ ألطافهُ، فاستَحسنَ العائدَةَ منهُ، واعتدَّ بالفائدة له، وما زال يستكدُّ الذِّهنَ العليلَ، والخاطرَ الكليلَ، حتى زفَّ إليك منه عروساً مجلُوَّةً في أثوابها، منصوصةً بحليِّها وملابها:

الهوى في طلوع تلك النُّجوم والمنى في هبوبِ ذاكَ النَّسيمِ
سرَّنا عيشُنَا الرَّقيقُ الحواشي لو يدومُ السُّرورُ للمستديمِ
وطرٌ ما انقضى إلى أن تقَّضَى زمنٌ ما ذِمامهُ بالذَّميمِ
إذ ختامُ الرِّضا المسوَّغ مسكٌ ومِزاجُ الوِصالِ مِنْ تسْنيمِ
وغريضُ الدلالِ غضٌّ جنَى الصَّبْـ ـوَةِ نَشْوانُ من سُلافِ النعيمِ
طالما نافرَ الهوَى منه غِرٌّ لمْ يطُلْ عَهْدُ جيدهِ بالتميمِ
زارَ مُسْتخفياً وهيهات أنْ يخْـ ـفَى سَنَى البدرِ في الظلام البهيمِ

[وقال في خاتمتها]

هاكها أعزَّك اللهُ يَبْسُطُها الأملُ ويَقْبِضُها الخجلُ، لها ذنبُ التَّقصيرِ وحرمةُ الإخلاصِ، فهبْ ذنباً لحُرمةٍ، واشفعْ نِعمةً بنعمةٍ، ليتَأتَّى لكَ الإحسانُ مِنْ جهاتهِ ويسلُكُ إلى الفَضلِ من طُرقاتهِ].

ـ 3 ـ

فلسفة القصة ولماذا لا أكتب فيها..؟

بقلم الأستاذ: مصطفى صادق الرافعي[1]

لم أكتب في القصة إلا قليلا، إذا أنت أردت الطريقة الكتابية المصطلح على تسميتها بهذا الاسم، ولكني مع ذلك لا أراني وضعت كلَّ

(1) وُجِّه إلى الكاتب سؤال: لماذا لا تكتب في القصة؟ وكان هذا قبل أن يكتب مقالاته في مجلة الرسالة فردَّ بهذا الرد. (انظر حياة الرافعي ص 189)

كتبي ومقالاتي إلا في قصَّة بعينها، هي قصَّة هذا العقل الذي في رأسي، وهذا القلب الذي بين جنبي. . .

أنا لا أعبأ بالمظاهر والأغراض التي يأتي بها يومٌ وينسخها يومٌ آخرُ، والقِبْلةُ التي أتَّجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها، فلا أكتب إلا ما يبعثها حيَّةً، ويزيد في حياتها، وسمو غاياتها، ويُمكِّنُ لفضائلها وخصائصها في الحياة، ولذا لا أمسُّ من الآداب كلِّها إلا نواحيها العليا، ثمَّ إنه يُخَيَّلُ إليَّ دائماً أني رسول لغويٌ بُعِثتُ للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه، فأنا أبدا في موقف الجيش(تحت السلاح): له ما يعانيه، وما يُكَلَّفهُ وما يُحاوله ويفي به، وما يتحاماه ويتحفظ فيه، وتاريخ نصره وهزيمته في أعماله دون سواها، وكيف اعترضت الجيش وجدته فنَّ نفسه لا فنَّكَ أنت ولا فنَّ سواك، إذ هو لطريقته وغايته، وما يؤدي به للحياة والتاريخ.

ألا ترى أن تلك الروايات توضع قصصاً، ثمَّ تُقرأ فتبقى قصصاً؟ وإنْ هي صنعت شيئاً في قرَّائها لم تزد على ما تفعل المخدرات، تكون مسكنات عصبية إلى حين، ثم تنقلب هي بنفسها بعد قليل إلى مهيجات عصبية؟

وأنا لا أنكر أن في القصة أدباً عالياً، ولكن هذا الأدب العالي في رأيي لا يكون إلا بأخذ الحوادث وتربيتها في الرواية كما يُربَى الأطفال على أسلوب سواءٍ في العلم والفضيلة، فالقصة من هذه الناحية مدرسة لها قانون مسنون، وطريقة ممحصة، وغاية معينة، ولا ينبغي أن يتناولها غير الأفذاذ من فلاسفة الفكر الذين تنصبهم مواهبهم لإلقاء الكلمة الحاسمة في المشكلة التي تثير الحياة أو تثيرها الحياة، والأعلام من فلاسفة البيان الذين

رُزقوا من أدبهم قوة الترجمة عما في النفس الإنسانية والحياة، وما بين الحياة وموادها النفسية في هؤلاء وهؤلاء تُتَخَيَّلُ الحياة فتبدع أجمل شعرها، وتُتَأمل فتخرج أسمى حكمتها، وتُشرَّع فتضع أصح قوانينها.

وأما ما عداهم ممن يحترفون كتابة القصص، فهم في الأدب رعاع وهمج، كان من أثر قصصهم ما يتخبط فيه العالم اليوم من فوضى الغرائز، هذه الفوضى الممقوتة التي لو حققتها في النفوس لما رأيتها إلا عامية روحانية منحطة، تتسكع فيها النفس مشرَّدةً في طرق رذائلها.

إذا قرأت الرواية الزائفة أحسست في نفسك بأشياء بدأت تسفل، وإذا قرأت الرواية الصحيحة أدركت من نفسك أشياء بدأت تعلو، تنتهي الأولى فيك بأثرها السيئ، وتبدأ الثانية فيك بأثرها الطيب، وهذا عندي هو فرق ما بين فنِّ القصة وفن التلفيق القصصي!

ـ 4 ـ

في المقالـــة

للأستاذ خليفة محمد التليسي[1]

يقول العقاد محدداً المفهوم الذي يلتزمه ويؤمن به في كتابه (المقالة الأدبية): «والذي نراه نحن في المقالة أنها ينبغي أن تكون مشروع كتاب في موضوعها لمن يتسع وقته للإجمال ولا يتسع للتفصيل، فهي في موضوعها كتاب صغير يشتمل على النواة التي تنبت الشجرة لمن شاء الانتظار.

ويقول الدكتور جونسون في المقالة: «إنها نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام وهي قطعة لا تجري على نسق معلوم ولم يتم

(1) نشرت بجريدة طرابلس الغرب 16 ـ 6 ـ 1960

هضمها في نفس كتابها، وليست الأشياء المنظمة من المقالة في شيء».

والمتتبع لتطوُّر المقالة في الأدب العربي الحديث، يلاحظ بأنها قد التزمت المعنى الأول أكثر من التزامها للمفهوم الثاني. حتى وجدت من الباحثين من يتهمها بالانحراف والخروج على الحدود الفنية للمقالة كما حددها أعلامها من أمثال الدكتور جونسون.

وربما استطعنا أن نلاحظ أن هذه المقالة قد تحوَّلت في كثير من الأحيان على يد كبار الكتاب في الشرق إلى نوع من الدراسات والأبحاث وكلمات الوعظ والإرشاد والتوجيه.

ولكننا حين نسجل هذه الظاهرة لا نحب أن نغفل الجانب التاريخي والظروف التي نشأ فيها هذا اللون من المقالة.

إن الظروف الاجتماعية أو التاريخية التي كانت سائدة في مطلع هذا العصر والتي ما تزال تتحكم وتسيطر على الأوضاع الاجتماعية حتى اليوم كان لها أقوى الأثر في تكييف المقالة وصبها في القلب الذي عرف لها عند كبار الكتَّاب.

كان الشرق في العصر الذي ظهرت فيه المقالة ـ كلون أدبي بارز ـ مقبلاً على يقظة وبعث. فكان من الضروري أن تتجاوب المقالة مع هذه الروح وتتسم بالطابع العلمي والنقدي والدراسي أكثر من اتسامها بالطابع الوجداني الذاتي.

وما كانت تلك الظروف لتستسيغ من الكاتب أن يمضي في التعبير عن تجاربه الذاتية، بل كانت تفرض عليه حاجزا صفيقا من الوقار، وتفرض عليه نوعا من احترام الالتزامات الاجتماعية على نحو يضيق عليه

الخناق ويقف دون شخصيته ودون الإبداع، ويضطره إلى الاتجاه بقلمه إلى معالجة القضايا العامة معالجة علمية موضوعية.

وقد كانت المقالة في مطلع هذا العصر، وقبل طغيان القصة، هي اللون المسيطر على الحياة الأدبية، وكانت وسيلة التعبير الرئيسة التي يتصل بها الكاتب بالقارئ. ولذلك يمكن أن يقال إن المقالة بمعناها الفني لم تكن مهيأة للظهور، لقد كان الشرق في حاجة إلى التعليم والتوجيه.. فظهرت المقالة التي تتلاءم مع هذا الاتجاه.

وحين انتقل الشرق إلى مرحلة تذوق الفن ظهرت القصة واستغرقت المشاعر، وحالت دون تطور المقالة وتحولها إلى الفن الذي يقوم أساسا على التجربة الذاتية التي يمارسها الأديب مقتربا بها كل الاقتراب من البوح الوجداني، والاعتراف الذاتي، والتصوير النفسي، مبتعدا بها في نفس الوقت عن الطابع الإنشائي المدرسي الذي تتسم به بعض كتابات المشهورين من كتاب المقالة.

فالمقالة بمفهوم الدكتور جونسون قطعة أدبية ليس لها تبويب ولا نظام ولا مقدمة ولا نتائج ولكنها تمضي على غير نسق فتعبر عن شتى الحالات التي يريد أن يعبر عنها الأديب.

والحقيقة أن الكتابة بهذا المفهوم تحتاج من صاحبها أن يكون فنانا قبل أن يكون عالما أو ناقدا أو دارس أدب، وكل هذه الصفات تميز بها كاتب المقالة في مطلع العصر الحديث.

المقالة بذلك المفهوم تحتاج إلى فنان لا يقيم الحدود، ولا يصطنع الوقار الذي يحول بينه وبين النفاذ إلى أعماق القارئ. إلا أن الظروف التاريخية كما أوضحت هي التي تفسر غيبة هذا اللون المتمرد على الوقار

وعلى روح التزمت التي كانت وما تزال تعيش في الشرق فتحول بين الإنسان الفنان وبين الإفصاح والتعبير عن عواطفه بحريَّة كاملة.

ولكي يلتزم الكاتب مفهوم البوح الوجداني والثرثرة الفنية في مقالته، ويسير على نهج الأسلوب العادي المألوف في الحديث بين شخصين في واقع الحياة، ينبغي أن يتوفر له في مستوى الكلمة المنشورة ما يتوفر له عند الحديث العادي من أجواء وظروف وملابسات، تساعده على إبراز جوهر نفسه ومكنون عواطفه.

والمقالة بهذا المعنى، وكما يشرحها الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه (جنة العبيط): «قطعة أدبية أقرب إلى الحديث والسمر منها إلى التعليم والتلقين، وشرط المقالة الأدبية في هذه الحالة أن يكون الأديب ناقما، وأن تكون النقمة خفيفة يشيع فيها لون من الفكاهة الجميلة».

واشتراط النقمة إنما جاء من الافتراض العام بأن الأديب أو الفنان لابدَّ أن يختلف مع عصره أو مع نفسه، أو مع العقائد العامة!، والكاتب الفنان يستوحي مقالاته في هذه الحالة من الظواهر الاجتماعية العامة، وهو ينساق مع الإثارة الفنية التي تقابله في الحياة، وليس مما يتفق مع طبيعة هذا للاتجاه اتسام المقالة بالوعظ والتعليم والإرشاد المباشر، وإنما هي تعبير عن قلق يحسه الأديب مما يحيط به، من صور الحياة وأوضاع المجتمع، وقد تحقق هذا المعنى على نحو واضح لكاتبٍ من أنبغ كُتَّاب المقالة الأدبية في الشرق، هو المرحوم إبراهيم المازني، فلقد كانت مقالاته قطعاً فنية، وتعبيراً عن تجارب مارسها في الحياة، وانطلق بها من الحيز الضيق إلى أفق إنساني رحيب تميزت فيه بالتعبير الذاتي والفكاهة الساخرة، وحديث الصديق المخلص الودود.

ولكن القصة القصيرة قد سلبت من المقالة الفنية هذه المكانة التي كان من الممكن أن تبلغها لو مضت في تطورها المنشود.

وأنا لست من المؤمنين بالقضاء على بعض الألوان الأدبية لحساب اللون الشائع المذكور، ولكننا نستطيع أن نلاحظ في شيء كثير من اليسر انصراف الناشئة عن الاهتمام بهذا اللون، وانشغالهم بالقصة مما يؤكد ضعف الأمل في المقالة الفنية.

فالمقالة الفنية حسب المفهوم الذي يتبناه العقاد مشروع كتاب، ومعنى ذلك أنها فكرة من الممكن أن تكون نقطة انطلاق لمن يتسع وقته للتفصيل والشرح والتعليل. ومعنى ذلك أيضا أن الكاتب الذي يكتبها إنما يخطط كتاباً ويضع الخطوط الرئيسة للكتاب. ولا بدَّ لهذا الطراز من الكتاب الذين يلتزمون هذا المذهب أن يأخذوا أنفسهم بالجهد والثقافة العميقة والاطلاع الواسع، والقدرة على التركيز، وتعويد النفس على العمل الجاد والطريق الوعر.

ولكن هذا اللون من المقالة لم يجد مكانا له إلا في المجلات الأكاديمية، أما الصحافة اليومية والأسبوعية فلم تعد تقبل عليه، لأن القارئ لم يعد يجد من وقته ما يساعده على أن يشغله بمثل هذه القراءات الثقيلة.

إن المقالة بالمفهوم الأول إدراك واطِّلاع، وهي في المفهوم الثاني ذات وإبداع، قضى على الأول نفور القارئ من الدراسات الجادة وانصراف الصحافة، وقضى على الثاني استغراق القصة له وقيامها بنفس الوظيفة.

المناقشة:

1 ـ ما الأفكار التي تقرها للكاتب والتي لا تقره عليها؟

2 ـ كُتبت هذه المقالة في منتصف القرن الماضي. . فهل ظلت المقالة

على حالها؟ أو أن تبدل الظروف قد جعل أفكار هذه المقالة مجرد تاريخ أدبي لفترة معينة؟ ناقش ذلك مبرهنا بالأدلة المتاحة لديك.

3 ـ قارن بين مفهوم المقالة عند كل من د. جونسون والعقاد وزكي نجيب محمود، وعبِّر عن مفهومك الشخصي، أو الرأي الذي تميل إليه منها.

ـ 5 ـ

اليتيم

للشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي

سكن الغرفة العليا من المنزل المجاور لمنزلي، من عهد قريب، فتى في التاسعة عشرة أو العشرين من عمره، وأحسب أنه طالب من طلبة المدارس العليا أو الوسطى في مصر، فقد كنت أراه من نافذة غرفة مكتبي، وكانت مطلة على بعض نوافذ غرفته، فأرى أمامي فتى شاحباً نحيلاً منقبضاً جالسًا إلى مصباح منير ظلام إحدى زوايا الغرفة، ينظر في كتاب، أو يكتب في دفتر، أو يستظهر قطعة، أو يعيد درساً، فلم أكن أحفلُ بشيء من أمره.

حتى عدت إلى منزلي منذ أيام بعد منتصف ليلة من ليالي الشتاء، فدخلت غرفة مكتبي لبعض الشؤون، فأشرفت عليه، فإذا هو جالس جِلسته تلك إلى مصباحه، وقد أكبَّ بوجهه على دفترٍ، منشور بين يديه على مكتبه، فظننت أنه لِما ألَمَّ بهِ من تعب الدرس، وألام السهر قد عبثت بجفنه سِنةٌ من النوم، فأعجَلتْه عن الذهاب إلى فراشه، وسقطتْ بهِ في مكانه، فما رِمتُ مكاني، حتى رفع رأسه فإذا عيناه مخضلتان من البكاء، وإذا صفحة دفتره التي كان مكباً عليها قد جرى دمعه فوقها فمحا من

كلماتها ما محا، ومشى ببعض سطورها إلى بعض، ثمَّ لم يلبث أن عاد إلى نفسه، فتناول قلمه ورجع إلى شأنه الذي كان فيه.

فأحزنني أن أرى في ظلمة ذلك الليل وسكونه هذا الفتى البائس المسكين منفردا بنفسه في غرفة عارية باردة، لا يتقي فيها عادية البرد بدثار ولا نار، يشكو هماً من هموم الحياة، أو رزءًا من أرزائها قبل أن يبلغ سنَّ الهموم والأحزان، من حيث لا يجد بجانبه مواسياً ولا معيناً، وقلت لا بدَّ أن يكون وراء هذا المنظر الضارع الشاحب نفسٌ قريحةٌ معذبةٌ، تذوب بين أضلاعه ذوْبا، فيتهافت لها جسمه تهافت الخباء المقوَّض، فلم أزل واقفاً في مكاني، لا أبرحه حتى رأيته، قد طوى كتابه، وفارق مجلسه، وآوى إلى فراشه، فانصرفت إلى مخدعي وقد مضى الليل إلا أقله، ولم من سواده في صفحة هذا الوجود إلا بقايا أسطر يوشك أن يمتدَّ إليها لسان الصباح، فيأتي عليها. . . . .

المناقشة:

1 ـ ماذا تعرف عن كاتب القصة؟

2 ـ ما نوع هذا الأسلوب؟ وما خصائصه؟

3 ـ ما طابع ألفاظه وجمله؟

4 ـ بين الصور المباشرة وغير المباشرة في القصة.

5 ـ إلى أي اتجاه أدبي ينتمي الكاتب؟ وما خصائص هذا الاتجاه؟

التطبيق:

1 ـ انقدْ أفكار القصة، وبين وجهة نظرك في نواحي محاسنها ومساويها.

2 ـ أكمل أحداث القصة من مصدرها، أو اكتب ما تتخيله من نهاية لها.

ـ 6 ـ

من موضوع: الأدب والحياة الإنسانية

للدكتور محمد النويهي

يخرج الشاب [المتحضر] فيواجه حياة العمل بصعوباتها المتعددة، فيسعفه إعداده الدراسي بالمفاتيح والحلول، لكنه يواجه أيضا حياة أصعب من هذا جداً، يواجه الحياة الإنسانية، فتتلقفه هذه بأعاصيرها، وتجابهه بعقدها ومشاكلها، فلا يجد لها الحلول والمفاتيح فيما درس من صناعة أو تجارة أو إدارة، وإنما يجدها فيما درس من الأدب. والأدب هو الثمرة العليا لتجارب الحياة الإنسانية.

كان هذا الشاب داخل جدران مدارسه معزولا مصونا، قد حماه مجتمعه في فترة دراسته، حتى يفرغ لاستيعاب دروسه والتدرب على حرفته، ولكنه الآن يبرز للحياة الحقة، فتبدأ مشاكلها تواجهه، يبحث عن عمل، ويُقرَّظ جهده وينتقد، ويُرقَّى وتُخطئه الترقية، يجوع ويشبع، ويصحُّ ويمرض، ويُحب ويخيب في حبه أو يتحقق أمله، تُلح عليه حاجات جسمه فيرضيها أو يعجز، ويُحاول أن يهتدي بهدي عقله فينجح حيناً ويخفق أحياناً، يصادق ويُعادي، يلاقي عنت الطبيعة وحرَّها وبردها وثلوجها وصحراءها وجبالها، يتغرب عن بلاده وأبويه وأهله، أو يقيم فيهجره الأقارب والأصدقاء، [أو يألفونه ويقربونه] وتفهمه الزوجة أو تعجز عن فهمه، وتطيب لهما العشرة أو تسوء. . . يرزقان بولد أو يحرمانه أبدا، ويمرض الولد فيشفى أو يموت، ويشب الولد فيتضح ذكاؤه أو عتهه، ويبدو صلاحه أو خبثه.

وتتقدم بهذا الشاب السنون فإذا هو كهلٌ فهرم، وينظر إلى ما انقضى

من عمره فيجد أنه أضاعه عبثاً، أو يجد أنه أحسن استثماره، وتتضاعف عليه العلل أو ينوء به حمل الشيخوخة، ثم ينتهي دوره على مسرح هذه الحياة الدنيا فيغادرها آسفاً أو راضياً. ولكنه في خلال ذلك كله وجد له سنداً وعضداً ونصيراً في تلك القطع الأدبية التي تعلمها وتذوقها وأحبها، فكانت له خير صديق في غمرات هذه الحياة وتقلباتها.

هذه القطع الأدبية التي أنشأها أفراد ممتازون من بني جنسه، بلغت قدرتهم على الإحساس بالحياة والاستجابة لتجاربها حداً أعظم مما تبلغه في الفرد العادي. مرَّ هؤلاء الأفراد الممتازون في حياتهم بنفس التجارب التي مرَّت به أو بتجارب تشبهها. ففي صحته وفي مرضه، وفي آلامه وفي مسرَّاته، وفي فوزه وفي خيبته، وفي رضاه وفي حنقه، وفي حبه وفي حقده، وفي أمله وفي قنوطه، وفي رشاده وفي ضلاله، وفي شبابه وفي كهولته وفي شيخوخته: في هذه الأطوار جميعاً وجد هذه المقطوعات من تراث قومه الأدبي، ألفها وفهمها وتذوقها وأحبها، فأنشدها وتغنى بها، ورجع إليها فقرأها وأعاد التأمل فيها، فنفَّست عن عاطفته، وخفَّفت من كربه، وزادت من فرحه، وواسته في مصائبه، وجعلت ألمه ألماً ساميا، وزادت من تلذذه بالحياة سعة وحدَّة وعمقاً، و وسعت من فهمه للحياة، وصبره عليها، وقوَّت من رجولته واستقلاله وكرامته، ووسعت من فهمه للناس وعطفه عليهم، وتسامحه معهم، وتغاضيه عن شوائبهم، وإحساسه بآلامهم، وإن لم تكن تعنيه.

ونستطيع أن نُجمل هذا كله في جملة واحدة: بهذا المحصول الأدبي استطاع أن يكون إنسانا، . . . يعي تجاربه التي تمرُّ به، ويفهم التجارب التي يمرُّ بها أبناء جنسه، وتتفتح عينه لكل ما في الطبيعة والحياة من

جمال، ويتسع قلبه لكل ما تعجُّ به الحياة من عواطف، إنساناً عميق الحس واسع القلب حديد العقل، إذا فرح فرح فرحاً عميقا، وإذا حزن حزن حزناً جليلا، وهو إلى هذا ليس محبوساً في قفص جسمه، بل هو يشعر بشعور أبناء جنسه ويُشاركهم غبطهم وأساهم.

[أما غير المتحضر] فلا يستمتع بالحياة الإنسانية الكاملة، يقضي حياته لا يكاد يشعر شعورا إنسانياً، يفرح فيكون فرحه أعجم، يكاد لا يزيد عن فرح الحصان بالمرعى، والقرد بالبندق، يعبر عنه بأن يقهقه ويتمايل، ويصخب ويقفز، تعبيراً حيوانياً تعرفه سائر اللبونات، ويألم فيكون ألمه ألما أعجم، إما أن يختزنه صدره فيلجأ إلى التقطيب والتململ والتذمر، وإما أن ينفجر به في ثورة حيوانية من الزمجرة أو السباب أو النحيب.

وهو إلى هذا محصور في دائرة نفسه الضيقة، يكاد لا يفقه من حوله أو يضطرب لاضطراب نبضات قلوبهم. ثم إنه غافل عن جمال الموجودات والأحياء، عاجز عن لذات الحياة العليا، فإذا حاول أن يستعين على كُرب الحياة بالتلذذ كانت لذاته جافية غليظة، لذاتِ الجثة الحيوانية، لا تهذيب فيها ولا رقة ولا تسامي، فهي لذات تزيده انحداراً ولصوقاً بالأرض، وشبها بالحيوان.

المناقشة:

1 ـ وضح أهمية الأدب في الحياة في عناصر محددة.

2 ـ ما الفرق بين الشاب المتشبع بالأدب المتصف بالذوق والثقافة وسواه؟

3 ـ أين تضع هذا الأسلوب بين الأساليب التي درستها؟

التطبيق :

1 ـ انقد هذا النص مبيناً حسناته وهفواته .

2 ـ اكتب مقالة على غراره، تبين فيها أهمية الأدب للحياة، مستعينا بالعناصر التي سجلتها في فقرة المناقشة .

تحقيق المخطوطات

تطلق المخطوطات فيراد منها ما بقي من التراث الإنساني مدوناً بالكتابة اليدوية، ويراد بتحقيقها كلّ ما يجعلها في أقرب صورة تركها عليها المؤلف، وذلك يشمل توثيق نسبتها إلى مؤلفها، وجمع نسخها الباقية، والدقة في قراءتها، والمقارنة بينها لبيان الصحيح منها، والدخيل، والمزاد، والناقص، والمبتور، والتثبت من صحة عنوانها الخارجي وعناوينها الداخلية، وتخريج اقتباساتها، وضبط نصوصها.

وقد زاد المحققون أعمالاً إضافية عن هذا الواجب المبدئي في تحقيق المخطوطات، فكانت إضافتهم مهمة للغاية لأنها تزيد النص وضوحاً وإضاءة، ومن ذلك ما يضعونه من الفهارس للأعلام والأماكن والكتب والألفاظ الغريبة، والقوافي، والنصوص المهمة، وما يزودوِّن المخطوطة به من الهوامش، التي تقارن بين النسخ، وتخرج الآيات والأحاديث النبوية، وتشير إلى مصادر النصوص المقتبسة، شعرية كانت أو نثرية، وما يوسعون به الحواشي من إضاءات معرفية للنص تشرحه، أو تكمله، وما تعرف به الأعلام والبلدان، والكتب الواردة في النص،

وتوضح الأمثال وتنسبها إلى مصادرها، وتصحح النصوص التي وردت على صورة خاطئة.

وهذا يعني أن التحقيق يشمل معرفة الورق والخط حيث العمر، فالخبراء بالورق يقدرون عمره وتاريخ صناعته بناء على معلومات في الورقة، أو تحليل لمادتها وهذا يساعد في تقريب معرفة وقت النسخ، وربما وقت التأليف أيضاً. كما يشمل معرفة نوع الورق الذي قد يدلنا على البيئة التي انتشر فيها، والعصر الذي عرف فيه هذا النوع.

وتعين الاختلافات بين أول المخطوط وآخره ووسطه، وتعليل الفروق إن وجدت بين أجزاء النسخة الواحدة، وبين النسخ المختلفة، والتعرف على المداد وتغيراته ودلالة ذلك، ومعرفة الناسخ، وعلاقته بالمؤلف أو أحد تلاميذه، وعصره، وثقافته، ومعرفة تاريخ النسخ إن وجد، تعين مثل هذه الأمور في وضع تصور دقيق لرحلة المخطوط عبر الزمن، وتجعل المحقق يعيش حياة المخطوطة التي بين يديه، وتمكنه من الحكم عن قرب على أصالتها أو زيفها، قدمها أو حداثتها، زيادتها أو نقصانها، وتلك أمور في غاية الأهمية في براهين التحقيق ونتائجه.

عمل المحقق:

1 ـ مرحلة الاختيار وجمع النسخ:

يبدأ عمل المحقق من مرحلة اختيار المخطوط المناسب، مراعيا في ذلك عدم إنفاق الجهد في عمل سبق تحقيقه، ما لم يكن في إعادة تحقيقه إضافة علمية، أو إتمام لنقص، أو تصحيح لأخطاء مخلة بالنص الأصلي.

وتعتمد مرحلة الاختيار على سعة اطلاع في مجال العلم الذي نختار منه، ودراية تامة بمظان البحث والتقصي عن المخطوطات، كفهارس

المخطوطات الشاملة، أو فهارس المكتبات الخطية، ويفيد أن نعود إلى المتخصصين في التحقيق، وعلى الأخص في المجال الذي نختار منه، وإلى الكتب التي تعتمد على مصادره، وعلى الرسائل الجامعية، وغيرها من المظان التي تعرف بالمخطوطات، ومنها كشف الظنون لحاجي خليفة، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، وهو ما يجعلنا نعدد النسخ من المخطوط الذي نختاره، وندرس حالة كل نسخة.

وقد نعثر على ما يفيد أن هذا المخطوط قد سبق تحقيقه أو لم يسبق من كتب أخرى تعنى بتراجم المؤلفين مثل معجم المؤلفين لرضا كحالة، أو الأعلام للزركلي، ، أو دوريات تهتم بالتراث مثل نشرة التراث العربي التي يصدرها معهد المخطوطات العربية في مصر، ثم في الكويت، وعودة إلى مصر، وفي معاجم الكتب وقوائم المنشورات، وكتب المعارض، وغيرها من المظان التي لا يستغني المحقق عن الرجوع إليها في مرحلتي الاختيار والجمع.

وكلما جمع المحقق من النسخ، وحرص على نفائسها، وباعد بين بيئات جمعها، كان عمله أهدى إلى التوفيق، وذلك لأن كثرة النسخ تظهر الفروق التي تساعد على قراءة الكلمات غير الواضحة في هذه النسخة أو تلك، وأما محاولة الجمع من بيئات متباعدة ففائدته أن النسخ الموجودة في بيئة واحدة قد تكون معتمدة على نسخة واحدة ليست أصلاً فتتفق فيها أخطاء تلك النسخة أو عيوبها، حتى يظن المحقق أن الخطأ كان من المؤلف نفسه، ولا ينقذه إلا نسخة أخرى كتبت على غير النسخة التي بين يديه.

2 ـ تحقيق العنوان ونسبته إلى مؤلفه:

تتشابه العناوين في الكتب، كما تتشابه أسماء المؤلفين، وقد أدى ذلك إلى نسبة كتب لغير أصحابها، ونشرت أخرى منسوبة إلى مجهول، والنسبة إلى المجهول أفضل من التمحل في نسبة الكتاب إلى غير كاتبه، ومع ذلك فإن الحرص على تتبع الأدلة على نسبة الكتاب من طرق شتى أفضل من التسرع في إخراج الكتاب منسوبا إلى غير صاحبه.

وهذه النسبة أمر جدير بالعناية، لما تترتب عليه من دراسات، ونتائج، وأحكام، ولا يجوز للمحقق أن يعتمد فيه اعتمادا كليا على ما يوجد على ظهر المخطوطة من نسبة لا يجد ما يوثقها من النص أو من خارجه، قبل أن يعود إلى المظان، ويّسائل المصادر والمراجع، ويرجع إلى المختصين، فوسائل التحقق من ذلك كثيرة، وإمكانات التوفيق فيها غير متعذرة، وبخاصة إذا كانت نسبة الكتاب إلى شخصية مشهورة.

إذ قد تكون العنوان المثبت على الغلاف لكتاب آخر وضعت المخطوطة بين دفتيه، أو يكون وضع العنوان تصرف اجتهادي من قبل الناسخ، أو ما ذلك من الأسباب، وفي هذه الحالة فإن التأمل يبدأ من المقارنة بين العنوان والنص، لأن العناوين القديمة عادة ما تكون دالة على محتوياتها، وقد يكون فيها من الطول ما يوضح تخصصها الدقيق.

ويعتمد المحقق في تحقيق العنوان على البحث عنه في فهارس المخطوطات، وفي مسارد الكتب في الكتب المطبوعة التي تنتمي إلى تخصص المخطوط، أو عصره، أو بلده، أو مؤلفه، وإذا كان التأمل في نص المخطوطة نفسها مهما جداً في هذا الصدد، فإن الرجوع إلى كتب التراجم التي أوردت اسم المؤلف، أو بعض تلاميذه، والمصادر الأخرى

التالية لعصر المؤلف أو المعاصرة له مظان أخرى، يمكنها أن تهدينا إلى العنوان الصحيح، ومثل هذا يقال في فهارس ومشيخات تلاميذ المؤلف أو تلاميذ تلاميذه، لأنهم في هذه الفهارس يذكرون ما قرؤوه من عناوين كتبه فيكون ذلك دليلاً للإيجاب أو النفي.

كما قد ينسب الكتاب إلى غير صاحبه لأسباب مختلفة، ليس أكثرها بسوء قصد، إذ وجدت مخطوطات منسوبة لمتملكها لإثبات الملكية فقط، ولم يثبت إلى جانبه اسم المؤلف، ودفع تشابه العناوين بعض النساخ إلى إضافة اسم المؤلف من ذاكرته، لمجرد أن هذا المؤلف قد صنف كتاباً بهذا الاسم أو قريبا منه، فكم من كاتب ألف مصنفا باسم الرسالة، أو الذخيرة، أو الحماسة، أو الأمالي، فاشتهر بعضها ولم يشتهر الآخر، وذلك يوهم الناسخ المتسرع في نسبة الكتاب إلى هذا المؤلف المشهور.

وعلى المحقق أن يمسك بالخيط الأول، وهو اسم المؤلف المثبت على صفحة العنوان، ثم يتتبع المصادر المشار إليها سلفا، ويعرف خصائص أسلوبه، وطبيعة ثقافته، ومدى انطباق ذلك على العمل الذي بين يديه.

3 ـ تحقيق النص:

مهمة المحقق إذن هي إخراج النص في صورة مطابقة أو قريبة من الأصل الذي وضعه المؤلف، وهو عمل يحتاج إلى أن نعرف ذلك الأصل حتى نؤكد أن عملنا مطابق أو قريب منه، وذلك يتطلب الخطوات الآتية:

أ ـ تصنيف النسخ المجموعة:

وهو ما يعني قراءتها قراءة أولية، لمعرفة أقربها إلى عصر المؤلف، وأصحها، وأسلمها، لتختار النسخة الأم، وهي الأقدم عادة، وأقرب

النسخ السليمة إليها، إذا كانت القديمة غير مجدية في التحقيق.

ب ـ قراءة المخطوط:

تقتضي هذه المرحلة أن يكون للمحقق دربة وخبرة في تحقيق النصوص، ومعرفة الفروق بين الخطوط، على أن الخبير نفسه يحتاج إلى مرحلة من التأني حتى يتبين خصائص خط الناسخ الذي يتعامل معه، لمعرفة طبيعة رسمه للحروف في أول الكلمة وآخرها ووسطها، وطريقة رسمه الإملائي، إذ من النساخ من يمزج بين الرسم القرآني والرسم الإملائي، وللنساخ رموز وإشارات للإضافة والحذف والتصحيح تتضح لقارئها بعد القراءة المتأنية. وعلى ذلك فإن فترة القراءة هذه أكثر أناة من القراءة الأولية التي عرفناها في مرحلة التصنيف، ويحسن أن تكون مصحوبة بتعليقات وملاحظات للمحقق تفيده في مرحلة النسخ.

ج ـ النسخ:

تتم مرحلة النسخ من النسخة الأم بخط واضح، مع ترك سطر والكتابة على الآخر ليمكن أن يضاف ما يمكن إضافته من الكلمات والرموز، كما ينبغي أن يُترك فراغ قدر ثلث الصفحة على الأقل في أسفلها لكتابة الفروق بين النسخ، وتخريجات النصوص المقتبسة، وترك صفحة، والكتابة على المقابلة لها، لإتاحة الفرصة لكتابة تعليقات أخرى نختار منها حواشي المخطوط.

ويجدر بالذكر بأن الناسخ يمكنه في هذه المرحلة أن يعتمد الرسم الإملائي السليم، وإن كان مخالفاً للأصل، على أن يشير إلى ذلك في المقدمة أو في الحواشي والهوامش، وعليه أن يستخدم علامات الترقيم الحديثة، بما في ذلك علامات الحذف، والإضافة على الأصل كما يمكنه وضع عناوين

جديدة للمباحث المختلطة، شريطة أن يضعها ما بين معكوفات تشير إلى أنها إضافة إلى النص، كما ينبغي له أن يوزع الفقرات توزيعا دقيقا بحسب المعنى، وذلك بما لا يخل بمراد المؤلف من الترتيب، ولكن بما يحول النص من طبيعة كتابة المخطوطات متواصلة الأسطر عادة إلى التوزيع الحديث للفقرات والفصول.

وسيضطر المحقق إلى ترقيم صفحاته بحسب تسلسل كتابته هو، ولكن عليه أن يحتفظ بترقيم المخطوط في الأثناء، فيضع رقم الورقة أو الصفحة بين قوسين، مشيراً إلى أنه ظهر أو وجه في الحالة الأولى.

وله التصرف في كتابة الشعر على غير النسق الذي وجده مخطوطاً، حيث إن بعض النساخ يخلط الشعر بالنثر، ويربط الصدر بالعجز، وغير ذلك من الأمور الفنية التي يجوز التصرف فيها لأنها تساعد على وضوح الأصل ولا تخل بشيء من أصالته.

وعلى المحقق أن يحافظ في الحواشي على تعليقات النساخ، وحواشي العلماء الذين قرؤوا المخطوط، فلذلك أهمية كبرى لغيره من القراء الذين لم يقفوا على أصوله المعتمدة، وللدارسين فيما بعد. (وأن يشير في المقدمة إلى انتقال ملكية المخطوط وتداوله وتنقلاته، فذلك يعطي قيمة كبرى في زيادة التحقيق والتوثيق، وأن يبن نوع الخط).

د ـ الضبط:

يجتزئُ بعض المحققين بضبط مواضع اللبس، حتى لا يحدث بكثرته إظلام للنص، ويرى غيره ضرورة الضبط الكامل، معتبرا ذلك من تمام التحقيق، ولا اختلاف على أهمية ضبط المؤلف، أو ضبط النسخة المختارة، مع الإشارة إلى أخطائها إذا وجدت، «فهذا الضبط له حرمته،

وأمانته، وواجب المحقق أن يؤديه كما وجده في النسخة الأم»[1]، وفي كل الأحوال فإن لغة المخطوط من حيث السهولة والصعوبة، وتراكيبه من حيث الوضوح والغموض، وكثرة وجود الملتبسات من عدمها هي التي تجعل الضبط الكامل لازماً، أو مستحسناً، أو مقبولا.

هـ ـ حواشي التحقيق وهوامشه:

تكمن أهمية هذه الحواشي والهوامش في أنها وثائق الأصل، وأدلة الجهد المبذول في تحقيقه، فضلاً عن أنها تعطينا إضاءات أخرى تسهم في التوضيح والتعليل، أو تصحح معلومة في الأصل، أو تكمل نقصاً فيه، أو ما إلى ذلك من الأغراض العلمية المعروفة، على أن يُراعى في وضعها عدم إثقال النص بالحشو والتزيد فيما لا ضرورة له، من التوسع في التعليقات الإضافية والتراجم، والتعريف بالبلدان، إذ ينبغي الإيجاز في ذلك وتحويل المستزيد إلى المصادر والمراجع المستفيضة.

و ـ مكملات التحقيق:

تشتمل مكملات التحقيق على الفهارس والملاحق، والدراسات الممهدة، وقد حظيت الفهارس على الخصوص باهتمام المحققين المحدثين، فأصبحت المخطوطات المحققة مزودة بفهارس الأعلام، والبلدان، والقوافي، والموضوعات، والمصطلحات، وقد يسر ذلك من الرجوع إلى محتوياتها التفصيلية، بل إن بعض المخطوطات المحققة يعاد تحقيقها أحياناً بقصد إضافة الفهارس إليها، فترتفع بذلك قيمتها العلمية كثيراً.

(1) قواعد تحقيق المخطوطات لعبد السلام هارون ص. 74

المقدمة والدراسات التمهيدية:

ما كتب في قواعد التحقيق:

تقدم هذه النبذة إفادة إلى الباحث بقائمة لما كتب في قواعد التحقيق، ولكنها لا تغنيه عن النظر في غيرها من المصادر التي يمتلك أصحابها تجارب أخرى مفيدة:

1 ـ تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام هارون، مؤسسة الحلبي، القاهرة 1956، وهو على صغر حجمه مكتنز بالمعلومات المفيدة، نتيجة التجربة الغنية لمؤلفه في مجال تحقيق التراث.

2 ـ أصول نقد النصوص ونشر الكتب لبرجستراشر، دار الكتب 1969، والملاحظ على أصول تحقيق النصوص العربية عند المستشرقين بعامة أنهم يهتمون بإخراج النص أكثر بمكملاته، باستثناء الفهارس العامة.

3 ـ قواعد تحقيق المخطوطات، لصلاح الدين المنجد، وفيها تجربة الشخصية مع تجارب لآخرين جعلت عمله قيماً.

4 ـ مقدمة في المنهج، لعائشة عبد الرحمن، نشر معهد البحوث والدراسات العربية سنة 1971.

5 ـ محاضرات في تحقيق النصوص ومناهجه، لمحمد رضوان الداية (مخطوطة تحتوي المحاضرات التي ألقاها ضمن الدورة التدريبية السادسة لدراسة شؤون المخطوطات العربية) وفيها مجموعة مهمة من مصادر التحقيق.

6 ـ منهج تحقيق النصوص ونشرها لنوري حمودي وسامي مكي.

7 ـ تحقيق التراث لعبد الهادي الفضلي، مكتبة العلم جدَّة 1982.
8 ـ ضبط النص والتعليق عليه لبشار معروف، مؤسسة الرسالة 1982.
9 ـ البحث الأدبي لشوقي ضيف، الفصل الثالث، طبعة دار المعارف.
10 ـ تحقيق نصوص التراث للصادق الغرياني، طرابلس ـ ليبيا
11 ـ محاضرات في تحقيق النصوص لهلال ناجي، بغداد ـ العراق.
12 ـ تصحيح الكتب، لأحمد شاكر، القاهرة ـ مصر
13 ـ مجلة الثقافة، القاهرة 1944، وفيها مقال لمحمد مندور حول نشر النصوص وتحقيقها.
14 ـ مجلة المورد (ج6 ـ 1977) أمالي في فن التحقيق لمصطفى جواد.
15 ـ مجلة المخطوطات العربية (م1 ج1: 1982) نظرة في تحقيق الكتب لأحمد مطلوب.

نماذج لبعض الخطوط العربية

توجد بعض الاختلافات في رسم الحروف وقواعد الإملاء بين المشرق والمغرب، ترتب عليها وجود أنواع من الخط العربي متمايزة الأشكال، وعلى المحقق أن يكون على بينة منها، فمن ذلك الخط الأندلسي والمغربي والسوداني والصحراوي والمشرقي، وتحته أنواع متعددة:

أنموذج للخط الأندلسي

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الفقيه [illegible] القاضي [illegible] ابو اسحق

ابرهيم بن [illegible] ابو العباس احمد [illegible] القاضي [illegible] عام خمس

وسبعمائة قال أخبرنا الشيخ الفقيه الحافظ ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن

[illegible] سنة خمس وخمسين [illegible] وانا اسمع قال نا

الخطيب ابو الحسن علي بن [illegible] يوم [illegible]

عام احدى وتسعين [illegible] ببلنسية [illegible] قال نا ابو محمد عبد الغني

بن عيسى بن عبد الواحد [illegible] واخبرنا جماعة من شيوخنا

عن [illegible] من اهل العلم [illegible] ابو القاسم احمد بن محمد

السلفي [illegible] ابو [illegible] الحسين بن [illegible] قالوا اخبرنا

ابو علي الحسن بن احمد بن شاذان نا ابو عمرو عثمان بن احمد الدقاق نا الحسن

بن سلام نا عبيد الله بن موسى [illegible] عن الزهري عن ابي سلمة

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لا يبدا

فيه بحمد الله [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] البخاري [illegible]

قال القاضي ابو بكر بن العربي [illegible] قال وهذا اعلى حديث

وقع هذا الحديث [illegible]

[illegible] ابو بكر [illegible]

انموذج للخط المشرقي

أنموذج للخط المغربي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم تسليما

هذه حاشية العلامة الشيخ أبي عبد الله
محمد بن عمر ابن بوستة على فرائض الشيخ
أبي اسماعيل بن موسى الجيطالي رحمهم
الله ورضي الله عنهم

الحمد لله الذي ألهم قلوب العارفين لتوحيده ونور قلوب المخبتين بالحسنى حمدا وتمجيدا
والصلاة والسلام على أكرم الخلق على الاطلاق محمد بن عبد الله المخصوص يوم
النشر بالبراق وعلى آله وأصحابه الأطهار ثم تابعيهم من المهاجرين والأنصار
أما بعد فهذه حاشية الشيخ المحقق الصالح ابي عبد الله محمد بن
عمر ابن بوستة النفوسي على كتاب الفرائض تأليف الشيخ اسماعيل بن موسى الجيطالي
رحمه الله قال قوله النحوية بالرحمونية والبجائية براعة استهلال قوله بتعاون بينهن
زلفا والقسم فيه براعة الاستهلال أيضا ومعناها أن يوتى في الابتداء أي
وما أن يشير الى النتيجة التي ما يريد الكلام عليه او نحو ذلك ولا شك
انه يتكلم فيما بعد على ما يتعلق بالقسم والتعاول فيه وفيما ذكر الله
لكل وارث من موروثه قوله نصف العلم انما كانت الفرائض نصف العلم لأن للانسان
له حالتان حالة موت وحالة حياة فجميع العلوم تتعلق بحالة حياته إلا علم
الفرائض فإنها بحال الموت قوله سينزع العلم أي بموت اهله قوله روي عن زيد وعلي
فاتبعه للثلاث قوله احسن في بعض النسخ أطيب قوله سليمي سلمى اي حليمي
قوله لا تعطوا في نسخة لا تعطي قوله اخوات تعيي والله اعلم فيما بينهن وإن
كن بنات له قوله وهو مولى الشيخ الظاهر أن الضمير راجع لسالم مولاه مع انه قد ذكر
ان سالم مولى حذيفة فتفصل قوله إما بالسبب الى التكلم فيه تامل
من وجهين احدهما ان المناسب أن يقول ابتدى له إما بالتكلم الخ لأن السبب
شامل لكل من الوجهين واما ثانيا فحيث عبر بالسبب عن الوجه الاول
فالمناسب ان يقول وهو التكلم قوله وهولاء هم العصبة في هذا الحكم تامل

فإنه يقتضي

ثقافة المحقق وأدواته

من نافلة القول أنَّ تحقيق المخطوطات صار غرضاً سامياً من أغراض البحث العلمي؛ وذلك لما يقدِّمه للمعرفة الإنسانية من عناية بصحة نقل التراث البشري، واجتهاد في ضبطه، وتقويمه وتقديمه إلى القراء في أقرب صورة من الأصل الذي صنعه الأوائل.

والإقدامُ على هذا المجال يستوجبُ مؤهلاتٍ مكتسبة نتيجة التعليم والتدريب، وأخرى فطرية أساسها العقل السليم والتفكير المنظم، والروح الباعثة على العمل والإخلاص، فالتحقيق عمل مضنٍ ودقيقْ، ومقصد سامٍ ونبيلْ، ولذا وجب أن يتحلى من يتصدى له بالصبر والاجتهاد، والإخلاص، والفطنة، وهي جوانب ضرورية للباحث بلا ريب غير أن التناول سيقتصر في هذه الورقة على الثقافة اللازمة لمحقق النّصّ العربي، وما يقتضيه عملُه من مؤهلاتٍ علمية وتدريبية جديرة بتمكينه من إنجاز مهمته على الوجه المطلوب.

والحق أن كلَّ ذلك مما يُقَدَّمُ إلى طلاب العلم، ومُبْتَدِئَةِ الباحثين ليسهم في تكوينهم وترميم ثقافتهم.

جوانب ثقافة المحقق:

إن المحقق مفتقر إلى مؤهلات فطرية تكمن في دقة الفهم وحسن التمييز وكمال الفطنة، وأخرى سلوكية ونفسية تتمثل في الرغبة والاجتهاد والصبر والإخلاص، ولا تدخل هذه الجوانب على أهميتها في الثقافة التي ترمي إلى تحديدها في العجالة.

إذِ المرادُ بثقافة المحقق هنا ما لا بد لَهُ منه، من علوم ومعارفَ مكتسبة عن طريق التَّعلُّم والتدريب، أو بالخبرة والمراس والتجريب، وعلى ذلك فقد قسمتُ هذه المؤهلات إلى علوم ومهارات وخبرات.

الجانب الأول: العلوم والمعارف

فالإقدام على التحقيق يقتضي بالضرورة أن يلمَّ المحقق بجملة من المعارف والعلوم ذات الصلة بموضوع البحث ومؤلفه وأصول العمل وأدواته، ومن ذلك:

أولاً: الإحاطة بموضوع المخطوط؛ إذ النصُّ وثيقةٌ علميةٌ تستدعي أن يكون محقِّقُها على بيِّنة من موضوعها؛ إحاطةً بأصوله وفروعه، وفهماً لمراميه، واستشكالاته، ومصطلحاته، واطِّلاعاً على مصادره، وتاريخه، ونقده.

ويقتضي ذلك أن يعود المحقق إلى تلك المصادر على اختلاف عصورها وتباين مشاربها، ليفيد منها في فهم النص، ودفع اللبس، أو إثبات التأثير والتأثر، وكثيراً ما يكشف المحقِّقُ العالمُ في موضوع المخطوط جوانب من الفوائد لا يدركها غيره من عامة المحققين، بل عامة القراء، وإنما يكون ذلك بفضل إحاطتِهِ بالنَّصِّ وبما حولَ النَّصِّ من معارف وعلوم.

ثانياً: الإلمام بثقافة العصر: فالعلم المخطوط، على أهميته، لا يكفي في تكوين ثقافة المحقق وإبراز قدرته في معرفة جزئيات النَّصِّ وإشاراتِهِ؛ إذ هو مطالبٌ بمعرفة الثقافةِ العامةِ التي أَلَمَّ بها المؤلفُ الأصلي، ليتابعَ تعبيراتهِ وإشاراتِهِ التي تعكسُ تلك الثقافةَ، ويدخلُ في ذلك إشاراتُهُ التاريخية للأعلامِ والبيئاتِ والكُتبِ والمصطلحات العلمية السائدةِ في حقبة التأليف.

ويمكنه أنْ يعوِّض بعض ما تقدَّم بمساعدة المظان التي يكشفُ بها عن مدلول علمٍ أو مصطلح، أو بلدْ ولكن ذلك لا يعفيه من الاطلاع الواسع على ثقافة عصر المخطوط بعامة، وثقافة المؤلف بخاصة؛ لأن أسلوبهُ وأفكاره نتاجُ الثقافتين المشار إليهما.

ثالثاً: الإلمام بقواعد التحقيق وأصولِهِ ومناهجِهِ. فهذه القواعد ـ كما لا يخفى ـ هي أدوات المحقق في التعامل مع النص المخطوط، وإذا جاز لأوائل المحققين أن يُقْدِمُوا على التحقيق قبل حصرِ تلك القواعدِ وتدوينها، فلأنهم وضعوا أسسها من خلال معاناتهم ونسجوا خيوطها من تجاربهم الشخصية الطويلة، أما في عصرنا هذا فقد أُلِّفت كتب ودراسات كثيرة لا يجوز جهلها أو تجاهلها؛ منها ما يتصل بتصحيح الكتب وإثبات نسبتها إلى أصحابها، ومنها ما يُعْنَى بكل جوانب التحقيق بما في ذلك اختيار النص ووصفه، والمقابلة بين النسخ، والتعريف بالرموز الخطية، وبيان خطوات التحقيق، والعناية بالهوامش والحواشي والملاحق والفهارس، ومعرفة عيوب المخطوطات وآفاتها ومآتيها.

ويتصلُ بمعرفةِ أُصول التحقيق، العلمُ بمناهج المحققين في إتمام الناقص، ووضع الحواشي، وكيفية التخريج، وأنواع الفهرسة، وتصحيح

الأخطاء. ولهم في ذلك وغيره مذاهبُ ومناهجُ خَصُّوا بها مؤلفاتٍ بعينها، أو عَبَّروا عنها في مقدمات تحقيقهم، أو انعكست في تعليقاتهم دون الإعلان عنها والتصريح بها في إطار التنظير والتقعيد.

رابعاً: الإلمام بعلوم العربية: وتأتي القواعدُ العربية، نحواً وصرفاً، وإملاءً، في الصدارة بين المعارف التي ينبغي لمحقق النصِّ العربي أن يلمَّ بها، ويتحصل على مهاراتها المختلفة، فهي أدواتُه في القراءةِ، والتعليق، والدَّرس، والنسخِ، والتصحيح.

لكن النصَّ المخطوط قد يكونُ شعرياً، أو نثرياً، أو جامعاً بينهما، وفي أغلب هذه الأحوال ينبغي للمحقق أن يكون ملماً بعلم العروض، أو ممن يملكون حاسةً موسيقية تفصل الشعر عن النثر، وتُشعِرُ بالخلل في الوزن، فقد جاءَ ذلك في بعض المخطوطات مختلطاً، وانعكس على تحقيق بعض النصوص، فكان أكبر المآخذ عليه.

كما ينبغي للمحقق أن يلم بكتب النقد والبلاغة والأدب لما لها من أثر في تكوين ملكة التذوق الأدبي التي يُدرك بها الخطأ، ويُتَعرفُ بها على مواطن التجديد والتقليد، والتأثير والتأثر. فيعنيه كلُّ ذلك على تمييز قيمة المخطوط الذي يشتغل عليه، والاستبصار بمصادره ونظائره، وإضاءة نصِّه بالتعليقات النافعة والإفادات المهمة، لأن تكوين تلك الملكة هو نتاج تقوية الرصيد الأدبي والتراكم المعرفي.

على أن الإلمام باللغات الأخرى ذات الصلة بموضوع المخطوط ومصادره مما يستوجِبُهُ التحقيقُ بدرجاتٍ متفاوتة، لما لها من أثر في فهم النص وما حوله، وفي توسيع مدارك المحقق، وتبصيره بآفاقٍ أخرى ما كان ليراها بمنظوره اللغوي الواحد.

خامساً: العلم بالمظان: وهذا جانبٌ كبيرُ الأهميةِ في ثقافة المحقق، يعتمدُ على الاطلاعِ الواسع على ما أنجزه العلم قديماً وحديثاً من أَدِلَّةِ المعلومات في البحث عن عَلَم، أو عنوانٍ، أو اسمِ بلدٍ، أو إشارة تاريخية أو مصطلح أو غيره. ومظانُ ذلك ـ كما هو معروف ـ هي كتبُ الرجال وَمَا أَكْثَرَها، وفهارسُ المخطوطاتِ والمطبوعاتِ والدوريات، ومعاجمُ اللغة، والمعاجمُ الفهرسةُ لألفاظِ القرآن الكريم والحديث الشريفِ، ومعاجمُ المصطلحات، ودوائرُ المعارفِ والموسوعاتُ وكتبُ البلدانِ، وما في حكمها.

ولا شك في أن المحقق يحتاج في هذا الصدد إلى المكتبة المسعفةِ القريبة والجامعةِ لهذه المظانْ. كما يحتاجُ إلى الإمكانات العلمية الحديثة التي يوفِّرها الحاسوبُ لتذليل الصِّعاب وتوفير الوقتِ والجهد.

سادساً: العلمَ بأُصول البحثِ والدِّراسة: فالمحقق باحثٌ يتعاملُ مع نصِّه بمعايير البحث العلمي السَّليم، وما يتطلبُهُ من تخطيطٍ، وتنظيمٍ، وأمانةٍ علميةٍ، وموضوعيةٍ، ودقةٍ. وعليه فهو محتاجٌ إلى دراسة أصول البحث العلمي ليفيدَ منها في عَمَلِيَّتي التحقيق والدراسةِ التمهيدية وفي اختيار المنهجِ العلميِّ الصالحِ والمناسب.

سابعاً: متابعةُ الجديد في حركةِ التحقيق من خلال الاطِّلاع على ما تدفعُهُ دورُ النَّشرِ، أو ما تُذِيعُهُ نشراتُ أخبار التُّراثِ، والمجلات المتخصصةُ، أو ما يصدرُ عن أقسامِ الدراساتِ العُليْا بالجامعات.

الجانب الثاني: المهارات والخبرات:

يتم تحصيلُ هذا الجانبِ عن طريق التدريبِ والتَّمرسِ أكثرَ مِنْ تحصيله عن طريقِ الدَّرْس والمطالعة، مع حاجة المحقق إلى الجانبين معاً،

وأهمُ التّقْنياتِ التي ينبغي له أن يكون ماهراً فيها أو ملماً بها ما يلي:

أولاً: معرفةُ أنواعِ الخطوطِ، والرموز المتداولة، وتمكينُ هذه المعرفة من بلوغ غايات السرعةِ والإتقانِ والأُلفة.

ثانياً: معرفةُ عُيوب المخطوط وآفَاتِهِ، والإلمام بمعرفة الإمكانات الحديثة لعلاجها، وبما كُتِبَ عن ضروب التصحيف والتحريف ومآتيها. ويتصل بذلك الإلمام بما جدَّ من دراسات في علم المخطوطات أو ما يعرف بعلم «الكوديكولوجيا».

ثالثاً: الإلمام بمعرفة الورق، وأنواعه، وتاريخ الوراقةِ، وأنواع المداد، وتطورُّ طرقِ التجليد والتغليف، بحيث يأمنُ المحققُ بوائقَ التَّزييف، ويستعينُ على تقدير عُمُر المخطوطِ، وقيمته التاريخية، ويفيد من ذلك في تأكيد أو نفي نِسْبَةِ المخطوطِ إلى ناسخ أو مؤلفٍ أو عصر معينْ. وللخبراء في معرفة كلِّ ذلك وسائلُ متطورةٌ يمكنُ أن يفيدَ منها بالقدر الضروري.

رابعاً: معرفةُ المعداتِ الخاصة بترميم المخطوطات وحفظها، وتصويرها، وفهرستها، وتكشيفها، وتكبيرها، وغير ذلك من الأمور التي تعينُ على استغلال إمكانات العصر في التعامل مع المخطوط، وتساعدُ على توفير الوقت والجهد.

ولسنا نبغي أن يكون المحقق حُجَّةً في كُلِّ هذه الأمورِ التي قد يُعفيهِ منها المتخصصون، ولكنَّه مطالبٌ بمعرفةِ الإمكانات المتوفرةِ لخدمتِهِ حتى يفيدَ منها ويدركَ أهميتها.

خامساً: تعميقُ التجربةِ الذاتية عن طريق الاتصال المباشر بالمخطوطات حيثُ يرى الباحثُ بعينه ما كان قد سمعه أو قرأ عنه من

مصطلحات، كالتضبيب والتخريج، والتصحيح، والرموز، وآثار الزمن وآفات المخطوطات على اختلافها.

سادساً: الاستعانةُ بالتجاربِ الحيَّة للمحققين من خلال الاشتراك معهم في عملية التَّحقيق، والصبر على تقليب معاني الكلمات الغامضة في سياقاتها والوقوفِ على نصائِحِهِمْ في تلك الأثناء، وإنْ لم يكونوا من مشاهير المحققين.

أما إذا أتيح للمحقق المستجدِ أنْ يفيدَ من جهودِ عَلَمٍ مشهودٍ لَهُ بالدقةِ والموثوقيةِ، كالأساتذة الأعلام من شيوخ التحقيق في المشرق والمغرب، فإنه سينالُ شرفَ التَّلمذة على مدارسَ في التحقيق لها جذورُها الأصيلةُ، وتجاربُها الغنيةُ، وسيكونُ واعداً بمستقبل زاهرٍ في هذا الميدان.

سابعاً: الدربة على قراءة النص القديم: وهي دربة ذاتُ مراحلَ، تبدأُ بالمطبوعِ المُحقَقِّ، لما فيه من ضَبْطٍ لِلْمُلْتَبَسَاتِ، وشَرْح لِلْمُعمَّياتِ، وتنتهي بقراءةِ المخطوطات على اختلافِ أنواعِ خطوطها، وطرق ضبطها، وثقافةِ مؤلفيها ونُسَّاخِها، و أنواع وَرَقِها، وتفاوتِ عُصُورِها، وتلك مراتبُ مهمةٌ يتنقلُ فيها المتدربُ إلى أقصى غاياتِ التَّمَكُّنِ من قراءة المخطوطِ ومعرفة أسراره.

القسم الثاني

المكتبة والمصادر

التأليف المكتبي

الحديث عن المكتبة والمصادر يعود بنا إلى اهتمام العلماء المسلمين بهما في عصر ازدهار الحضارة العربية، فقد ذكر أحد الدارسين أن الكتب في مكتبة الصاحب ابن عبّاد وحدها «كانت من الكثرة بحيث تعادل ما كان موجوداً في مكتبات أوروبا مجتمعة»[1]، وليس الأمر مقتصراً على الكم، فقد كانت هذه المكتبة تعادل ما في تلك المكتبات من ناحية الكيف أيضا، بما تحويه من نتائج العقول في مختلف جوانب المعرفة التي وصل إليها عقل الإنسان، في ذلك العصر.

ولا شك أن هذا القدر من المصادر والمراجع كان في حاجة إلى التنظيم والترتيب للإفادة من محتوياته، توفيراً للوقت والجهد، ولدينا الكثير من الأدلة على وجود فهارس لبعض تلك المكتبات، ويكفي أن نعلم أن مكتبة ابن عباد المشار إليها، كانت تشتمل على عشرة مجلدات من الفهارس[2]، ويقودنا ذلك إلى الإشارة إلى نشأة وتطور التأليف في فهرسة

---

(1) مجلة الكتاب العربي: من بحث للأستاذ عبد الستار الحلوجي. عدد أكتوبر 1970

(2) انظر المصدر السابق، ومصادر التراث العربي لعمر الدقاق ص: 20

الكتب العربية الإسلامية، وفي الطليعة من ذلك كتاب الفهرست للنديم، وفهرسة ابن خير، وكتاب وكتب البرامج والمرويات والأثبات، ومع ذلك فلا يمكن القول بأن علم المكتبات كان معروفاً في ذلك العصر بصورة قريبة أو مشابهة للمستوى الذي وصله في العصر الحاضر، فقد اتسعت حركة النشر، وتعددت طرق التنظيم والفهرسة، وتنوعت محتويات المكتبة العصرية إلى أصناف من المواد العلمية والمساعدة، مما لا عهد للمكتبات القديمة به في أي عصر.

ولقد أخذت الكتابة في موضوع المكتبة والمصادر في البلاد العربية خلال القرن العشرين منحيين رئيسين، هما: منحى التأليف المكتبي الذي تتولاه أقسام الوثائق والمعلومات والمكتبات في الجامعة، وهي أقسام حديثة نسبيا في البلاد العربية، ثم المنحى البحثي الذي تولاه أساتذة الدراسات العليا، وفيهم من درس في الجامعات الغربية، أو اطلع على أعمالها العلمية في هذا المجال، ولحق بهم في متابعة دراساتهم تلك تلاميذهم الذين راق لهم هذا العلم، ووقفوا على أهميته.

وترتكز مؤلفات الأساتذة المختصين في علم المكتبات على محاور الفهرسة، والتصنيف، والتكشيف، والإعداد الفني لمواد المكتبة وخدماتها، وحفظ تلك المواد وتنميتها ببرامج التمويل والتزويد المنظمة، وتيسير التعاون بين المكتبات في هذا السبيل.

كما تتناول تلك الدراسات أنظمة الإعارة، والتخطيط، والتدريب، وغير ذلك مما تحتاج إليه طبيعة المكتبة العصرية ومحتوياتها العلمية والفنية، والخدمية.

أما دراسات المنحى الآخر فتهدف إلى التعريف بأهم المواد العلمية

المرجعية، المتمثلة في الكتب المطبوعة، والدوريات، والمخطوطات، وما يتصل بها من وسائط نقل المعرفة وأدلتها، وذلك باستعراضها والتعريف بمضامينها ومناهجها، ومؤلفيها، ومكانتها بين نظائرها من المؤلفات السابقة واللاحقة، وهي دراسات متفاوتة بتفاوت حظ أصحابها من الاطلاع والتحري، وباختلاف مناهجها في التطويل والاختصار، والمحدودية والشمول.

ويذكر للجيل الرائد سبقه في في هذا المضمار، وإن اختلفت طرقهم في تقديم هذه المادة للطلاب الجامعيين، فالدكتور أمجد الطرابلسي مثلا جعل كتابه، الموسوم بنظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب، يتناول التأليف في مضماري اللغة والأدب، فعرّف بالمعاجم، وطرق ترتيبها وأكثرها تداولا في صنفي الألفاظ والمعاني، ثم تناول التأليف في ميدان الأدب، في صورة مجموعاته الشعرية، وكتبه الثقافية والأدبية العامة، وتراجم الأدباء واللغويين والنحاة.

وسار على هذا المنهج تقريبا الدكتور عمر الدقاق في كتابه «مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم» وبين الكتابين ما يناهز العقدين من الزمن، فقد ألف الأول كتابه في مطلع الخمسينيات من هذا القرن، ونشره الثاني في سنة 1968، وعلى هذا النحو جاء كتاب «المصادر الأدبية واللغوية» للدكتور عز الدين إسماعيل، و«مراجع في أصول اللغة والأدب» للعوضي الوكيلي، وإن تأخرا زماناً عن جيل الروّاد، ومن ذلك «منهج التأليف عند العرب» للدكتور مصطفى الشكعة.

.. ثم تلت أعمال جيل الرّواد مجموعة من الأعمال المشابهة في فترات زمنية متقاربة، ففي سنة 1969 نشرت الطبعة الأولى من كتاب

«لمحات في المكتبة والبحث والمصادر» للدكتور محمد عجاج الخطيب، تناول فيه نبذة عن المكتبات في الإسلام، وأشهر المكتبات في الوطن العربي والعالم الإسلامي، ومعلومات عن نظام المكتبة والتصنيف، ووقفات على أهم المصادر والمراجع في العلوم الإسلامية. وفي سنة 1970 نشر الدكتور عزة حسن كتابه «المكتبة العربية» المشتمل على دراسة لأمهات الكتب في الثقافة العربية. وفي سنة 1972 نشر الدكتور محمد ماهر حمادة كتابه «المصادر العربية والمعربة» وفي قريب من هذه الفترة نجد مؤلفات الأساتذة: عبد الله إسماعيل الصاوي وكتابه «المراجع العربية» وعبد الجبار عبد الرحمن وكتابه «دليل المراجع العربية» وفي سنة 1978 صدرت الطبعة الأولى من كتاب «كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية للدكتور عبد الوهاب إبراهيم وصدرت طبعة أخرى منه عن دار الشروق سنة 1986، متناولاً مصادر التفسير، والسنة، والفقه، واللغة العربية وآدابها، والتاريخ الإسلامي.

وليس من المحاباة القول بأن كتاب أستاذنا الدكتور عبد الرحمن عطبة يقع في الصدارة بين كتب هذه المجموعة، بما وفر له من عناية، وسعة اطلاع، تنبئ عن خبرته الطويلة بالمكتبة العربية، وقدرته على توظيفها في تصنيف هذا الكتاب، فهو يذكر المصدر ومؤلفه وتاريخ تأليفه، إن أمكنت معرفته، ثم يصف محتوياته ومنهجه، وطبعاته، وله في كل ذلك ملاحظات ذكية واعية.

وفي مجال المصادر المتخصصة نجد كتاب الدكتور طاهر أحمد مكي «دراسة في مصادر الأدب العربي» الذي طبع لأول مرة سنة 1968، وكتاب «استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي

التاريخ المصري الوسيط» للدكتور علي إبراهيم حسن الذي نشرت طبعته الثانية سنة 1963.

وهناك كتب خاصة بالمراجع الموسوعية والمعاجم مثل: مدخل لدراسة المراجع لعبد الستار الحلوجي، وفيه لمحات عجلى على الموسوعات والمعاجم، وكتب التراجم، والببليوغرافية أو قوائم الكتب، والدوريات، وعلى هذا المنهج نجد كتاب «المراجع العامة» للدكتور سعد الهجرسي، وفيه دراسة مشابهة عن القواميس اللغوية ودوائر المعارف، ومن هذا القبيل يأتي كتاب «دليل المراجع العربية» لعبد الكريم الأمين، و«المراجع العربية العامة» لمحمد علي القاسم. وإن كان الأولان أقرب إلى دراسات علم المكتبات من الأخيرين.

فماذا عسى أن يكون حظ هذه الورقات المتواضعة بين تلك الكتب الرائدة واللاحقة في مضمار المصادر والمراجع؟.

لقد حرصت على أن يكون لهذا الورقات نوع من التميز يمنحها مشروعية الوجود ومزاحمة الأوائل، فكان ذلك بحول الله في اقتصارها على الضروري من متطلبات الباحث في مجالي اللغة وآدابها من جهة، والدراسات الإسلامية من جهة أخرى.

وأزعم أن منهجها مختلف نوعاً عن مناهج السابقين، فقد رسمته من خلال المعاناة الشخصية لأهم الصعوبات التي كانت تواجهني، أو تلك التي واجهت طلابي أثناء تدريس مادة المصادر والمراجع وقاعة البحث، منذ ما يقرب من أربع عشرة سنة، في جامعة الفاتح، وكلية الدعوة الإسلامية.

وقد قُسمت المادة إلى ثلاثة أقسام رئيسة، هي:

1 ـ المكتبة 2 ـ التعامل مع المصادر والمراجع. 3 ـ أنواع المصادر والمراجع. ففي القسم الأول تحدثت عن تاريخ المكتبة، ومحتوياتها، وأنظمة ترتيبها، وفهرستها. أما في القسم الثاني فقد عرّفت بالمصدر والمرجع، وبيّنت أهمية الثقة في المصدر، وسبل الحصول عليها، مع تنبيهات تخص كيفية القراءة اللازمة في مراحل الجمع والتقميش والمراجعة، وأهمية كشف الحجب عن رموز ومصطلحات الكتب، وطرائق الاقتباس المشروع.

وتناول القسم الثالث أنواع المصادر التي يحتاج إليها الباحث حاجة عامة، أي غير مقتصرة على بحث بعينه، وما يحتاج إليها في بحثه المتخصص. ففي النوع الأول صنفت: المعاجم بأنواعها، والفهارس، وكتب الرجال، والموسوعات.

وفي النوع الثاني صنفت: المظان، والأمهات. وقد أعقبت تعريف هذه الأنواع والتمثيل لها بقوائم من الأمهات في أشهر العلوم العربية الإسلامية، مع وقفات عجلى للتعريف بالكتاب ومؤلفه وبعض ملامح فنه، ومكانته بين مصادر ذلك الفن.

سائلاً المولى عز وجل أن يمنحني التوفيق فيما تصديت له ولست من أهله. والله المعين على الكمال.

أولا: المكتبة ومحتوياتها

التعريف والنشأة:

المكتبة (Library) هي المكان المخصص للمواد المكتبية، بما فيها من مصادر ومراجع، وأجهزة ومقتنيات مختلفة.

وقد عُرفت المكتبة في الحضارات الإنسانية منذ زمن بعيد، فقد وُجد ت حفريّات تدل على وجود مكتبات في الحضارات البابلية والأشورية، والفرعونية، والإغريقية، ومن أقدم ما عثر عليه من ذلك مكتبة (نيبور) في وادي الفرات، التي تعود إلى القرنين الثاني والثالث قبل الميلاد، وتشتمل على حوالي 30000 وثيقة منقوشة على ألواح الصلصال[1]، وعثر على مكتبة أخرى في أحد القصور الأشورية تعود إلى القرن السابع ق. م.[2].

وعرفت المكتبات العامة لدى الإغريق منذ 330 ق.م. أما لدى العرب فقد كانت المكتبات في بعض المساجد، وقصور الأمراء المولعين بالعلم والثقافة[3]، وخزائن المدارس المهمة[4]، ومن أشهرها مكتبة بيت الحكمة في بغداد، ومكتبة المدرسة النظامية، والمكتبة المستنصرية بقرطبة، ومكتبة دار الحكمة في مصر[5] وغيرها[6].

أما في أوروبا فيعود تاريخ المكتبات العامة بمفهومها العصري (إلى ما قبل عام1850) حين صدر أول تشريع بريطاني عن المكتبات[7]، وقد خطت منذ ذلك التاريخ خطوات عملاقة في مجالات التزويد والتنظيم والتحديث.

(1) انظر الموسوعة العربية الميسرة ص: 1733

(2) المصدر نفسه والصفحة.

(3) مثل مكتبتي المأمون العباسي، والحكم المستنصر الأندلسي.

(4) من ذلك مدرسة غرناطة في القرن الثامن الهجري (انظر القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن ص: 23)

(5) انظر صبح الأعشى 1/ 466 والموسوعة العربية الميسرة 1733

(6) انظر أمثلة أخرى على هذه المكتبات في معجم الأدباء 6/ 7 ومصادر التراث العربي

(7) انظر: أسس تنظيم المكتبات والمعلومات، لكوهن هاريسون وروزماري بينهام، تر: سماء المحاسني وآخرين، ص: 11

ويعنينا في هذه العجالة أن يقف الطالب على تلك النظم الحديثة، ويتعرف إلى المعلومات المتعلقة بمحتويات المكتبة الحديثة وطبيعة فهرستها.

محتويات المكتبة العصرية:

تحتوى المكتبة العصرية على مصادر وآلات ينبغي أن يعرفها الباحث لتعينه على توفير الوقت والجهد ومنها:

أ ـ الكتب المطبوعة، وتشمل المطبوعات الحجرية، والحديثة بطبعاتها الأصلية والمصورة، والكتب المرقونة على الآلة الكاتبة.

ب ـ المخطوطات وهي الكتب والوثائق المكتوبة بالخط اليدوي وتزداد قيمة المكتبات بارتفاع عدد محتوياتها من المخطوطات القيمة، ولهذه المصادر المخطوطة طرق خاصة في الحفظ والرعاية، والفهرسة والتكشيف، والترميم والصيانة، ولها معاملة متميزة في تداولها داخل قاعة المطالعة، ومعالجتها في قسمي الصيانة والتصوير، وفي كل ذلك رعاية للقيمة المتميزة التي تحظى بها المخطوطة بين نظائرها من المصادر والمراجع.

جـ ـ الآلات والأجهزة السمعية والبصرية، وهي التي صارت على درجة كبيرة من الأهمية، لما تحتويه من معلومات مسجلة ومصورة، فقد صارت أشرطة (المكروفلم) وشرائح (المكروفيش) تحتوي على قدر كبير من المخطوطات التي يتحفظ المكتبيون في التعامل المباشر مع أصولها حفاظاً عليها من التلف وسوء الاستخدام. كما صارت هذه الأشرطة تشتمل على الصحف ذات الأحجام الكبيرة لما يوفره استخدامها من تيسير في التناول والحركة والنقل والتخزين.

ويدخل في نطاق هذه الأجهزة التسجيلات الصوتية، وأشرطة الخيالة، والأجهزة القارئة الناسخة، وأجهزة عرض الشفافيات (Over Head Projection) إلى جانب الاستخدامات العلمية لأشرطة (الفيديو) بما تحمله من معلومات وثائقية أو محاضرات وندوات سابقة.

د ـ الخرائط والرسومات البيانية والصور الثابتة، والمجسمات الصناعية والطبيعية واللوحات الحائطية، وهي المواد التي صارت من المقتنيات المهمة في المكتبة العصرية، ويكفي أن نعلم بأن الخرائط وحدها تشكل أهمية كبرى لدارسي التاريخ، والجغرافية، والاقتصاد، والعلوم السياسية، وعلوم النفط، والبحار، والفيزياء والأحياء، وغيرها من العلوم التي لا غنى لها عن استعمال هذه الوسيلة التوضيحية المهمة. فالخريطة التاريخية مثلاً توضح أسماء بعض المعالم التي تغيرت أسماؤها أو انتماءاتها، وقد يكون الكشف عن ذلك الاسم القديم موضع أهمية علمية أو قانونية، أو سياسية تستحق النظر، وقس على ذلك بقية المواد المذكورة.

هـ ـ الحاسوب: أفرد هذا الجهاز بنقطة خاصة هنا، لما يمثله في المكتبة الحديثة من أهمية فائقة، فهو يمكن الباحث من الكتابة، والحفظ، والفهرسة، والتنظيم بتقنيات عالية، ويمكّنه من استخدام برامج لعرض المعلومات التي كان الرجوع إليها يستغرق وقتاً وجهداً كبيرين، إذ صار البديل الأيسر لكثير من المعاجم، والموسوعات الضخمة، والمراجع الكبرى.

إن بإمكان الباحث في العلوم الإسلامية أن يستخدم الآن جهاز الحاسوب في استحضار آية قرآنية لا يعرف منها غير كلمة أو كلمات

قليلة، ليقف على نصّها، ورسمها، ورقمها، ورقم السورة التي تحتويها، وأن يسمع نطقها بصوت قارئ متقن. كما يمكنه أن يخرّج الحديث النبوي الذي لا يعرف سوى بعض كلماته، فيعرف مصدره، ورواته، ومدى صحّته، ومعاني ألفاظه، ويمكنه أن يقارن بين روايتين مختلفتين من رواياته أو أكثر، إلى جانب معلومات عن الرواة ومكانتهم، وذلك من خلال برامج خاصة تحمل محتويات الكتب التسعة المشهورة، وهناك ما يتسع لأكثر من ذلك.

وفي مرحلة تالية صار بإمكان هذا الباحث أن يفيد من الحاسوب في استعراض أشهر كتب التفسير الضخمة كتفسير الطبري والقرطبي وابن السعود، وأشهر شروح الحديث النبوي الشريف، كفتح الباري في شرح صحيح البخاري، وكتب الأدب واللغة وغيرها.

هذا إلى جانب بعض دوائر المعارف المشهورة، وبعض المراجع المهمة في مختلف العلوم، ومنها الآن موسوعتان باللغة العربية، فضلاً عن المعاجم العربية الكبرى أخذت طريقها إلى البرمجة، وصارت في أيدي الباحثين بأثمان زهيدة.

فإذا أضفنا إلى ذلك برنامج المواريث وبرنامج المدقق الإملائي اللذين وصلا إلى مستخدمي الحاسوب منذ مدة طويلة نسبياً أمكننا تقدير الأهمية التي صار يتمتع بها هذا الجهاز المهم في عملية البحث العلمي، ومن ثم كانت أهميته كبيرة بين مقتنيات المكتبة العصرية، فضلاً عن إمكاناته الكتابية والتنظيمية.

- الدوريات: الدورية هي المطبوعة التي تصدر في دورات زمنية محدده، ومنها الصحف اليومية، والأسبوعية، والمجلات الأسبوعية

والشهرية والفصلية والنصف سنوية والحولية. وقد ميزت هذه الدوريات ثقافة هذا العصر لأنها لم تكن في يوم من الأيام بالتي هي عليه في القرن العشرين، حيث أضحت تصدر في كل بلدان العالم بلغاتها المختلفة، وأيديولوجياتها المتباينة، وأحجامها المتنوعة، في أعداد هائلة تدفع بها المطابع كل صباح، بحيث لا يستطيع المرء، مهما أؤتي من عمر وفراغ أن يتابع ما يطرح فيها من قضايا وأخبار وأفكار.

وتعد المكتبات المشتملة على دوريات عريقة ومتنوعة من المكتبات القيمة، وذلك لأن الدورية تعطي الجديد في المعرفة نظراً لسرعة نشرها مقارنة بطباعة الكتب، ولأنها تضع الأصابع على جزئيات دقيقة من العلوم والمعارف، بعكس الكتب التي تتميز بالشمول والتوسع، وهو ما يجعل الكاتب أكثر عناية بما يكتبه في الدوريات، ويجعل تفكيره أكثر تركيزاً ودقة فيها منه في الكتب.

ثم إن كُتّاب الدوريات المختصة يوفرون من جهدهم ووقتهم في تلك الجزئية مالا يسعهم، عادة، توفيره ضمن كتاب شامل ذي تشعبات كثيرة، وقضايا مترابطة، تجعل هم الكاتب منصبا على استيفائها ومتابعة جوانبها الكثيرة أكثر من حرصه على الدقة في بسط كل جزئية، وإثرائها بالأمثلة والبراهين والمقارنات والإحصاءات والتحليلات، وما إليها من ضروب التفصيلات العلمية.

كما أن الدورية تنقل تطورات القضايا والأحداث أولا بأول، فهي تواكب التغييرات العلمية أو التاريخية أو السياسية التي تشكل الموضوع المدروس أكثر مما تفعله الكتب، بل لا سبيل إلى المقارنة في هذا الشأن.

والناظر في تاريخ الدوريات العربية يجد أن بواكيرها بدأت متواضعة منذ منتصف القرن الماضي ولكنها عرفت نهضة حقيقية في هذا القرن العشرين، وبالرجوع إلى دليل الدوريات العربية الصادر عن إدارة التوثيق والإعلام بجامعة الدول العربية سنة 1974 ودليل الدوريات العربية الصادر عن مركز جمعة الماجد، وأدلة الدوريات الخاصة بكل قطر على حدة ككتاب (صحافة ليبيا خلال نصف قرن) للأستاذ على مصطفى المصراتي يجد كمًا هائلا من الدوريات الثقافية العامة، والعلمية المتخصصة الصادرة في هذا القطر أو ذاك.

ولا نترك موضوع الدوريات حتى نشير إلى بعض أدلتها على المستوى العربي والعالمي، فعلى الصعيد العربي نشير إلى المراجع المتقدمة في الفقرة السابقة، وإلى الفهرس الإسلامي لبيرسون (Index Eslamcos) الذي يغطي الفترة الواقعة ما بين 1905 و 1975، ثم زُوِّد بملاحق فصلية منذ سنة 1976 تصدر تباعاً.

وهو خاص بما نشر في الدوريات الأجنبية متعلقاً بالوطن العربي والعالم الإسلامي، من مقالات وبحوث، وحتى تتم فائدة القارئ من هذا الفهرس المهم زوّده المؤلف بفهارس للموضوعات وكتّابها مذيلا بها الكتاب الأصلي والفصلات الملحقة به[1].

ويقرب من هذا العمل في الأهمية كتاب رودولفو خيل المعروف بـ«مقاربة من بيبليوغرافيا إسبانية حول شمال أفريقيا، جمع فيه مؤلفه ما كُتب بالإسبانية عن دول الشمال الإفريقي ما بين سنتي 1850

(1) كان للدكتور عبد الرحمن عطبة فضل تعريفي بهذا الفهرس، وقد عرّف به في كتابه القيم «مع المكتبة العربية» وفى إشارة إلى هذا الفهرس يقول الدكتور أحمد شوقي بنبين إن بدايته كانت من سنة 1906.

و1980، وهو وإن كان جامعًا لكل ما كتب في شكل كتاب أو دورية جدير بالذكر هنا لما فيه من مقالات وبحوث كثيرة كتبت في الدوريات المختلفة[1].

ولاستكمال الحديث عن الدوريات تجدر الإشارة إلى أدلتها العالمية والعربية، ومنها:

1: Ulrich's. International Periodicals Directory. N.y، 1932.

2: Willing's, European Press Guide 1966 _ 67، London 1965.

3: دليل الدوريات العربية الجارية، الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة. . (اليونسكو) القاهرة 1965.

4: الدوريات العربية، لمحات من تاريخها ومنتخبات من نوادرها، إصدار مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، مراجعة وتقديم الدكتور عبد الرحمن فرفور.

5: الفهرست، وهي دورية على درجة كبيرة من الأهمية للباحث في العلوم العربية والإسلامية لما تتضمنه من إحالات الى أبحاث ومقالات متعددة في الدوريات العربية.

6: الدوريات التخاريخية Historical Periodicalsed by E.H Boem Santa Barbara 1961 and Adophus.

7: الكشاف التحليلي للصحف والمجلات العربية، للدكتور عبد الستار الحلوجي، بدأ فيه مع بداية سنة 1962 وتوقف سنة 1967.

8: كشاف الدورية الواحدة، وفي البلاد العربية من ذلك عدد من

---

(1) صدرت هذه المقاربة عن وزارة الشؤون الخارجية: الإدارة العامة للشؤون الثقافية، مدريد: 1982.

الكشافات يصدر بمناسبة مضي فترة زمنية معينة على صدور الدورية، ومن أمثلته كشاف مجلة البحث العلمي في المغرب، وكشاف مجلة كلية الدعوة الإسلامية بمناسبة صدور بلوغها العام العاشر.

ز ـ المصورات: قسم التصوير بمقتنياته من الصور الثابتة والمتحركة، وأجهزته المختلفة، صار من متطلبات المكتبة العصرية، وقد أفردت الكتب المختصة في علم المكتبات أبوابا متعددة لهذه المقتنيات والأجهزة، نحيل إليها المستزيد، ونؤكد هنا قيمة هذا القسم في توضيح المادة العلمية وتقريبها من حواس المتلقي[1]. وفي الفقرتين (ج) و(د) أمثلة كافية عن مقتنيات هذا القسم.

ح ـ الفهارس: هي ضمن المتطلبات الأكثر أهمية في المكتبات الحديثة، فعن طريقها يسهل الوصول إلى دقائق المعلومات حول ما تحتويه المكتبة من عناوين، وموضوعات، وأسماء مؤلفين. هذا فضلاً عن الفهارس الخاصة بالكتب أو البلدان أو ما في حكمها، وذلك ما سوف نتعرض له بصورة تفصيلية في موضعه ـ إن شاء الله ـ.

ثانيا: تصنيف المكتبة

يقصد بالتصنيف فرز الأشياء المتشابهة وترتيبها وفق ذلك التشابه وللمختصين في علم المكتبات تعاريف متعددة لا تخرج عن هذا القصد غالباً[2]، فهو في عالم المكتبات فن تصنيف الكتب في أقسام وأصناف متشابهة تسهيلاً لتناولها عند الحاجة إلى استعمالها. وللتصنيف مباحث

---

(1) انظر كتاب أسس تنظيم المكتبات والمعلومات لكولن هاريسو وآخر، حيث تجد استعمالات التصوير في جوانب مختلفة من شؤون المكتبة.

(2) انظر أسس التصنيف والتصنيف العملي لمحمود أحمد أتيم ص: 7 ـ 9

مطولة في مصادر علم المكتبات لا نرى ضرورة لعرضها هنا، والأولى من ذلك أن نشير إلى أشهر نظام التصنيف في القديم وفي العصر الحديث.

أ ـ طرق التصنيف القديمة:

يقال أن المكتبات الأشورية خضعت لنظام تصنيف مكون من قسمين يهتم أولهما بعلوم الأرض، ويهتم الثاني بعلوم الفلك والنجوم، أما مكتبة الإسكندرية فعرفت التقسيم الموضوعي إلى شعر وتاريخ وفلسفة وأعمال أدبية أخرى، وخطابة[1] وكذلك كان الشأن في مكتبات الأديرة، وقد عرف العرب التنظيم الموضوعي للكتب وفي فهرست النديم وفهرست ابن خير ومفتاح السعادة لطاش كبري زاده وعي كامل بالتصنيف الموضوعي كما انتهى إليه تفكير عصورهم، بل إن الأخير قد تناول في كتابه ثلاثمائة علم وأطلعنا على طريقتين من طرق التصنيف هما: التدرج من الأعم إلى الأخص، والعكس. وعلى هذا المنهج سار حاجي خليفة في تصنيف كتابه «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون».

ولكن العالم قد مر بتجارب أخرى في التصنيف، نذكر نظام المكان الثابت، حيث يوضع الكتاب في أحد الرفوف دون مراعاة لموضوعه، ويُعطى رقما يتصل بمكان وجود الكتاب.

ومن هذه الأنظمة ما يعتمد رقم الورود، إذ يعطي لكل كتاب رقما يحمل ترتيبه ساعة وصوله إلى المكتبة، وفق قائمة محتويات المكتبة المعدة سلفاً. ولا عبرة في هذه الحالة بالموضع مطلقاً.

ومنها نظام الرفوف المغلقة، وهو نظام لا يدل على بدائية التصنيف،

---

(1) انظر: أسس التصنيف، مصدر سابق ص: 25

فقد تكون الكتب في المكتبة التي تتبع هذا النظام تسير على أحدث أساليب التصنيف، ولكنها تحجب الكتب عن قرائها، فعلاقة القارئ قاصرة على موظف الاستقبال الذي يحضر إليه مطلوبه من الكتب، كيفما كانت طريقة تصنيفها. ولا شك بأن هذه الطريقة عقيمة، لأنها تحرم القارئ من الاطلاع على كتب أخرى لم يسبق له أن اطلع عليها، وقد لا تغنيه الفهارس عن الاتصال المباشر بها. واعتبار هذا النظام من سبل التعامل مع محتويات المكتبة أصح من اعتباره واحداً من أنظمة التصنيف، وإن وضعه بعض المختصين ضمن طرق التصنيف القديمة(1).

ب ـ نظام التصنيف العشري لمليفل ديوي (MelvlDewey):

يُعد تصنيف ديوي العشري أشهر وأوسع التصانيف المعروفة حتى الآن، وقد حظي باعتماد المعهد الدولي للببليوغرافية الذي عدّل التصنيف المذكور ليستوعب جميع المواد المكتبية، بخلاف نظام ديوي الذي قصره على المطبوعات(2).

وسمي بالنظام العشري لأنه قسَّم المعارف الإنسانية إلى عشرة أقسام رئيسة، فكانت على النحو الآتي:

المعارف العامة	... ـ 99
الفلسفة	100 ـ 199
الديانات	200 ـ 299
العلوم الاجتماعية	300 ـ 399

(1) انظر أسس تنظيم المكتبات والمعلومات، مصدر سابق ص: 90

(2) انظر أسس التصنيف والتصنيف العملي لمحمود أتيم ص: 145 وما بعدها ز

اللغات	400 ـ 499
العلوم البحته	500 ـ 599
العلوم التطبيقية	600 ـ 699
الفنون	700 ـ 799
الآداب	800 ـ 899
التاريخ والجغرافيا	900 ـ 999

وعلى ذلك فإن كل قسم يتكون من 10 شعب وكل شعبة تنقسم إلى عشرة فروع، لتكون حصيلة كل قسم رئيس 100 فرع، بحيث كان في كل عنوان من العناوين العشرة الرئيسة ألف فرع تفصيلي تغطي معظم أو كل التفريعات المعرفية الدقيقة لتلك الأقسام، وإذا ما زادت فروع بعض هذه الأقسام عن الأرقام المخصصة لها أُضيفت أرقام عشرية أخرى للتجزئة. وقد فرضت الخصوصيات التي تتميز الثقافة والبيئة العربية بعض التعديلات على هذا النظام فإذا كانت الديانة المسيحية تحتل في نظام ديوي الأصلي الأرقام من 200 إلى 289 فإن جزءاً كبيراً من هذه المساحة يحتلها الدين الإسلامي في التعديلات العربية، وما جرى في تعديل أرقام الدين الإسلامي جرى في الأدب واللغة، والتاريخ والجغرافيا، وغيرها من الخصوصيات التي روعي فيها تقديم الخيار المفضل على المواد الأخرى.

ومن هذه التعديلات العربية المقترحة ما يلي:

410 ـ 420 للغة العربية.

810 ـ 820 للأدب العربي.

210 ـ 220 للدين الإسلامي.

ومن التعديلات التي أدخلها بعض العرب على نظام ديوي ما دوّن

في كتب مثل: تعديل تصنيف ديوي للمكتبات العربية لعامر إبراهيم، بغداد: 1961 وكشاف تصنيف المكتبات على نظام ديوى المعدل لعلي إمام عطية، القاهرة 1962 وتصنيف ديوي العربي المعدل الكشاف النسبي، لعبد المجيد علي عبد الحميد الكويت 1976 وغيرها وهي جهود فردية ليست بالقليلة. ومن هذه التعديلات ما أخذ طريقه إلى المكتبات دون أن يدونه كتاب، أو دون أن يحضى بالطبع، ولهذه الخطة محاسن وعيوب ذكرها المختصون[1]، ولكنها تبقى الخطة الأكثر شيوعاً في العالم.

ج ـ نظام مكتبة الكونجرس:

استخدم موظفو مكتبة الكونجرس بواشنجتن نظاما يعتمد على الحروف الهجائية الإنجليزية، واقتصروا منها على واحد وعشرين حرفاً وزعوا عليها الموضوعات الرئيسة الآتية:

A الأعمال العامة
B الفلسفة والدين
C التاريخ
D الطوبوغرافية
E تاريخ أمريكا العام
F تاريخ أمريكا المحلي
G الجغرافيات والأنثروبولوجيا
H العلوم الاجتماعية
J العلوم السياسية
K القانون
L التعليم
M الموسيقى
N الفنون الجميلة
P اللغة والأدب
Q العلوم
R الطب
S الزراعة
T التقنية
U العلوم العسكرية
V العلوم البحرية
Z الببليوغرافي وعلم المكتبات

(1) انظر أسس تنظيم المكتبات ص: 74و 75 وما كتبه د. محمد جرناز في مجلة الناشر العربي ع: 4/ ص: 50 ـ 55 ومحمود الأخرس في المجلة العربية 2/ 2 1981 ص: 63

وعند تفريع الموضوعات الرئيسة تضاف حروف أخرى، فقد رمز إلى اللغة والأدب برمز P وللأدب الإنجليزي المتفرع عنهما بالرمز: PR ثم تضاف الأرقام العربية لمزيد من التفريعات، من 1 إلى 4 ويمكن زيادة تفريعات دقيقة بإضافة فواصل تليها حروف أو أرقام أخرى.

مثال ذلك: الأمثال الصينية: PN6519.C5

وتسهيلا لسرعة وجود الكتاب في هذا النظام استعمل ما يعرف برقم طلب الكتاب، ويتكون من رقم التصنيف المشار إليه، ورمز المؤلف المكون من الحرف الأول من اسم العائلة، ورقم أو رقمين بعده[1].

ثالثاً: نظم الفهرسة

أياً كان نظام التصنيف فإن المكتبة تحتوي على فهارس لمقتنياتها من المصادر والمراجع، تتمثل في أسلوب البطاقات، أو الفهارس المطبوعة على صورة كتب أو المرقونة في سجلات خاصة لاستعمال المكتبة، أو المخزنة في الحاسوب وفق برنامج معد لهذا الغرض أو غيرها من سبل الفهرسة المعروفة.

ولكل كتاب ثلاث بطاقات عادة، تحمل إحداها عنوان الكتاب، والثانية اسم مؤلفه، والثالثة موضوعه العام، وقد رتب كل منها ترتيباً هجائياً، وتشترك البطاقات الثلاث في رقم واحد هو رقم التصنيف، الذي يقود القارئ إلى مكان الكتاب في أرفف المكتبة.

وقد قسم المختصون الفهارس إلى نوعين هما:

---

(1) انظر تفصيلات أطول عن هذا التصنيف في كتابي أسس التصنيف لمحمود أتيم ص: 199 وما بعدها، وأسس تنظيم المكتبات لكوهين هارسون وآخر ص: 82 وما بعدها.

1 ـ الفهرس المجزأ Classified Catalogue.

2 ـ الفهرس القاموسي: Dictionary Catalogue.

ففي الأول منهما نجد ثلاثة أنواع من الأنظمة، أولها الكشاف الموضوعي، وثانيها التسلسل التصنيفي، وثالثها فهرس المؤلفين الذي يرتب هجائياً بالألقاب أو أسماء الشهرة أو العائلة.

أما الفهرس القاموسي فهو خاضع للترتيب الهجائي، بحيث يعطى رأس الموضوع بدلاً من رمز التصنيف، ولما كان التداخل في الموضوعات متوقعاً فقد اعتمد واضعو هذا الفهرس أسلوب الإحالة إلى رأس الموضوع المشابه بكلمة (انظر)[1].

رابعا: مصادر المعرفة

المراد بمصادر المعرفة جميع أنواعها الورقية وغير الورقية، إذ صارت هذه الأخيرة ظاهرة شائعة في المكتبات العصرية بشكل واسع، يبشر باختفاء النوع الأول في المنظور المستقبلي، لما تتميز به من سهولة الاستخدام، وصغر فضاءات التخزين. وقد نما حجم المعارف الإنسانية إلى الحد الذي يجعل ملاحقته وتخزينه بالطرق التقليدية من الأمور المتعذرة في المستقبل البعيد.

1 ـ المصدر والمرجع:

أ ـ التعريف والفرق:

المصدر هو الأصل ذو العلاقة المباشرة بموضوع البحث، وقد يكون المصدر كتاباً مخطوطاً، أو مطبوعاً، أو مصوراً أو مسموعاً في صورة رواية

(1) انظر: المصدر السابق ص: 93

شفهية مسجلة، أو شريط وثائقي أو غير ذلك. فالمصدر إذن هو المادة المقصودة أساساً بالدرس والتناول، أي أنه المادة الأصلية للبحث، على اختلاف أغراضه.

فديوان علي بن الجهم مصدر لدارس أشعاره وحياته، وكذا كتاب الأغاني يعد مصدراً لدراسة هذا الأديب وأدبه، لأنه خصص له ترجمة وافية، وأورد من أشعاره وأخباره ما انفرد به عن غيره من المصادر، فاستحق بذلك أن يعد في المصادر الأولية التي لا يجوز للباحث أن يغفلها.

أما المراجع فهي كل معرفة تساعد في إضاءة المادة الأصلية، بالشرح والتحليل، والتوضيح، والتفسير، والنقد، وغير ذلك من ضروب التناول والدرس، ويدخل في ذلك ما كتب في الموضوع من دراسات سابقة متعلقة بالمادة الأصلية، أو معينة على توضيحها كالمعاجم والموسوعات.

وقد قسمت المراجع إلى عامة وخاصة، فالأولى تعطي فكرة عامة عن الموضوع وما حوله، أما الأخرى فتشمل ما كتب من دراسات متخصصة، معتمدة على المصادر الأصلية، وكلما انفردت هذه الدراسات بمعلومات نادرة زادت أهميتها، وتميزت عن سواها.

ب ـ تقويم المصدر ووسائله:

التعامل مع المصادر والمراجع يقتضي أن يستوثق القارئ من قيمتها العلمية، ويعرف مناهجها، وخطة بحثها، وحدودها، الزمانية والمكانية والموضوعية، وأن يتبين أصالتها أو تقليدها، وطرائقها في الاقتباس والأخذ، وتلك أمور تتطلب القراءة الجيدة لمقدمة المؤلف وخاتمته، حيث

توجد عادة الإشارة إلى أهمية الكتاب، ومنهجه، وأهم نتائجه، كما أن النظر في فهارس الكتاب يبين من التفاصيل ما يعمق قناعته بقراءة كل الكتاب أو بعضه.

ويدخل في تقويم المصدر التعرف إلى مؤلفه، فمن المؤلفين من اشتهر بالأمانة العلمية، وحسن البرهنة وترتيب الأفكار، وغير ذلك من محاسن التأليف، ومنهم من هو خلو من كل ذلك أو من بعضه، والكتّاب في ذلك متفاوتون ومتنافسون.

كما تتفاضل الكتب بشكل طباعتها وإخراجها، وحظها من عناية المحققين، بالضبط السليم، والفهرسة المسعفة، والصور والخرائط، وما إلى ذلك من مظاهر العناية التي تزيد من قيمة الكتاب دون ريب.

فإذا أمعنا النظر في نقد النص نفسه وجدنا المصادر تتفاوت في طرق معالجة الموضوعات، والبرهنة عليها، ثم في الموضوعية، والعمق، والوضوح، والترتيب، وغير ذلك من أساليب عرض المادة العلمية.

وفي صميم نقد المصدر يأتي التعرف إلى ما فيه من الجدة والطرافة، وندرك ذلك من ثلاث نوافذ، أولها نافذة المصادر والمراجع، وما في قائمتها من الجديد والنفيس والنادر، وثانيتها نافذة الفهارس وعلى الأخص فهرس المحتويات المفصل، وما يشتمل عليه من دلالات على دقة التبويب وشموله لجزئيات البحث. وثالثتها متن البحث وما يحمله من الأفكار الجديدة والطريفة والمقنعة[1].

ومن الأمور المساعدة على تقويم الكتاب معرفة طبعاته وتحقيقاته إذا كان له أكثر من طبعة، أو أكثر من تحقيق، إذ كما تتميز الكتب بمستوى

(1) انظر المصادر العربية والمعربة لمحمد ماهر حمادة: تقيم المصادر ص: 22 وما بعدها

التأليف والتحقيق العلمي الرفيع، تتمايز بطبعاتها المزيدة والمنقحة، والأصل أن الطبعة الأخيرة تتلافى عيوب الطبعات السابقة، ولكننا نحذر من الطبعات التجارية الرخيصة التي تتدنى قيمتها عن سابقاتها، كأن تحذف بعض الأجزاء التي يرى الناشر الجديد أنها غير ذات بال وهي في الحقيقة مهمة، ومن ذلك أن ديوان ابن خفاجة طبع طبعة قديمة محتوية على مقدمة قيمة للمؤلف، فلما أعادت نشره إحدى دور النشر اللبنانية حذفت هذه المقدمة فأساءت بذلك إلى الديوان إساءة أفقدته جزءاً مهماً من قيمته.

ومنه الطبعة التي نُشر فيها كتاب «المرشد في فهم أشعار العرب» للدكتور عبد الله الطيب من جزأين فقط، وأصله في ثلاثة أجزاء، وتم توزيعه على هذا النحو المخل دون موافقة المؤلف، فكانت هذه الطبعة أقل من سابقتها. ومثل ذلك نجده في بعض التحقيقات المعادة بدون إتقان، كإعادة نشر كتاب «خاص الخاص» في نشرة حديثة كُتب على غلافها أنها مزادة ومنقحة، وهي في الواقع أقل من سابقتها[1]، ومع ذلك فإن الأصل هو أن الطبعة الجديدة تتلافى عيوب سابقتها، وتحسن من إخراجها، وفهرستها، بما يجعلها جديرة بأن تحل محلها، وتعطي للمحقق مشروعية علمية لإعادة التحقيق، ولا عبرة هنا بالمشروعية التجارية.

ومن المهم في تقدير قيمة الكتاب معرفة مكانته بين المصادر التي تدخل في موضوعه، ونتساءل في هذا المقام إن كان الكتاب من المصادر المعتمدة في موضوعها، أو مذهبها، أو اتجاهها الفكري، وهنا يمكننا الاستعانة بالدراسات النقدية، وبآراء المختصين، فهي الحجة الممكنة في

(1) تولى الدكتور حسين عبد اللطيف تصحيح الأخطاء التي وقعت فيها هذه النشرة، ونشرت تصحيحاته مجلة الناشر العربي الصادرة في طرابلس الغرب في عددها الثامن ص: 37 بعنوان أهكذا ينشر التراث؟

ذلك، كما يمكننا الاعتماد على اطلاعاتنا الشخصية المبنية على القراءة الواعية، وليس على مجرد المرور العابر، والأهواء الشخصية، أو الخضوع للآراء السابقة غير العلمية.

والخلاصة أن تقويم الكتب يعتمد على مجموعة من العناصر التي ينبغي أن يراعيها القارئ وهو يتناول كتاباً جديداً ومنها:

1 ـ العنوان:

وهو المفتاح الأول لمادة البحث، ويمكن للقارئ الحصيف أن يدرك من براعة الكاتب أو إخفاقه في اختيار العنوان شيئاً عن قيمة الكتاب يضيفها إلى العناصر الأخرى ليكتمل التقويم. فالكاتب الجيد يحسن اختيار العنوان المناسب لبحثه، والمعبر عن محتوياته بوضوح ودقة.

2 ـ المؤلف:

وهو عنصر مهم من عناصر تقويم الكتاب، فالقدرة العلمية تتكون نتيجة تراكم الخبرات والقراءات، وتكسب الكاتب مستوى رفيعاً من الأسلوب والمعالجة لا ينحدر عنهما عادة، بل يزيدهما تطوراً مع كل تجربة جديدة، ما لم يركن إلى الأساليب التجارية الرخيصة طلباً لسرعة الكسب فيتعجل إصدار الأعمال قبل نضجها.

3 ـ المحقق:

وهو من يتولى قراءة ونسخ المخطوط، وضبطه، وتحقيق نسبته إلى مؤلفه، وصناعة هوامشه وحواشيه وفهارسه، وهي مهمات عسيرة لا يحسنها سوى من لهم دراية تامة بهذا العلم، ولذا ارتفعت قيمة بعض الكتب بأسماء أصحابها، لحسن اختيارهم للنص، وقدرتهم على تحقيقه

على أفضل الوجوه، وانخفضت بالمقابل بعض الكتب لما يعرف عن محققيها من الضعف في الناحية العلمية أو في تقنيات التحقيق.

4 ـ المترجم:

ولا تقل قيمة المترجم الجيد عن المحقق الجيد، فكلاهما يحاول أن يؤدي أمانة النص الذي يتولى معالجته، بالمستوى الذي أراده المؤلف الأصلي، وفي ذلك يتفاوت المترجمون، وتتفاوت قيمة الكتب تبعاً لذلك.

5 ـ دار النشر:

عرفت بعض دور النشر باختيار النصوص الجيدة، والطباعة الممتازة، والإخراج الجذاب، ولم تشغلها النواحي المادية عن هذه القيم الفنية والمعرفية، ومثل هذه الدُور فرضت احترامها على القراء بمراعاة تقديم الأفضل لهم، وذلك يرفع من قيمة منشوراتها ويكسبها سمعة حسنة عند عرض منتجاتها في السوق الثقافي.

6 ـ الطبعات وتاريخ النشر:

وقد تقدم التنويه بأهمية ذلك، والجدير بالذكر هنا أن النشرة الجديدة لأي عمل سابق يتوقع أن تقدم استدراكاً ما في الجانب العلمي أو الفني، أو أنها تدل على زيادة الطلب على الكتاب ورواجه، وهو ما يدل على قيمة ما، أو على إثارة معينة مرتبطة بموضوع الكتاب، أو علاقته بالواقع وتداعياته المختلفة.

7 ـ المقدمة:

وهي تعرض عادة أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، والإضافة التي يمكن أن يقدمها إلى الدراسات السابقة، ومنهج معالجته، والصعوبات التي

اعترضت تأليفه، وأهم مصادره، وما إلى ذلك من الأمور المهمة في تقدير قيمة الكتاب.

8 ـ الخاتمة:

وهي تلك الخلاصة النهائية لما تحتويه الدراسة من نتائج، والتوصيات والمقترحات التي أثارتها تلك النتائج في ذهن الكاتب، وتمخضت عنها تجربته في ذلك الميدان، وقراءة الخاتمة تساعد في تقييم العمل العلمي، وتعطي فكرة جيدة عن محتوياته ومستخلصاً مفيداً عن ثمراته.

9 ـ قائمة المصادر والمراجع:

وهي جدُّ مهمة في تقويم الكتاب، فالعمل العلمي القائم على مصادر نفيسة يعطي أهم النتائج، إذا وقعت تلك المصادر في يد باحث قادر على الإفادة منها، أما المراجع الثانوية فتهز العمل وتقلل من قيمته مهما كان كاتبه.

10 ـ الهوامش والحواشي:

ترتفع قيمة الكتب المؤلَّفة والمحققة بما تشتمل عليه من الهوامش والحواشي المركزة والدقيقة، لدلالتها على الأمانة العلمية، من جهة، ولإفادة القارئ بمادتها العلمية، وبإحالتها على مصادر ومراجع أخرى لمن أراد التوسع في موضوع التعليق أو إشارة النص.

11 ـ الفهارس:

الفهارس الغنية والمتنوعة مصدر قيمة إضافية للكتاب، وكثيراً من مطالعات الباحثين في المصادر الضخمة تنطلق من الفهارس، فالباحث عن

نسبة بيت من الشعر يجده عبر فهرس القوافي، والباحث عن علم يجده عبر فهرس الأعلام، ومن الفهارس ما يتعلق بالآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية، وما يتصل بمعجم النص، وموضوعاته، وكم من الكتب لا تتفاضل إلا بفهارسها لما أعد لها المحقق أو المؤلف من خدمات جليلة في هذا المقام.

12 ـ التزكية والنقد:

قد تكون التزكية والآراء النقدية في الكتاب منشورة في صلب الكتاب، أو في بعض المجلات والصحف، أو تكون شفهية يحرص على انتزاعها الباحث الجيد من أفواه العلماء الذين اطّلعوا على الكتاب أو لهم دراية بمؤلفه، فرأيهم داعم للحكم على مستوى العمل، يعزز الحكم الناتج عن استقراء الموجود من العناصر السابقة.

13 ـ العرض:

لا شك في أن الاطلاع المباشر على الكتاب يعطي الفكرة الأقرب عن قيمة الكتاب، ومستوى أفكاره، وقدرة كاتبه على البرهنة، والتحليل، والترتيب للجزئيات، أو ما يسمى بالنقد الداخلي للنص، إن قدراً كبيراً من الحكم عن طريق النقد الداخلي يتحقق بمطالعة فصل أو اثنين من فصول الكتاب، ولكن مستوى التأليف قد يختلف من فصل لآخر، ومن ثم كان على المقوم بهذه الوسيلة أن يجيل النظر في فقرات من مباحث الكتاب الأخرى حتى يكون حكمه قريباً للسداد.

ج ـ أنواع القراءة المناسبة:

ليس المقام هنا لعرض أنواع القراءة لطلاب المرحلة الثانوية، فذلك مجال آخر يتولاه المختصون في طرق التدريس لتلك المرحلة، وإنما

المراد أن يتعود الباحث الجامعي على أنواع القراءة المناسبة لكل مرحلة من مراحل بحثه.

ففي مرحلة تكوين قائمة أولية من المصادر والمراجع يتصل الباحث بأعداد هائلة من المطبوعات متفاوتة الصلة بموضوعه، ولا يمكنه أن ينفق الأوقات الطويلة في قراءتها، ومن هنا وجب التنبيه إلى أن من الكتب ما يكفي النظر إلى عنوانه، ومنها ما يحتاج إلى مجرد النظر في فهرس محتوياته، فإن وجد فيها بعض الفصول أو المباحث المتعلقة ببحثه رجع إليها، وإن لم يجد فيها ذلك انتقل إلى غيرها.

ومن الكتب ما يتصل بالبحث اتصالاً مباشراً، ولكنها تتفاوت في الأهمية والعمق والصعوبة واليسر، وكل ذلك يتطلب أنواعاً من القراءة، منها العابرة، والمتأنية وقراءة التفهم والنقد، وقراءة الاستيعاب، والاقتباس، والتوثيق، والتعليق.

وكما تختلف الكتب في النوع المناسب من أنواع القراءة، تختلف فصول الكتاب الواحد ومطالبه، بل صفحاته بين القراءة العابرة والمتأنية وغيرهما، وبقدر سيطرة الباحث على جوانب موضوعه، وقدرته على إدراك نوع القراءة المطلوب لكل مصدر يكون كسبه للوقت والجهد، ويرتفع مردود إفادته من تلك القراءة.

د ــ الرموز والاختصارات والمصطلحات الجديدة:

استخدام الرموز والاختصارات وكذلك المصطلحات الجديدة يمكن أن يكون عقبة حقيقية في طريق الفهم الكامل لمراد المؤلف، ومن ثم كان أمر إزالة الحجب عن هذه الرموز والمصطلحات شيئاً ضرورياً لتمام استفادة القارئ من محتوى الكتاب. أما الرموز والاختصارات فقد تكون إشارة

لكلمة تتكرر كثيراً، أو لعلم مشهور في الفن الذي يناقشه الكتاب ويتكرر فيه اسم ذلك العلم.

ومن أمثلة هذه الرموز في ميدان المخطوطات: الدائرة (0) التي يشار بها إلى نهاية الجملة قديماً، وقد حلت الفاصلة محلها في الوقت الحاضر. ويكثر في المخطوطات رمز (صح) لما قد يعتقد القارئ خطأه، ورمز (ص) لما لم يظهر للناسخ صوابه، فإذا تأكد من صوابه أتم كتابة الحاء. ويضع النسّاخ كلمة (كذا) أمام الخطأ، ويذكرون في الحاشية الصواب، أو احتماله مسبوقاً بلفظ (لعل).

ومن مصطلحات الوقف في القرآن الكريم:

مـ: وقف لازم   لا: وقف ممنوع   ج: وقف جائز مستوي الطرفين

صلي: الوقف جائز والوصل أولى، قلي: الوقف جائز والوقف أولى.

ومن مصطلحات رجال الحديث:

(نا ـ ثنا ـ دثنا ـ) بمعنى حدّثنا   (أنا ـ أرنا ـ) بمعنى أخبرنا

(ثني ـ دثني) بمعنى حدّثني (أبنا) بمعنى أنبأنا

خ: البخاري ـ م: مسلم ـ د: أبو داود ـ ت: الترمذي ـ م: مالك

جه: ابن ماجه ـ ط: الدارقطني ـ

وقد رمزوا لأئمة المذاهب الأربعة بالرموز الآتية:

م: مالك ـ ش: الشافعي ـ ح: أبو حنيفة ـ أ: أحمد بن حنبل

ومن الرموز المستعملة في القاموس المحيط:

ع: موضع ـ ة: قرية ـ م: معروف ـ د: بلد ـ ج: جمع

ومن المصطلحات المستعملة في بعض المخطوطات وعلى الأخص في العلوم العقلية:

مح: محال ـ لامحة: لامحالة ـ كك: كذلك ـ ظ: ظاهر ـ ح: حينئذ ـ مع: معلول ـ لايخ: لايخلو ـ المقص: المقصود ـ ص: المصنف ـ ش: الشارح ـ المط: المطلوب

وفي كتب الفقه المالكي نجد إشارات إلى أعلام فقهاء المذهب الذين يتكرر ذكرهم ومنهم:

عج: علي الأجهوري ـ تت: التتائي ـ بن: البناني ـ ح: الحطاب ـ عب: عبدالباقي ـ شب: الشبرخيتي.

ومعلوم أن هذه الرموز قد تختلف من كتاب إلى آخر، والمرجع في كشف النقاب عن رموز أيٍّ من تلك الكتب هو مقدماتها التي تشتمل عادة على مفتاح هذه الرموز، وفي الرسائل الجامعية يوضع مفتاح هذه الرموز في صفحة مستقلة عادة، وفي إحدى صفحاتها الأولى.

وفي العصر الحديث أصبح القارئ يعاني من كثرة المصطلحات الخاصة بكاتب بعينه، أو بموضوع من الموضوعات الجديدة، ومنهم من يركب مصطلحه تركيباً مزجياً مبتكراً، ومنهم من يصوغه في لغة أجنبية، أو ينحته من الألفاظ العربية بطريقة غير مسبوقة. ثم إن من هؤلاء من يحرص على تفسير مصطلحاته في مستهل كتابه، ومنهم من يدع ذلك للحاشية عند استخدام المصطلح للمرة الأولى، ومنهم من لا يلتفت إلى ذلك معتمدا على توضيح المصطلح من خلال السياق، ومن وروده في مراجع أخرى، أو مفترضا فهم الآخرين لكل ما يُحدثه من مصطلحات، ومن أجل ذلك

خصصت ندوات علمية لدراسة مشكلة المصطلحات وتوحيدها، وأفردت مجلة خاصة بالمصطلح، وعنيت به المجامع اللغوية العربية، ومكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكائن بالمغرب، فضلا عن جهود الأفراد في مجال فهارس المصطلحات.

ثم إن هناك اصطلاحات خاصة بكل علم، وهي اصطلاحات قديمة في الغالب، وقد أعدت كتب خاصة لهذه المصطلحات منها «كشّاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي، والتعريفات للجرجاني وغيرها.

2 ـ أنواع المصادر والمراجع:

لم تعد المصادر والمراجع مقتصرة على الكتب، فنحن ندخل قرنًا جديداً يفسح المجال واسعا أمام المكتبة اللاورقية، ولكن الكتب لن تفقد قيمتها فهي الوعاء الأول للمعرفة الإنسانية، وستظل تنفرد بخصوصيات تجعلها مدار اهتمام الكاتب والقارئ.

وقبل الخوض في ذكر أنواع المصادر نورد تعريفاً لبعض المصطلحات المتعلقة بمجموعات معينة كالأمهات، والمظان، فما المراد بالأمهات والمظان؟

أ ـ الأمهات والكتب الموسَّعة:

الأمهات هي الأصول المعتمدة، في مذهب من المذاهب الدينية، أو الفكرية، أو اللغوية، أو غيرها من مجالات المعرفة الإنسانية، وهي تكتسي أهميتها من كونها كتباً معتمدة لأصحاب ذلك المذهب، مبرزة لأهم منطلقاته وأصوله، ومؤسسة لملامح منهجه في التحليل والاجتهاد.

أما الكتب الموسعة المعتدُّ بها في المذهب فتشترك مع الأمهات في

أنها من الكتب المعتمدة في المذهب، وتزيد عنها في شموليتها لكليات المسائل و جزئياتها، تلك الشمولية التي تجعلها من الكتب الجامعة المحقق لما يطلبه الباحث من مسائل وحاجات علمية لم يسبق له أن سبر أغوار مصادرها المتخصصة.

ففي الفقه المالكي نعد المدونة من أمهات المذهب، على صغر حجمها، مقارنة بالموسعات المشهورة لعلماء هذا المذهب، وكذلك الأسدية، كما نعد الموسوعات المهمة من الكتب الموسعة، ومنها ذخيرة القرافي، والبيان والتحصيل لابن رشد. وقل مثل ذلك على مختصر القدوري والمبسوط للسرخسي في الفقه الحنفي، فالأول من الكتب الأمهات، على الرغم من صغره مقارنة بما عليه من شروح وزيادات، والثاني لشموله فروع المذهب مع عنايته بالمعتمد من الآراء في كل باب. وهكذا نعد الأم للشافعي والمهذب لأبي إسحاق الشيرازي من أمهات المذهب الشافعي، والمغني لابن قدامة، وتنقيح المرادي من أمهات المذهب الحنبلي، وعلى ذلك تقاس الأمهات في بقية فروع المعرفة.

ب ـ المظان:

المظان هي المصادر والمراجع التي يرجح الباحث أنها تحتوي على مسألة يطلبها، أو عَلم يبحث عن ترجمته، أو ما إلى ذلك من القضايا العلمية المنشودة.

فإذا كانت تلك المسألة فقهية فمن المظان الكتب الأمهات التي أشرنا إليها سابقا، ما لم تكن في المسألة خصوصية معينة نستبعد معها تلك الأمهات من قائمة المظان، ونلجأ إلى مظان أخرى هي أولى بالبحث، ففي بحثنا عن أحكام التأمين في الفقه الإسلامي هناك الكثير من الكتب

والرسائل العلمية المعاصرة التي أعطت لهذا الموضوع حقه من البحث والدراسة بما لاوجود له في تلك الأمهات.

وإذا كان مطلوب الباحث بيتاً من الشعر لا يعرف قائله ولا مصدره، فإن الأمر في حاجة إلى تمرس وخبرة بالشعر العربي على اختلاف عصوره، وتباين خصائصه، فإذا لاحظ غرابة ألفاظه و جزالتها، و بداوة صوره وبساطتها، وطول أوزانه واختلاف تفعيلاتها، فذلك من مرجحات انتمائه إلى الاتجاه القديم، ففي مصادره فليبحث. وداخل هذا الاتجاه نجد ما يميز شاعراً عن غيره فنجتهد في تحديد المظان وتضييق دائرتها، حتى نقترب من مرادنا.

وهنا تجدر الإشارة إلى أهمية الخبرة لأساليب الشعراء، وأغراضهم، وانتماءاتهم، وملاحظة ذلك في النص الذي بين يديك، فقد تجد فيه من الإشارات والمصطلحات خير عون على ترجيح نسبته إلى هذا الشاعر أو ذلك المصدر، فطابع خمريات أبي نواس متميز الأسوب والموضوع، وفيه من الخصوصية في العبارات والإشارات ما يقود الناقد إلى تحديد قائله بيسر وسهولة، وإن لم يكن مرّ به هذا البيت سابقاً، وكذلك الشأن في زهديات أبي العتاهية، وحجازيات مهيار الديلمي والشريف الرضي، وحكمة المتنبي، وهي قرائن يستعين بها الباحث على تحديد مظان معينة.

فإذا دلتنا هذه القرائن على أن الشاعر قديم دون أن تحدد هويته كانت كتب الاختيارات الشعرية القديمة في مقدمة تلك المظان، ومنها المفضليات، والأصمعيات، وجمهرة أشعار العرب للقرشي وكتب الحماسة. وإذا اختلط الأمر بين أن يكون جاهليا أو إسلامياً استعنّا بفهارس القوافي في كتب الأغاني، والعقد، وكتب الحماسة، ونفح الطيب.

وأفضل المظان ما هدى صاحبه إلى مطلوبه في كتاب معين نال فيه بغيته بدون عناء، ولكن الظن قد يخيب، برغم تكرار المحاولة، ثم إن الناس يتفاوتون في الإفادة من ظنونهم، ولكن البحث باستخدام المظان على أهميته ليس ميسوراً لكل الناس، ولا مقروناً بالمبشرات دائما، ومع ذلك فلا غنى عنه في استدعاء المعلومات باستخدام الذاكرة. وحتى أولئك الذين يلجؤون إلى أهل الخبرة يسألونهم عن المظان التي يجدون فيها بغيتهم إنما يمارسون قدراتهم الظنية في اختيار الخبير المناسب لكل مسألة.

وهكذا فالمظان قد تكون واسعة الدائرة يشترك فيها قطاع كبير من المثقفين، يطلقون عنان التعبير عن ظنونهم، فتطابق الواقع أو تكون ضيقة لا يدركها سوى الخاصة من الباحثين، من ذوي التمرس، والفراسة، والرصيد العلمي.

وتتنوع المصادر من جهة أخرى إلى مخطوطات، ومطبوعات، ومرقونات، ومصادر سمعية وبصرية:

ج ـ المخطوطات والوثائق:

تقدَّم أن المخطوطات هي الكتب المدونة بالخط اليدوي، وأن قيمة المكتبات تزداد بارتفاع عدد ما فيها من المخطوطات النفيسة، ونتناول هنا أهمية المخطوطة باعتبارها مصدرا من مصادر المعرفة.

فأهمية المخطوطة تكمن في أمرين أساسين، **أولهما**: أنها الوعاء الحافظ لحضارتنا الفكرية، والسجل الباقي لتراثنا المجيد، وهذا التراث ليس مجموعة من الأساطير والخرافات، فهو جهد الأمة الإسلامية في العناية بنصوص الدين الإسلامي، شرحاً، وتفسيراً، وفقهاً، وتوضيحاً،

وهو جهد الأمة العربية والمعربة في العناية بلغة الضاد وآدابها، وتاريخ الحضارة الإسلامية، وتراثها الفكري والتجريبي.

وثانيهما: أنها مصدر غير شائع الانتشار، مهما تعددت نسخه، وتنوعت أمكنة وجوده، وذلك مقارنة بالمطبوعات، وتزداد الأهمية مع المخطوطات النادرة، والنسخ الفريدة والقديمة، وهذا هو مصدر أهميتها، وعنوان نفاستها، ولذا فإن الدراسات التي تقوم على النظر في مصادر مخطوطة تحوز قيمتها من تعريف الناس بنصوص مجهولة، فضلاً عمّا يمكن أن يكون في هذه النصوص من الآراء الجديدة، والنظرات الصائبة، والمعلومات المتميزة.

ثم إن الناقد يقدِّر لمن يُقدم على الاستعانة بالمخطوطات في بحوثه تلك الهمة العالية التي جعلته يتجشم الصعاب في الوصول إلى النص المخطوط، كما يُقدر العناء الذي يلقاه في قراءته النص من خطوط قديمة وغريبة عن الخطوط المعاصرة، مع ما قد يكون في الكتابة من تصحيف أو تحريف، أو بتر أو طمس أو خرم، أو غير ذلك من عيوب المخطوطات بعد رحلتها الزمنية الطويلة.

على أن الإفادة من المصادر المخطوطة رهن بما يملكه الباحث من حرص على تلك الإفادة، فهي لا تمنح نفسها لكل عابر سبيل، إذ إن دون قراءتها أياماً من العناء من أجل تمييز الخطوط، وفهم الرموز والإشارات والمصطلحات، ثم معرفة بفهارسها، وأماكن وجودها، وطرق الوصول إليها، والصبر على سبر أغوارها، ومقابلة نسخها. وتلك رحلة أخرى من العناء الممتع تزيد في قيمة الأعمال القائمة على المصادر المخطوطة.

قد يكون غريباً القول بأن بعض المخطوطات لا تفقد أهميتها

المصدرية حتى بعد تحقيقها ونشرها، وسنضرب على ذلك مثالين أولهما: كتاب (المزهر) للسيوطي وهو من الشهرة وحسن التحقيق ما يظن القارئ أنه على الصورة التي كتبها المحقق، وذلك هو الغاية من البحث عن الخطوط الأقرب إلى أصل المؤلف، ولكن الدكتور رمضان عبد التوّاب ـ رحمه الله ـ وجد فيه نصا مختلا، انخدع في نقله ثلة من العلماء الأثبات، ذكرهم في مقدمة كتابه مناهج التحقيق، وقال: «يقول السيوطي في كتابه المزهر، عن الفارابي: وبالجملة فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة وغسّان وإياد، لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس»[1]. ثم أبدى الحيرة أمام هذا النص الذي كانت فيه اليمن مجاورة لليونان، وبكر مصاقبة للقبط والفرس في آن واحد، فدفعته هذه الحيرة إلى الرجوع إلى المخطوط بعد أن لم يجد في كتاب الفارابي هذا النص بسبب بتره فيه، فكانت المفاجأه أن المحقق قصر في العودة إلى أصول أخرى من المزهر توضح هذا الإشكال، أو العودة إلى هذا النص في كتب أخرى للسيوطي كما فعل د. عبد التواب، الذي قال: «لقد وجدت النص نفسه في كتاب (الاقتراح في أصول النحو)، وفيه صواب العبارة: «ولا من تغلب والنمر، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بكر، لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس»[2] فزالت بذلك حيرته وصحح خطأ وقع فيه الكثير من أهل الاختصاص.

(1) النص في المزهر 1/ 211

(2) النص في الاقتراح ص: 19

وأمثلة ذلك كثيرة في الكتب المحققة، وهي أكثر عندما يكون التحقيق ضعيفاً، أو يكون النص المحقق صعب القراءة، أو محققاً على نسخة فريدة، وقد وقعت لي مع نص الإحاطة الذي حققه المرحوم أ. عبد اللّه عنان مواقف كثيرة، لا تذهب فيها الحيرة إلا بالرجوع إلى المخطوط، وبالرغم من أن العذر ملتمس لهذا الراحل الفاضل لصعوبة قراءة مخطوطات الإحاطة، وتكرار الأخطاء في بعض نسخها، فإن تقصيره في تحقيق النصوص الشعرية، بخاصة، لا يحتمل التماس الأعذار(1).

ويتأكد الرجوع إلى المخطوط، برغم تحقيقه، إذا وقع الشك في صواب بعض أجزائه، وكان يحتوي على مادة أصلية من مواد البحث، إذ لا يمكن بناء أحكام ودراسات وافتراضات على نص مشكوك في صحته.

وما يقال عن المخطوطات في هذا الشأن يقال عن الوثائق، فهي مخطوطات صغيرة، تشتمل على رسائل، وقرارات إدارية، ومعاهدات، وإجازات، وما في حكمها من الوثائق الشخصية أو الإدارية، وتتكون عادة من نسخة واحدة خلافا للمخطوطات التي قد يكتب منها عشرات النسخ لأهميتها العلمية، وتناولها بالدرس والمطالعة والبيع والشراء.

ومن المهم أن نشير في خاتمة الحديث عن المخطوطات إلى أن التعامل معها يحتاج إلى شيء شبيه بالتحقيق، فقد ينقل الباحث غير البصير من مختصر وهو يظن أنه ينقل متن الأصل، وقد ينقل من مخطوط منسوب لغير صاحبه في غلافه الخارجي، وليس ذلك سوى اسم المالك

(1) انظر القصيدة الأندلسية 1/ 79 (للمؤلف).

للمخطوطة، أو من نسبت إليه خطأ، وسبل التحقق من هذا الأمر مبسوطة في كتب قواعد التحقيق[1].

د ـ المطبوعات:

عرفت الطباعة في أوروبا منذ القرن الخامس عشر، وتأخر ظهورها الفعلي في البلاد العربية حتى القرن الثامن عشر، فقد طبع أول كتاب في لبنان في القرن السابع، وهو كتاب (المزامير) ولكنه كان الوحيد الذي صدر في هذا القرن، ولم يعد للطباعة ذكر في هذا البلد، الرائد في هذا الخصوص، إلا في سنة 1733[2].

على أن حروف الهجاء العربي قد عرفت في أوروبا قبل هذا التاريخ، فقد عرفت طريقها إلى النشر للمرة الأولى في كتاب تناول مؤلفه (برناردي برايندباخ) كل أبجديات اللغات الشرقية المعروفة[3]، وذلك سنة 1486 ثم ظهرت مرة ثانية في كتاب إسباني في النحو العربي نشر باللاتينية سنة 1505، أما أول كتاب طبع بالعربية فهو «كتاب صلاة السواعي» لعبد اللّه بن فضل الأنطاكي، وقد طبع في فانو بإيطاليا عام 1514، وهي البلاد التي طُبعت فيها أولى نسخ القرآن الكريم، وذلك بمدينة البندقية سنة 1518[4].

أما الدخول الفعلي لعصر الطباعة في البلاد العربية فكان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث لم ينشر من الكتب العربية في الخلافة

(1) انظر مثلا: تحقيق النصوص ونشرها للأستاذ عبد السلام هارون، و تحقيق نصوص التراث للدكتور الصادق الغرياني، ومحاضرات في تحقيق النصوص للأستاذ هلال ناجي، وتصحيح الكتب للأستاذ أحمد شاكر وغيرها.

(2) انظر تاريخ الطباعة في الشرق العربي ص: 18 و19

(3) عنوانه 3Oposcugum Sanctrum and speuclum christi) انظر مجلة النشر العربي عدد: 5 ص164 الهامش: 1

(4) انظر مجلة الناشر العربي العدد: 5 ص: 164 هامش 1

التركية، ما بين سنة 1800 و1830 سوى أربعين كتابا[1]، ويبلغ ما نشر ما بين 1726 و1787 عشرين كتاباً في إسطنبول، أما مطبعة حلب وهي من الروّاد في مجال الطباعة العربية، فقد نشرت ما بين 1706 و1711 ثمانية كتب، ونشرت مكتبة الشوير بجبل لبنان تسعة عشر كتاباً بين 1734 و1787 واقتصرت مكتبة بيروت على كتابين ما بين 1751 و1766[2].

ومن المهم أن نذكِّر الباحث في التراث العربي أن الطباعة مرت بمرحلة الطباعة الحجرية قبل أن تصل إلى المستوى الذي بلغته في القرن العشرين، وأن هذه الطبعات الحجرية كانت محدودة العدد، وبعضها لم يُعَد طبعه، ولا عُثر على أصله فهو في حكم المخطوط من حيث القيمة والندرة، وقد صدر في المغرب كتاب عن الطبعات الحجرية ينبغي الرجوع إليه لتوسيع المعرفة حول المطبوعات الحجرية أماكن طباعتها.

وفي المكتبات القديمة، ولدى بعض الخواص تجد نسخاً من هذه الطبعات تحتفظ بالسلامة والوضوح، بالرغم من عيوب الخط الذي كتبت به أحياناً. كما قد تجد اختلافاً في رسم الحروف، وأنواع الخطوط، وتبايناً في رسم أرقام الصفحات.

أما في القرن العشرين فقد شهدت الطباعة بالعربية قفزة كبيرة، ليس في البلاد العربية فحسب، بل في أوروبا، والهند وغيرهما. وقد دعا ذلك بعض المهتمين بالكتب وطبعاتها إلى تأليف قوائم بالمطبوعات العربية. وتلك الكثرة في المطبوعات تزيد من إضاءة الطريق أمام الباحث، لكنها

(1) انظر تاريخ الطباعة في الشرق ص: 18 و19

(2) انظر مجلة الناشر عدد: 5 ص: 163

تفرض عليه متابعة ما ينشر في تخصصه على وجه التحديد، وخارج تخصصه كلما دعته الحاجة العلمية إلى ذلك.

ويمكن تقسيم المطبوعات إلى: الموسوعات، والكتب، والدوريات.

د ـ الموسوعات:

يطلق لفظ الموسوعات على أنواع من المراجع الضخمة ذات الموضوعات المتنوعة، كدوائر المعارف، والموسوعات المتخصصة، والكتب الجامعة.

أ ـ دوائر المعارف:

فأما النوع الأول، أي دوائر المعارف فهو موسوعات شاملة تتناول معلومات شتى مرتبة على حروف المعجم، دون مراعاة لموضوع هذه المعلومة، أو عصرها، أو بيئتها، إنها تجمع الآداب والتاريخ، مع المعارف التجريبية والاستنباطية، وهي في عبارة مختصرة جامعة لنبذ عن معظم المعارف الإنسانية التي عرفها الإنسان حتى عصر كتابتها.

وقد عرف هذا النوع من المؤلفات بصورته العصرية في دائرة المعارف البريطانية في ثلاثة مجلدات سنة 1768 ـ 1771 وما زالت هذه الموسوعة في تطور مستمر حتى وقتنا الحاضر، وفي ألمانيا صدرت أول دائرة معارف سنة 1808، باسم دائرة معارف النساء، تشتمل على التاريخ والتراجم والتاريخ الطبيعي والفن والعلوم والأحوال السياسية، ثم تغير اسمها إلى (Der Grosse Brckhaus)، وبعدها صدرت الموسوعة الأمريكية سنة 1833 وكانت متأثرة بها، وفي فرنسا صدر المجلد الأخير من الموسوعة الفرنسية عام 1780.

ثم توالت التحسينات على هذه الدوائر القديمة، وخرجت دوائر معارف كثيرة في القرن العشرين في كل من: إيطاليا، وروسيا، وإسبانيا، وتركيا، وأندونيسيا، واليابان[1]. أما في البلاد العربية فقد كانت دائرة معارف البستاني هي فاتحة التأليف الموسوعي على هذا النمط الجديد من دوائر المعارف، حيث نشر بطرس البستاني ما بين سنتي 1876 و1883 ستة مجلدات من هذه الموسوعة، ثم تولى نفر من أسرته محاولات أخرى لإتمام المشروع؛ حتى بلغوا الجزء الثاني عشر[2].

ولا شك أن كثيراً من هذه الدوائر يمكن أن تقدم للباحث من الفوائد العلمية ما يعينه في إثراء بحثه، ونتوقع أن يكون في دوائر المعارف الصادرة في البلدان الإسلامية معلومات أكثر خصوصية للباحث في تاريخ الحضارة الإسلامية، وإن كان الطابع العام لكثير من دوائر المعارف هو الترجمة.

وفيما يلي استعراض لألصق دوائر المعارف بالباحثين في حقل التراث والمعارف العربية:

أ ـ دائرة المعارف الإسلامية:

على أن الموسوعة التي لا غنى عنها للباحث في ميدان الدراسات العربية والإسلامية هي دائرة المعارف الإسلامية، (Encyclopaedia Of Islam) بالرغم مما فيها من أخطاء تتبعها بعض الباحثين، وقد صدرت هذه الموسوعة في طبعتين حتى الآن.

---

(1) حول هذه المعلما ت وما سبقها انظر المراجع العامة لسعد محمد الهجرسي ص: 59 ـ 69ومدخل لدراسة المراجع لعبد الستار الحلوجي مع بعض التحفظ على ما يورده من معلومات حول تواريخ كتابة دوائر المعارف العالمية، والموسوعة العربية الميسرة ص: 1780 (مادة موسوعة)

(2) انظر المصدر السابق (مادة موسوعة) و مع المكتبة العربية للدكتور عبد الرحمن عطبة.

نشرت الطبعة الأولى منهما سنة 1913و 1938، واشترك في تأليفها جماعة من المستشرقين، وبعض المسلمين[1]، وفي سنة 1933 بدأت ترجمتها إلى العربية في مصر، وفي الستينيات تمت ترجمة خمسة عشر جزءاً تمثل الحروف من الألف إلى العين، ثم توقف العمل في الترجمة بعد أن لاحظ المترجمون أن المستشرقين قد طوروا جهودهم في الطبعة الجديدة بما جعل الطبعة الأولى عملاً متجاوزاً.

ويُحسب للمترجمين أنهم استعانوا في مراجعة معلومات الموسوعة والتعليق عليها بعلماء من الجامعات المصرية، تصدوا إلى ما وجدوه من أخطاء مقصودة أو عفوية بالتصحيح والاستدراك. ومع أن هذه الطبعة قد حلّت محلها الطبعة الجديدة فإن الأجزاء المترجمة منها تعد إضافة إلى المكتبة العربية، وهي الميسرة للباحث الذي لا يتقن سوى اللغة العربية، وإن كان ذلك لا يعفيه من متابعة الطبعة الجديدة عندما يتعلق الأمر بقضية فيها ذات علاقة بشيء في بحثه، وذلك لما تنطوي عليه هذه الطبعة الجديدة من إضافات مهمة، وعلى الأخص ما تحتويه من مصادر ومراجع.

بدأ العمل في الطبعة الجديدة بمطبعة بريل بمدينة ليدن الهولندية، المعروفة باهتماماتها بالتراث الإسلامي، سنة 1954 من قِبل لجنة من المستشرقين أشرف عليها كريميرز، وبروفنسال، وجيب، وبرنارد لويس، وغيرهم، وشارك في تحرير معارفها جماعة من المتخصصين المسلمين، فخرجت في فصلات متعاقبة منذ ذلك التاريخ بلغات ثلاث هي الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ثم جمِّعت هذه الفصلات في مجلدات ضخمة صدر منها حتى الآن ستة مجلدات.

---

(1) الإشارة الى الجزائري محمد بن شنب

يشتمل المجلد الأول على الحرفين: A - B والمجلد الثاني على الحروف الآتية: G.F.ED.C، ويحتوي المجلد الثالث على الحرف: H وجزء من الحرف: I، أما المجلد الرابع فيبدأ من حيث انتهى المجلد الثالث، وينتهي في جزء من الحرف: K، ويبدأ المجلد الخامس الذي نشر سنة 1986، من حيث انتهى المجلد الرابع وبالتحديد في الحروف khe، وينتهي في جزء من الحرف: M وبالتحديد في كلمة: Mahi، وما زال صدور فصلات المجلد السادس يتوالى حتى كتابة هذه الأوراق من حيث انتهى المجلد الخامس.

إن أهمية هذه الموسوعة تكمن في الأبحاث الجزئية المركزة التي تولاها أساتذة متخصصون في جوانب مختلفة من التراث والفكر الإسلامي، غير أن أهميتها الكبيرة للباحث المتخصص تكمن في قائمة المصادر والمراجع الملحقة بكل بحث، وبعضها من المصادر النادرة والأماكن المتباعدة، الأمر الذي يجعل الاهتداء إليها عسيراً لولا الإمكانات الواسعة، والاهتمامات الدقيقة لهؤلاء الكتاب.

وجرياً على عادة المستشرقين في مراعاة الأحرف الزائدة والأصلية في المواد المرتبة هجائياً نجد المشرفين على تحرير هذه الموسوعة لا يجردونها من الزوائد، فمادة (استحقاق) توجد في ترتيبها مع الكلمات المبدوءة بالألف، وأسماء الشهرة المبدوءة بابن أو بأب أو بأم، مثل ابن المعتز، وأبي تمام، وأم كلثوم، توضع مع نظائرها المبدوءة بالألف، ولا تجرد من الكنى. على أن الاختلاف بين نطق الحروف في العربية واللغات التي كتبت بها الموسوعة حتَّم على المشرفين الاصطلاح على رموز معينة أو أحرف مكررة تقابل الحروف غير المستعملة عندهم، ومن ذلك:

الهمزة:	رمز أشبه ما يكون بالدال	(د)
الثاء:	حرفان تحتهما شرطة هما	(th)
الجيم:	حرفان متلازمان تحتهما شرطة هما	(dj)
الحاء:	حرف منقوط من أسفله	(h)
الذال:	حرفان تحتهما شرطة هما	(dh)
الشين:	حرفان متلازمان تحتهما شرطة هما	(sh)
العين:	رمز واحد هو معكوس الدال	()
الغين:	حرفان تحتهما شرطة هما	(gh)

وللدلالة على الدال والضاد حرف واحد هو (d) ينقط من أسفله عند إرادة الثاني. وللدلالة على الزاي والظاء حرف واحد هو (z) ينقط من أسفله عند إرادة الثاني. وللدلالة على السين والصاد حرف هو (s) ينقط من أسفله للدلالة على الثاني. وللدلالة على الكاف والقاف حرف واحد هو (k) ينقط من أسفله للدلالة على الثاني.

أما المدود فقد وضعوا للألف منها حرفاً مقابلاً تحت شرطة هو: (a) ووضعوا للواو حرفاً آخر تحت شرطة هو: (u)، كما وضعوا للمد اليائي حرفاً مقارباً تحت شرطة هو: (1) واستعملت هذه الحروف نفسها في الحركات المناسبة لتلك المدود وهي الفتحة والضمة والكسرة، ولكن دون وضع شرطة فوق الحروف المقابلة.

ب ـ دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين)

ألف هذه الموسوعة الأستاذ محمد فريد وجدي ما بين عامي 1923 و1925 وهو جهد كبير اعتمد فيه على الاستعانة بدوائر المعارف السابقة،

ولكن شخصية الباحث الموسوعي لم تختف في أبحاثه ذات الصبغة العربية الإسلامية، وإن كان تناوله للقضايا يختلف طولاً وعمقاً باختلاف اهتماماته الشخصية وما توفر لديه من المصادر المسعفة، بحيث طالت بعض البحوث حتى صارت كتاباً صغيراً، واقتصر بعضها الآخر على المعاني المعجمية.

وكان ترتيبه لمواد موسوعته هجائياً سائراً على غرار المنهج العربي في إعادة الكلمة إلى أصلها الثلاثي، وتجريدها من الزوائد.

لقد مرّت عقود كثيرة على تاريخ إصدار هذه الموسوعة، استجدت فيها كشوف علمية حديثة، وحُققت آثار تراثية كثيرة، وخرجت دراسات وبحوث لم تكن معروفة في العقد الذي نشرت فيه هذه الموسوعة، وهو ما يجعلها متجاوزة في كثير من القضايا التي أثارتها إبّان صدورها. ثم إن عدم إحالة المؤلف القارئ إلى مصادره قد قلل من قيمة الفائدة العائدة على الباحث المختص. ولكن القيمة التاريخية عظيمة لهذه الموسوعة، ولصاحبها الذي دوّن اسمه بمداد الروّاد الخالدين في خدمة الثقافة العربية الإسلامية.

ج ـ بهجة المعرفة (موسوعة علمية مصورة)

صدرت هذه الموسوعة عن الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان في القطر العربي الليبي، ما بين سنتي 1978 و1982 تقريباً، وهي من الموسوعات التي تنهج في عرض مادتها منهج تجميع المعلومات داخل الموضوع الواحد دون نظر إلى ترتيب الموضوعات هجائيا.

قسم المشرفون على الموسوعة أبوابها إلى مجموعتين داخل عشرة مجلدات تغطي الخمسة الأولى منها مجالات: العلم، والكون، والأرض، والحياة، والأداة والآلة، واكتفى المشرفون على الموسوعة في هذه الأجزاء

بترجمة نظائرها في الموسوعة الإنجليزية الصادرة عن دار ميتشل بيزلي.

وتغطي الأجزاء الخمسة الأخرى ميادين: الإنسان، والمجتمع، و مسيرة الحضارة، ولم يكتف المحرِّرون بالترجمة في هذه المجموعة، فقد أعادوا توزيع النص المترجم، ليتضمن تنقيحات، و حذف، وإضافة، الأمر الذي دعاهم إلى إعداد فصول إضافية، يقتضيها اختلاف المجتمع الذي تكتب له هذه الموسوعة، والمجتمع الذي كتب له. وعنوان النص الأصلي بالإنجليزية هو: (The joy of knowledge - 1976).

زوِّدت الموسوعة بجميع الصور والرسومات والخرائط المثبتة في الأصل، وحافظت على أحجامها الأصلية، وطبعت طباعة فاخرة في إيطاليا وسويسرا، وسدت فراغاً حقيقياً في المكتبة العربية، بما قدمته من معلومات قيمة.

ولكن تؤخذ على هذه الموسوعة جملة من المآخذ منها: إغفالها للمصادر، وهو ما يكسب أي مرجع قيمته الوثائقية، ويفيد قارئه بإحالته إلى مصادر أخرى أكثر تخصصاً واتّساعاً. ومنها عرض بعض النظريات غير المسلّمة علمياً على أنها معلومات ومعارف، دون أن تحدد مصدرها تمشياً مع النص الأصلي للموسوعة، ومن ذلك الحديث عن أصل الإنسان بعبارات مثل «ما يزال الشك يحوم حول الزمان الذي انبثقت فيه أولى الإنسانيات (أي الكائن المنتمي بالنسب المباشر إلى الإنسان) من سلالة القردة». فالشك هنا ليس في انتماء الإنسان إلى القردة، ولكن في تحديد الزمن الذي وقع فيه ذلك الحدث!

وقد وجدت هذه النظرية القائمة على ملاحظة التشابه بين الإنسان والقرد من يرد عليها، ومن ذلك أن التشابه قائم بين مخلوقات أخرى كالنباتات والحيوانات، فلماذا لا نرى الدراسات نشطة في هذه المجالات،

فنقرأ عن تطور الغزال عن الماعز، والنعام عن الجمال، أو بعض الأزهار ذات الألوان والأشكال المتشابهة عن بعضها، ولماذا لم تتطور القرود التي ظلت قرودا برغم مضي دهر بعيد على وجود سلالاتها الأولى.

لا مجال هنا لمناقشة هذه النظرية، ولكن أمر إثباتها في الموسوعة بهذه الثقة يسيء إليها، وإن كان لا يفقدها قيمتها.

د ـ الموسوعة العربية:

هناك ثلاث موسوعات ـ فيما أعلم ـ تحمل هذا العنوان، **أولاها**: الموسوعة العربية (مرجع يومي للآداب والعلوم والفنون والمعلومات) التي أصدرتها دار ريحان للطباعة والنشر ببيروت سنة 1955 في 855 صفحة.

وثانيتها: الموسوعة العربية الميسرة، التي أصدرتها دار الفتح ومؤسسة فرنكلين، بإشراف محمد شفيق غربال سنة 1959، وهي مرتبة على حروف المعجم، وتقع في ألفي صفحة، وطبعت في دار الشعب بالقاهرة، مضافة إليها مجموعة الخرائط والرسومات والصور التي جاءت في حوالي الثلاثين صفحة. وهي تترجم عدداً كبيراً من موادها بتصرف عن موسوعة (كولومبيا) المختصرة.

ويؤخذ عليها الاقتضاب في كثير من المواد، وإغفال المصادر، وتختل في بعض الأحيان الموضوعية في عرض فقرات وجمل ذات حساسيات دينية وفكرية، ومن ذلك قولهم إن سبب هجرة الرسول ﷺ هي أنه ارتبط مع بعض الحجاج بمحالفة، فاتهمه أهل مكة بخيانة قبيلته، فلم يطق الإقامة، وعزم على الهجرة[1]، وهو زعم لم يصدر عن المؤرخين

---

(1) انظر الموسوعة الميسرة ص156

على اختلاف آرائهم ومصادرهم، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن النص مدسوس، أو منقول دون وعي في أحسن الظروف، وشبيه بهذا تذييلهم موضوع التصوف بكلام يستحق المراجعة، ولكن في غير هذا المقام.

وثالث الموسوعات التي تحمل اسم الموسوعة العربية صدرت في المملكة العربية السعودية حديثا، والحكم عليها يقتضي تصفحها ومعرفة مصادرها، وهو ما لم يتحقق لي حتى الآن، ولكنني علمت أن مادتها تعتمد كثيراً على إحدى دوائر المعارف العالمية.

هـ ـ موسوعة المورد:

يصدرها منير البعلبكي منذ سنة 1979، وتنشرها دار العلم للملايين ببيروت على أساس ترتيب المصطلحات وفق اللغة الإنجليزية، أما مادة البحث فهي العربية، وللتغلب على مشكلة القارئ غير المتمكن من اللغة الإنجليزية وضعت مسردًا في كلٍّ مجلد يشتمل على المواد التي يحتويها، ووعد الكاتب بإعادة ترتيب موسوعته بالعربية بعد إتمامها، وعدَّد الأسباب التي جعلته يرتبها حسب المصطلح الإنجليزي، وأهمها عدم استقرار المصطلحات العربية وعدم توحيدها.

لقد بذل المؤلف جهدا في مادته من مصادر وموسوعات سابقة، ولكنها جاءت مختصرة، وأغفلت الإشارة إلى المصادر والمراجع الخاصة بكل مادة على حدة، فكان هذا الجهد للطلاب والمثقفين العامين أكثر منه للباحثين المتخصصين.

و ـ موسوعات أخرى:

وهناك موسوعات أخرى تتوجه إلى الناشئة أكثر من توجّهها إلى المتخصصين، ومنها دائرة معارف الناشئين، و دائرة المعارف الحديثة،

ودائرة معارف الشباب، والموسوعة الذهبية، وموسعات موجهة إلى أوساط المثقفين ومنها: الموسوعة الثقافية التي طبعت في مجلد واحد بمؤسسة فرنكلين (القاهرة ـ نيويورك) وأشرف على إخراجها د.حسين سعيد، سنة 1972، وقد تناولت في طيَّاتها موضوعات تتصل بالدين والاجتماع، والاقتصاد، والعلم التجريبي في ميادين شتى. ويؤخذ على هذه الموسوعة الاختصار، وأعمق منها ـ قليلا ـ الموسوعة الإسلامية الميسرة، التي كتب أصلها جماعة من المستشرقين، تحت إشراف هـ جبز وج.هـ. كالمرز، و نقلها إلى العربية راشد البرّاوي، ونشرت الترجمة في مكتبة الأنجلو المصرية، بالقاهرة سنة 1985، كما دخلت بعض دوائر المعارف إلى برامج الحاسوب، وسُجلت على الأقراص الضوئية، (c.d.) ومنها في العربية نسخة مطورة عن دائرة معارف القرن العشرين.

إن الجهود التي بُذلت في ميدان الموسوعات العربية يغلب عليها حتى الآن طابع الجهد الفردي، و الاعتماد على الترجمة والنقل، وقد قررت منظمة الجامعة العربية كتابة موسوعة عربية أصيلة أسندت إدارتها إلى العراق، ولكن ظروف الحرب والخلافات العربية حالت دون البدء فيها على ما يبدو. والأمل في إصدار موسوعة إسلامية أصيلة البيئة والانتماء الفكري ما يزال أملا أبعد منالا من دائرة المعارف العربية.

ب ـ الموسوعات المتخصصة:

من أوليات الموسوعات المتخصصة في العصر الحديث بأوروبا موسوعة الفن الألمانية الصادرة ما بين سنة1907 ـ 1947 وتقع في 25 مجلداً. وموسوعة المعرفة الدينية[1]. أما باللغة العربية فهناك عدد من

(1) الموسوعة العربية الميسرة مادة: (موسوعة)

الموسوعات المتخصصة منها ما أُلف في لغات أجنبية، ثم تُرجم إلى العربية، ومنها ما أُلف في العربية ابتداء، وفي العرض الآتي أمثلة للموسوعات الخاصة في ميدان الدراسات الإنسانية والدينية:

مجال الحضارة والتاريخ والتراث:

ـ **قصة الحضارة تأليف**: و.ل. ديورانت: ترجمها جماعة من كبار المختصين منهم د. زكي نجيب محمود، وطبعت بالقاهرة في أربعين مجلدا بتمويل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)، و فيها قسّم المؤلف تراث الإنسانية إلى خمسة أقسام: هي تراث الشرق، والتراث الكلاسيكي، والتراث الوسيط، والتراث الأوروبي، والتراث الحديث.

ـ **موسوعة تاريخ الحضارات العامة**: ألّف أصلها الفرنسي لفيف من الكتاب بإشراف موريس كروزيه وطُبعت ترجمتها العربية في سبع مجلدات، عن منشورات عويدات (بيروت ـ باريس) أكثر من مرة في الثمانينات من هذا القرن، متناولة أساليب الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتجارية والدينية، وغيرها من مكونات الحضارة الإنسانية منذ فجر التاريخ. وقام بترجمتها يوسف وفريد داغر، وفؤاد الريحاني.

ـ **موسوعة الحضارة العربية الإسلامية**: أصدرتها في ثلاث مجلدات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: 1987، وأعد مادتها لفيف من المختصين في موضوعاتها وهى الفلسفة، وأصول الدين، وأصول الفقه، والعقل والنقل، وفن الحرب، ونظم الحكم، والنقد والبلاغة، والعروض.

ـ **موسوعة التاريخ الإسلامي**: من تأليف الدكتور أحمد شلبي الذي تناول في أجزائه العشرة: تاريخ المناهج، وتاريخ السياسة، والاقتصاد،

والتربية الإسلامية، والمجتمع، والحياة الاجتماعية، والتشريع، والعلاقات الدولية، وجعل الجزء العاشر لرحلة الحياة.

ـ مجال الفقه الإسلامي:

ـ موسوعة جمال عبد الناصر للفقه الإسلامي:

أصدرها غير كاملة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، وتولى الكتابة فيها علماء متخصصون في الشريعة الإسلامية، وهي مرتّبة على حروف المعجم.

ـ **الموسوعة الفقهية الكويتية:** أصدرتها وزارة الأوقاف في الكويت.

ـ **الفقه الإسلامي وأدلته:** موسوعة فقهية مقارنة، جمعها في ثمانية مجلدات د. وهبة الزحيلي، ونشرتها لأول مرة دار الفكر بدمشق سنة 1984 وقد قسمها إلى الموضوعات الفقهية المعروفة، على أنه ذيّلها بفهرسة ألفبائية للموضوعات وأهم المسائل الفقهية يسّرت العثور على الجزئيات المطلوبة دون عناء.

ـ **موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي:** جمعها في مجلدين الأستاذ سعدي أبو جيب، ونشرتها في طبعتها الثانية دار الفكر بدمشق، سنة 1987.

ـ **موسوعة الخراج:** أصدرتها دار المعرفة ببيروت سنة 1979 متضمنة ثلاثة كتب في هذا الموضوع هي: كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة وتلميذه الأشهر. وكتاب الخراج للإمام يحيى بن آدم القرشي، وكتاب الاستخراج لأحكام الخراج لابن رجب الحنبلي.

ـ مجال تاريخ العلوم:

من أوائل الموسوعات في هذا الشأن كتاب إحصاء العلوم للفارابي،

ومفتاح العلوم للخوارزمي. ومن الكتب الشهيرة في هذا المجال مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم الذي ألفه في ثلاثة مجلدات أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زاده. طبع الكتاب للمرة الأولى في جزأين بحيدر أباد في الهند، بعناية دائرة المعارف النظامية، وطبع الجزء الثالث مستقلا عام 1356هـ، ثم طبع بالقاهرة سنة 1968 وذكرت دار الكتب العلمية ببيروت أنها تقدم الطبعة الأولى للكتاب بنشرتها التي قدّمتها سنة 1985 وفي كل الأحوال فالكتاب موسوعة مهمة في بابه.

جعل المؤلف كتابه في أربع مقدمات وطرفين، تناول في الطرف الأول الإرشاد إلى كيفية تحصيل طريق النظر، وقسمه إلى دوحات، و في الطرف الثاني تناول الدوحة السابعة في العلوم المتعلقة بالتصفية، وهي ثمرة العلم. وهو يذكر في كتابه موضوع العلم وغرضه وفائدته ومجال بحثه وحدوده، ثم يعدد المؤلفات التي كتبت فيه، ويترجم للمؤلفين عند ذكرهم.

ـ الموسوعات الفلسفية:

لعلها تمثل أكثر الموسوعات الخاصة في المكتبة العربية، لكثرة المهتمين بالموسوعات بين المختصين في الفلسفة، وإن كان يغلب على أعمالهم طابع الترجمة، فمن هذه الموسوعات:

ـ الموسوعة الفلسفية العربية:

أصدرها معهد الإنماء العربي الذي تولى رئاسته د. على بالأشهر ثم د. عثمان التير وكلاهما من ليبيا التي تمول المعهد المذكور، وطبعت الموسوعة سنة 1986 من قبل مجموعة من الأساتذة برئاسة د. معن زياده

في ثلاثة أجزاء: الأول للمصطلحات والمفاهيم والثاني للمدارس والمذاهب والتيارات الفلسفية، والثالث للأعلام.

استأنست هذه الموسوعة بالموسوعات العالمية، وحاولت عدم التدخل في توجيه التيارات التي يمثلها صاحب النص، وذيلت كل مادة بالمصادر التي أسهمت في بنائها.

ـ الموسوعة الفلسفية:

وضعتها لجنة من العلماء والجامعيين السوفياتيين بإشراف روزنتال، و يودين، وترجمها إلى العربية سمير كرم، وطبعت في بيروت عام 1974.والموسوعة كما يقول ناشرها لا تخفي الطابع المادي الجدلي الذي يمثل منهجها الفكري، أما مضمونها فيستوفي عدداً كبيراً من المواد والمصطلحات الفلسفية التي تغطي مجالات الفلسفة والمنطق والعلم والاجتماع والسياسة والأيديولوجيا والفن، واقتصر تدخل المترجم على استبعاد بعض المواد التي لم ير حاجة في ذكرها للقراء العرب كبعض التراجم، وأضاف تراجم لبعض الفلاسفة المسلمين.

ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة:

نقلها عن الإنجليزية جماعة من الأساتذة بإشراف د. زكي نجيب محمود، وفيها مقالات مختارة من الأصل لتلبية حاجة القراء غير المتخصصين، وهي مقالات موجزة غير مذيلة بالمصادر والمراجع.

ـ موسوعة الفلسفة:

أشرف على إصدارها عبد الرحمن بدوي، وتناولت جملة من المصطلحات والمفاهيم الفلسفية.

ج ـ الكتب الجامعة:

اصطلاح الكتب الجامعة أردت به تلك الكتب التي تناولت في طيّاتها موضوعات شتى دون أن ترتبها ترتيبا هجائيا، وهي كثيرة في مكتبتنا التراثية، وسنقتصر منها على بعض الأمثلة الموضحة للظاهرة:

1 ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري المتوفى سنة 733هـ.

نشر الكتاب ما بين عامي 1923 و1954 بإشراف دار الكتب المصرية، ثم صُورت هذه الطبعة فيما بعد، وهو يقع في ثلاثين جزءاً، تم نشر الاثنى عشر جزءا الأولى في الطبعة المشار إليها، ونشر الجزء الثاني والعشرين الخاص بالأندلس في مدريد سنة 1917.

والكتاب مقسم إلى خمسة فنون هي:

- الفن الأول في السماء والآثار العلوية، والأرض والمعالم السفلية. وقسمه إلى خمسة أقسام، ذكر فيها: السماء والآثار العلوية، والأزمنة والمواسم والأعياد، والتضاريس المختلفة، وطبائع البلاد وأخلاق سكّانها، والمباني على اختلافها.
- الفن الثاني في الإنسان وما يتعلق به: ذكر فيه اشتقاقه وتنقلاته، وطبائعه، وأوصافه، وأنسابه، والأمثال المشهورة، والأغراض الشعرية، والملك وما يتعلق به.
- الفن الثالث في الحيوان الصامت: ويشمل السباع، والوحوش والظباء، والمستأنسات من المركوبات الحيوانية والأنعام، وذوات السموم، والطيور والأسماك.

- الفن الرابع في النبات: ذكر فيه أصل النبات، والأشجار، والفواكه، والرياض والأزهار، وأصناف الطيب.
- الفن الخامس في التاريخ: وفيه مبدأ الخلق، وقصة إبراهيم، وقصة موسى وما بعدها إلى عيسى عليهم السلام، وأخبار ملوك الأصقاع، وأخبار الملة الإسلامية إلى عهد أبي المظفر قلاوون الصالحي.

وهو في معظم هذه الموضوعات يتناول الخصائص، ويستشهد بالقرآن والحديث والشعر والنثر والحكم وأقوال العلماء، مازجا أبحاثه بين الأدب واللغة والفنون والعلوم المعروفة حتى عصره في معظم الموضوعات السابقة.

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأحمد بن علي القلقشندي المتوفى سنة 756هـ.

إن التنوع الموضوعي في كتاب صبح الأعشى أقل من سابقه، وحسبانه في الكتب الموسوعية له أسبابه، منها أن الكاتب قد وضع مادته في أربعة عشر مجلداً، قضى في كتابتها عشرة أعوام من عمره، فكان بذلك من الكتب الجامعة، ثم إن هذه الموضوعات ليست في مجال واحد، وإن تعلقت بموضوع الكتابة، ففي مقالاته نجد: المعارف التي يحتاج إليها الكاتب، والمسالك والممالك، وما تشترك فيه أنواع المكاتبات من أسماء ومقادير ومستندات، وألقاب الملوك وأعوانهم مرتبة على حروف المعجم، والولايات، والعهود، والوصايا، وتصاريح الخدمة، والمسامحات، ، والأيمان، وعهود الأمان، وفنون من الكتابة.

طبع الكتاب في دار الكتب المصرية ما بين سنتي 1910 و1920 وأعيد

نشره مصورا عن الطبعة نفسها سنة 1963. بالمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، والطباعة، والنشر.

هـ ـ الكتب:

الكتب هي أوسع مصادر المعرفة انتشاراً حتى الآن، وهي المصادر الأكثر استعمالاً للآراء، ولذا وجب التنبيه إلى أن الثقة في الكتاب هي الشرط الأول في الاعتماد على مادته، و قد تقدمتْ في تقويم الكتب عناصر مهمة لتقوية هذه الثقة، وشاعت في الآونة الحديثة كتب مدسوسة منسوبة إلى أسماء وهمية تسيء إلى الحقائق الدينية والعلمية أبلغ إساءة. وهناك إلى جانب الكتب المحرفة عن قصد كتب محرفة عن جهل يعرفها النقاد من خلال عناصر التقويم المذكورة آنفا، وهناك أبحاث ومؤلفات مخصصة لنقد الكتب منها مراجعات وعروض نقدية في بعض الدوريات والمستخلصات، ومنها كتب مستقلة في نقد كتاب أو مجموعة من الكتب لمؤلف أو عدة مؤلفين، ونذكر على سبيل المثال من الكتب القديمة كتاب (تهافت التهافت) الذي ردّ به ابن رشد على كتاب (تهافت الفلاسفة) للغزالي، وفي الكتب المعاصرة كتاب عنوانه (كتب حذر العلماء منها) ومنظومة الشنقيطي في نقد مصادر الفقه المالكي المعروفة بـ(الطليحة)، وكتاب: (مصادر الشعر الجاهلي) الذي جعله مؤلفه عرضا نقديا للآراء التي تناولت قضية الانتحال في الشعر الجاهلي من المستشرقين والعرب، وأتبعها بذكر المصادر الموثقة للشعر الجاهلي.

والأمر الثاني الذي ينبغي أن يراعيه الباحث عند تناول الكتاب هو صلته ببحثه، فالوقت الذي ينفقه في المصادر أولى من ذلك الذي ينفقه في مطالعة المراجع الثانوية، أو قراءة كتاب آخر لا صلة له بالبحث، ما لم

يكن ذلك من قبيل القراءة العامة التي ينبغي أن يحرص الباحثون على ممارستها بين الحين والآخر.

وينبغي التذكير في مجال الاعتماد على الكتب أنها ولكثرتها وتنوع محتوياتها وأماكن صدورها باتت تُعجز المرء عن متابعتها، وهناك طرق مختلفة لمتابعة الإصدارات الجديدة منها: قراءة كتب المستخلصات وهي قليلة في العربية، وأكثر منها عروض الكتب ونقدها ومتابعة جديدها في الدوريات، ومنها متابعة قوائم دور النشر وما يجد فيها من إصدارات، والاطلاع على أدلة المعارض السنوية الكبيرة التي تقام في هذه البلاد أو تلك، ففيها فرص نادرة لمطالعة الجديد، تغني عن السفر والتنقل في استكشافه، ثم فهارس الكتب، وسيأتي الحديث عنها في بابها إن شاء الله تعالى.

وسبل توفر الكتاب المعروفة هي الشراء، والإهداء والتبادل، والاستعارة، والاطلاع في المكان العام أو الخاص، كالمكتبات العامة أو الخاصة، ولكل من هذه السبل آداب وأساليب في التعامل معها، والذي يعنينا منها هنا هو ضرورة أن يسجل الباحث ضمن المعلومات المدونة على الكتاب في بطاقة التقميش مكان وجوده، حتى يمكنه تذكر ذلك حين العودة إليه، وألاّ يترك ذلك للذاكرة، فهي إن حفظت أشياء كثيرة قد يغيب عنها شيء في غاية الأهمية.

وإذا كان للاختيار فرصة في اقتناء الكتب فأفضلها ما تريح حروفه البصر، ويتحمل ورقه وغلافه كثرة التناول، وما رجحه التفضيل المبني على عناصر التقويم المثبتة في مكانها من هذا البحث.

و ـ الدوريات:

وقد تقدم الحديث عنها باستفاضة في محتويات المكتبة، وينطبق عليها ما ينطبق على الكتب في التقويم والتوثيق والتعامل.

ح ـ المرقونات:

وتشمل رسائل الماجستير والدكتوراه المرقونة على الآلة الكاتبة، وتكتسي أهميتها من قيمتها العلمية أولا، ثم من قلة وجودها، فالمرقون من هذه الأعمال ليس كثيرا في العادة، ولا واسع الانتشار، وما فيه من معلومات ونتائج معروف على نطاق ضيق بين الباحثين وبعض أساتذتهم، وقلة من المطلعين عليه في المكتبات المحدودة التي تحتويه، وهي في الغالب مكتبات الجامعات التي شهدت مناقشة تلك الرسائل، أو مكتبة الباحث وبعض خاصته.

وبرغم الأهمية الأكيدة لهذه المرقونات، و القيمة العالية للبحوث التي تحتوي على النادر منها، لما في ملاحقتها من عناء ونصب وجدة، فإن التعامل معها ينبغي أن يحاط بالحذر، فأصحابها في بداية حياتهم العلمية غالبا، وقد يصدر عنهم من الأحكام السريعة، والنظرات الأولية ما يحتاج إلى ترو في قبوله والثقة به، ولئن كانت هذه الأعمال مصحوبة بعناية مشرف خبير، ومراجعة لجنة متخصصة، فنحن لا نعلم أحياناً إن كان الطالب مستجيباً لتوجيهات المشرف، أو معرضا عنها، كما قد يكون في ملاحظات المناقشين ما يقلل من قيمة الرسالة ويحط من شأن معلومات نتقلها منها، وعلى ذلك فإنه من الضروري أن نخضع المرقونات لعناصر التقويم التي وردت في مبحث تقويم المصدر ووسائله.

ومن هذه المرقونات أيضاً كلَّ ما رُقن على الآلة الكاتبة من وثائق

على اختلاف أنواعها، كالرسائل والقوانين والقرارات واللوائح والمنشورات، والمطويات، والبحوث، وغيرها من المواد التي تكتب بهذه الوسيلة. وقد يكون بعض هذه المرقونات مصادر قيمة لما يتعلق بها من البحوث. ومن المهم أن نتأكد في تقويم الوثائق من تاريخها، والأختام والتوقيعات المذيلة بها، وظروف تدوينها، فقد تلتبس مشاريع القوانين بالقوانين النافذة، وتلتبس القرارات الجارية بالقرارات الملغاة، وغير ذلك من التغييرات التي تجعل المصدر عرضة للنقد، والنتائج المبنية على معلوماته عرضة للإخفاق والبطلان.

وتجدر الإشارة هنا إلى ما يصدر من نشرات وكشوف ودوريات خاصة بهذه المرقونات ومنها على سبيل المثال:

- كتاب الأطروحات العلمية في الدراسات الأندلسية الذي نشره د. محمد عبد الحميد صقر، أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة عين شمس، القاهرة سنة 1988.
- مجلة الكتاب المغربي التي تصدرها الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، وقد خصصت عددا سنويا للأطروحات والرسائل العلمية.
- كتاب أطروحات ورسائل، الصادر في المغرب سنة 1986 مغطيا ربع قرن من الأعمال الجامعية بالمغرب، منذ تأسيس الجامعة حتى سنة 1984.
- نشرة الرسائل الجامعية في جامعة الفاتح بالجماهيرية.
- وهناك دوريات كثيرة تخصص ملفات خاصة بالرسائل الجامعية، كما يمكن طلب كشوف بالرسائل من أقسام الدراسات العليا بالجامعات المختلفة.

ط ـ المصادر السمعية والبصرية:

لقد مر تعريف هذه المصادر في محتويات المكتبة، ومشتملات هذه الوثائق قد تكون كتباً أو دوريات مطبوعة، أو مخطوطات ووثائق يدوية، أو روايات شفهية، وندوات ومحاضرات مسموعة، أو مصورة على أيّ نوع من أجهزة التصوير.

وأياً كانت وسيلة التوثيق السمعي والبصري فإنها تخضع لكثير من عناصر التقويم الواردة في مبحث تقويم الكتاب لأن أكثر موادها من المخطوطات أو من المطبوعات أو المرقونات، يضاف إلى ما يمكن أن نسميه بتقويم الصوت أو الصورة، فبعض الأصوات ليس له من الوضوح ما يؤهله لأن يكون مصدراً جديراً بالاعتماد، وكذلك بعض المصورات التي تفتقد الوضوح، أو لا تظهر فيها الكلمات المكتوبة بالحمرة أو الصفرة، أو مبتورة الحواشي والهوامش، ومثل هذه المصورات يحتاج للرجوع إلى الأصل لاستكمال النقص وتوضيح الغموض. ومن المصورات ما يفتقد رقم المخطوط ومصدره، أو ما إلى ذلك من المعلومات المهمة، ومن الأهمية بمكان أن يسعى الباحث لاستكمال المعلومات الناقصة وإثباتها في زاوية التعريف بالمصدر.

خامسا: أدلة المعرفة

1 ـ الفهارس:

أ ـ فهارس الكتب:

تعرف فهرسة الكتب عالمياً باسم الببليوغرافية، وتعرف قديماً باسم الفهرست والبرنامج، وهما كلمتان فارسيتان، تدل الأولى منهما على عدد

من الكتب، والثانية تُعرف في أصلها بالبرنامة، قال صاحب القاموس: «البرنامج الورقة الجامعة للحساب، معرب برنامه»[1] وهي قوائم الكتب حول موضوع أو علم أو بلد أو غيره[2]، وليست الفهرسة جديدة على المكتبة العربية، فإن أول فهرس وصلنا يعود إلى القرن الرابع الهجري، وهو كتاب الفهرست للنديم (ت: 385)، وقريب من هذا الصنيع كتاب الفيلسوف الفارابي الموسوم بـ(إحصاء العلوم) وهو سابق للنديم وإن عمل هذا الأخير أدخل في فن الفهرسة من سابقه، وهو أشبه بكتاب الخوارزمي (387هـ) الموسوم بـ(مفاتيح العلوم) وكتاب الرازي الفيلسوف المعروف بـ(حدائق الأنوار)، ولكن ما جدَّ هو التطور في أساليبها وتقنياتها، ويمكن تقسيم فهارس الكتب إلى فهارس المطبوعات وفهارس المخطوطات، ولكن بعض الفهارس تشمل هذا وذاك، ومن المخطوطات ما صار مطبوعا بعد تحقيقه، ولذا فسنعرض في البسطة الآتية نماذج مختلطة من فهارس الكتب قديماً وحديثاً دون التقيد بالتقسيم المشار إليه، وسنفرد للمخطوطات حيزا مستقلا فيما بعد.

---

(1) القاموس المحيط: آخر مواد باب الجيم فصل الباء.

(2) انظر الموسوعة الميسرة: مادة ببليوغرافيا.

الفهارس القديمة

ـ الفهرست للنديم:

تقدم أن هذا هو أول ما وصل إلينا من فهارس الكتب، فقد توفي محمد بن إسحاق النديم سنة 385هـ، وترك هذا الأثر الذي يعرفنا بمؤلفات دوِّنت خلال أزهى عصور الحضارة العربية الإسلامية، في مختلف ميادين المعرفة، ومن الكتب التي ذكرها ما لا نعرفه إلا من هذا المصدر.

قسم النديم كتابه إلى عشرة مقالات، ثم فرّع كل مقالة إلى فنون تناولت العلوم والآداب المعروفة في عصره، ويعتمد منهجه على التعريف بالعلم والترجمة لأعلامه، ثم يورد ما لهم في ذلك العلم من مؤلفات. ففي التعريف بالقرآن وعلومه مثلا يورد المقالة الأولى فيبدأها بوصف الكتاب المجيد، ثم يخصص بابا لأسباب النزول، والترتيب، وجمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وترتيب السور في مصحف الإمام علي (كرم الله وجهه)، وأخبار القراء السبعة ورواياتهم، ثم يعرض للكتب التي أُلفت في القراءات، والتفسير ومعاني القرآن ومشكله، ومجازه، وغريبه، ولغاته،

وقراءاته، ونقطه وشكله، إلى آخر ما يتصل به من علوم وأحكام(1).

- وفي المكتبة العربية القديمة عدد من المؤلفات يعرف بكتب برامج الشيوخ، أو فهارس العلماء، يذكرون فيه ما أخذوه عن شيوخهم، يمكن أن نصنفه في باب فهارس الكتب، ومنها: فهرست ابن خير، وبرنامج الوادي آشي، وفهرسة المنتوري، وفهرسة ابن السراج(2)، وغيرها. والحديث عن فهارس أو برامج العلماء يقودنا إلى مناهج التأليف في هذه الكتب، فقد اختلف تأليفها بين فهارس تهتم أساسا بالمرويات، من الكتب، والرسائل، وهي تدخل في صميم ما نحن فيه من فهارس الكتب ومن أمثلتها فهرست ابن خير الإشبيلي (ت505) وبرنامج القاسم التجيبي(ت: 730) اللذان يوردان أسماء الكتب، ثم يثبتان الأسانيد المختلفة لروايتها(3). وفهارس تعنى أساساً بالشيوخ، ويكون ذكرالكتب تبعاً لما روي عنهم، ومن أمثلتها برنامج الرعيني، وفهرس ابن عطية، وبرنامج أبي عبد الله المجاري وغيرهم، وهناك من يجمع بين المنهجين فيثبت الشيوخ والكتب، أو يضيف إلى ذلك معلومات وفوائد وإنشادات(4).

---

(1) انظر الفهرست للنديم نشرة دار المعرفة ص: 63 وفيها أن المؤلف هو ابن النديم وقد تولى محقق الكتاب تصحيح ذلك في طبعة تالية.

(2) ما يزال فهرس المنتوري وفهرس ابن السراج مخطوطان، وقد تحصلت على نسخة مصورة من كل منهما بفضل الصديق الأستاذ عبد العزيز الساوري.

(3) انظر: التعريف بفهرسة ابن خير في مقدمة الطبعة الثالثة: ص: (ل) وهي مترجمة عن النص اللاتيني في الطبعة الأولى. وانظر مقدمة الأستاذ عبد الحفيظ بن منصور لبرنامج التجيبي، نشر الدار العربية للكتاب: 1981ص: (ز).

(4) انظر مجلة معهد المخطوطات العربية: مقدمة تحقيق برنامج ابن الربيع للدكتور عبد العزيز الأهواني: المجلد الاول سنة 1955. ومقدمة تحقيق برنامج المجاري للدكتور محمد أبو الأجفان ص: 61 ـ 69

ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لأحمد مصطفى الشهير بطاش كبري زاده (ت: 968).

طبع هذا الكتاب في الهند، والقاهرة، وبيروت، وأفضل هذه الطبعات المنشورة بالقاهرة في أربعة أجزاء، بتحقيق كامل البكري وعبد الوهاب أبو النور.

قسّم كبري زاده كتابه إلى ست دوحات، ذكر في الدوحة الأولى منها العلوم الخطية، وما يتصل بأدوات الخط، وقوانين الكتابة، وفي الثانية العلوم المتعلقة بالألفاظ، وفي الثالثة في العلوم الباحثة عما في الأذهان، وفي الرابعة العلم المتعلق بالأعيان، وفي الخامسة الحكمة العلمية. وفي كل من هذه العلوم يشير إلى ما أُلف فيها من كتب، ومعرّفاً بأشهر المؤلفين فيها.

ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، (1067هـ)

يعد هذا الكتاب أهم الكتب التي أُلفت في هذا المجال حتى تاريخ تأليفه في القرن السابع عشر الميلادي، وهو جهد عظيم، دام العمل فيه عشرين عاما، عرّف خلالها بخمسة عشر ألف كتاب، ويزداد تقديرنا لحاجي خليفة إذا عرفنا أن المطبعة لم تصل إلى الشرق الإسلامي حتى هذا التاريخ، وأن الرجل قد اعتمد في كل ما دوّنه على الكتب المخطوطة.

أما منهج المؤلف فيعتمد على تصنيف الكتب بحسب ترتيبها الهجائي، ملما بنبذة مختصرة عن المؤلف، ووصف للكتاب، ذاكراً مكانته وما له من شروح، وحواشي، وتتمات، مشيراً إلى الكتب التي اطلع عليها مباشرة، ليفرق القارئ بينها وبين تلك التي سمع بها أو نقل معلومات عنها من كتب أو فهارس أخرى.

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي (ت 1920).

- ومفهوم من عنوان الكتاب أنه متمم لعمل حاجي خليفة، وسائر على منهجه، ولذلك طبع معه في طبعة واحدة وكأن جزأيه هما بعض أجزاء الكتاب الأول.

- أسماء الكتب: لعبد اللطيف بن محمد رياضي زاده. (القرن 11هـ). كان هذا الكتاب قبل تحقيقه مخطوطاً بمكتبة جامعة بنغازي، وهو نسخة فريدة بخط المؤلف، كما يقول محققه د. محمد التونجي الذي كتب في عنوانه عبارة (المتمم لكشف الظنون) ثم عرفنا أن رياضي زاده ألف كتابه قبل كشف الظنون، وأن الزيادات التي به، والاختلافات في بعض التسميات بينه وبين الكشف تستبعد أن يكون حاجي خليفة قد اطلع عليه.

منهجه:

- رتبه المؤلف على الحرف الأول فقط، ولكن المحقق رتبه على الحروف الثلاثة الأولى.
- بدأ في الترتيب بالمفرد، فالمركب، فالمعطوف، فالمضاف والمجرور.
- عرّف كاتبه بالمؤلف، مشيرًا إلى سنة وفاته وميلاده إن عرفها، وعدد مؤلفاته.
- يضع الشروح منفصلة عن أصولها غالباً، خلافاً لمجموعة كشف الظنون.
- قال المحقق: إنه يضع الواو بين الهاء والياء على عادة العجم، وأحسب أن ذلك متبع عند العرب أيضا.

- له عبارات تدل على أنه ثبتٌ في المعلومات التي يقدمها، كإشارته إلى الكتب التي اطّلع عليها والتي لم يطلع عليها.
- فرغ عبد اللطيف زاده من تأليف كتابه سنة 1054هـ، وكتب مقدمة تحقيقه في بنغازي سنة 1975، ونشرته مكتبة الخانجي بمصر.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لمحمد محسن المعروف بآغا بزرك (ت: 1389هـ 1970).

ولد آغا بزرك في الربع الأخير من القرن الماضي، و استغرق في تأليف كتابه ستاً وعشرين سنة، وقد طبع منه حتى سنة 1970 تسعة عشر مجلداً، تتبع فيها مؤلفات الشيعة، مضيفاً إليها مؤلفات كلٍّ من أحس له أي وتر شيعي، واقتصر ما نشر من الكتاب حتى ذلك التاريخ على الحروف من (أ) إلى (ع).

أما منهج الكتاب فيعتمد على ذكر المصدر وفق ترتيبه الهجائي، ويورد معلومات مختصرة عن المؤلف، وإشارة إلى مكان وجود الكتاب، ثم يسجل بدايته، وهو دليل على صلته المباشرة بمعظم الكتب التي يتحدث عنها.

الفهارس الحديثة:

ظهرت الببليوغرافيا الحديثة بمفهوم الكتابة عن الكتب في القرن التاسع عشر وقسمها الفرنسي Gabriel Peignot إلى عامة وخاصة[1]. وليست كتب الببليوغرافيا موحدة الهدف أو التنظيم، إذ منها ما يغطي موضوعًا واحدًا، ومنها ما يغطي نتاج بلد واحد أو عالم واحد أو مجموعة

(1) انظر الدراسات الأدبية الجامعية بالمغرب ص: 16

علماء متخصصين أو مجموعة بلدان، وتبين مقدماتها طبيعة تصنيفها، ونوع مداخلها.

والجدير بالذكر في هذا المقام أن هناك مرجعاً شاملاً حاول إحصاء البيليوغرافيات العالمية تحت عنوان: (البيليوغرافيا العالمية للبيليوغرافيات) World Bibliography. f Bibliographies لتيودوربسترمان[1]. أما ما يتعلق بالكتب المتصلة بفهارس الدراسات المطبوعة في مجالات عربية وإسلامية فمنها القطرية، والعربية العامة، والعالمية ومن أمثلتها ما يأتي:

ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة:

ألفه يوسف سركيس وانتهى من طبعه سنة 1928 وهو ما يعني أن أهميته قاصرة على الكتب التي طبعت قبل هذا التاريخ، ولكن الأهمية الكبرى لهذا الكتاب تكمن في أنه يعرِّفنا بطبعات قديمة صارت الآن نادرة الوجود، يعود بعضها إلى سنة 1918، ولما كانت هذه الطبعات القديمة قليلة منذ البداية، وبعضها تحقيق لمخطوطات أصبحت مفقودة أو معيبة بسبب الأرضة أو الرطوبة، أو ما إلى ذلك من العيوب التي تحدث عادة للمخطوطات القديمة، فإن أهمية هذه الطبعات تصبح مضاعفة. ونظراً لأن سركيس قد اعتمد كثيراً على فهارس دار الكتب المصرية فإنها باتت من أهم المظان لوجود الكتب التي ذكرها في معجمه.

والكتاب مبني على ترتيب أسماء المؤلفين ترتيبا هجائيا، يراعي فيه اسم شهرة المؤلف، وإذا كان له أكثر من اسم يشتهر به وضع ترجمته في أكثرها شهرة، وأورد غيره في موضعه من الترتيب الهجائي، ثم أحال القارئ إلى مكان الترجمة عند الاسم الأكثر شهرة.

(1) أسس تنظيم المكتبات والمعلومات لكولن هاريسون وروزماري بينهام (مصدر سابق) ص175

وتراجم الأعلام فيه مختصرة متبوعة بقائمة من مؤلفاتهم، يذكر فيها اسم الكتاب، ومكان طباعته، وتاريخها.

ـ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، لإدوارد فانديك، القاهرة 1897

يدل عنوانه على القدر القليل الذي طبع من الكتب العربية حتى تاريخ تأليفه، ولكن أهميته تبدو في التأريخ للطباعة العربية، وفي الإشارة إلى تلك الطبعات التي صارت نادرة وفي حكم المخطوطات.

ـ تراجم الكتب الشرقية، لأوجست مللر.

نشر هذا الكتاب في برلين على دفعات منذ سنة 1887، ويشبه في أهميته التاريخية كتاب اكتفاء القنوع.

ـ تراجم الكتب العربية والمتصلة بالعربية

المنشورة في أوروبا من سنة 1810 إلى سنة 1885. وما قيل عن اكتفاء القنوع، وتراجم الكتب الشرقية، يقال في هذا الكتاب.

ـ ببليوغرافيا الوحدة العربية:

صدرت منها ثلاثة مجلدات كبرى، تعرض عدداً كبيراً من العناوين وتوثق معلومات نشرها.

ـ الببليوغرافية الوطنية، وهي متنوعة في البلدان العربية، ونذكر منها الببليوغرافية العربية الليبية لعام: 1975 و1978 وهما جزءان يتضمنان الكتب والتقارير والبحوث، والدوريات الصادرة في التاريخين المشار إليهما، ويتميز الثاني منهما: بتحقيق التقنين الدولي للوصف الببليوغرافي الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،

تحت عنوان بعض التقنيات العصرية للوصف البيليوغرافي: تعريبات وتأصيلات وإرشادات»[1].

- البيليوغرافية الليبية المشروحة للأعمال الجارية في السبعينيات

نشرته الإدارة العامة للثقافة ـ 1980، وجعلت من المؤلف المدخل الرئيس، وتحته المؤلَّف أو المؤلفات التي أصدرها في المدة المرصودة. ، ثم بالإنجليزية التي أعدها أستاذ ألماني في ثلاثة مجلدات مهمة.

وهناك مجلة الكتاب المغربي، وهي سلسلة ببليوغرافية نقدية، تصدرها اللجنة المغربية للتأليف والترجمة والنشر، وتعرض بالتعريف والنقد للكتب المنشورة، وهي بذلك تتابع في أعداد متواصلة ما ينشر في المغرب سنوياً منذ تأسيسها حتى سنة 1985، ثم أضافت عددين آخرين خُصص أحدهما لمتابعة ما صدر من مجلات في السنة نفسها، وخُصص الآخر للرسائل والأطروحات الجامعية، وبذلك صارت في ثلاثة أقسام سنوية تغطي هذه المجالات المختلفة.

- دليل المؤلفات الإسلامية في المملكة العربية السعودية (ما بين عامي 1400 ـ 1409هـ) تأليف محمد خير رمضان عام 1993، ذيله المؤلف بكشاف للعناوين وآخر للمؤلفين ومن في حكمهم من المحققين والمترجمين، وصدَّره بفهرس لرؤوس الموضوعات وآخر للمحتويات من الحقول العامة. .

- المسلمون في الأندلس (ببليوغرافيا مفهرسة مختارة) إعداد عبد الرحمن بن حمد العكرش، الرياض ـ مكتبة عبد العزيز العامة: 1414.

---

(1) مقدمة البيليوغرافية ص: 9

ـ ألف كتاب وكتاب حول العالم العربي (Mille et un livres sur le monde arabe).

يشير هذا الكتاب إلى 1563 مراجعاً منشوراً بفرنسا عن العالم العربي، أعده المركز المشترك لنشر المطبوعات في مجال العلوم الاجتماعية بمساهمة معهد العالم العربي في باريس، وإدارة الكتاب بوزارة الثقافة الفرنسية، وجاء ترتيبه وفق التقسيم العشري لديوي، وذُيّل بملاحق حول أبرز الكتب والدوريات المختصة بشؤون العالم العربي، وفهارس للمؤلفين والعناوين والناشرين المذكورين في الدليل[1].

ـ السلسلة البيليوغرافية العالمية:

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد قراء الإنجليزية بقوائم عن المصادر والمراجع المكتوبة بتلك اللغة حول بلدان العالم، وقد أنجزت حتى عام 1986 حوالي الخمسين مجلداً، والملاحظ على بعض أجزاء هذه السلسلة أنها غير شاملة، ولكن ذلك لا يقلل من أهميتها بصفتها مفتاحاً أولياً للباحث في مجالها، ويمكنه أن يطور معلوماته ويوسعها بالرجوع إلى مصادر أكثر تخصصاً.

ـ مقاربة من ببليوغرافية إسبانية حول شمال أفريقية (1850 ـ 1980) إعداد رودولفو خيل (الجزء الأول) نشر الإدارة العامة للشؤون الثقافية ـ مدريد 1982. هو سفر في 869 صفحة تعرض المقدمة والمحتويات والفهارس باللغة الإسبانية، بالإضافة إلى مقدمتين بالعربية تقعان في سبع صفحات، إحداهما للمؤلف.

(1) صدر عن مطابع دار علوم الإنسان بباريس 1985 ـ 290ص

رتبت هذه البيليوغرافية أبجديا حسب أسماء المؤلفين أو الكلمة الأولى من العنوان عند غياب اسم المؤلف، وبها فهرس للعناوين. واعتمدت في المواد الواردة في الدوريات على: أفريقيا الرياضية ـ أفريقيا الإسبانية ـ مجلة الأندلس حتى عام1978 دورية (المنارة) حتى الرقم 10 آخر أعدادها، سنة صدور البيليوغرافية ـ و(المعتمد) ـ و(الشجرة) حتى عام 1978 ـ ووثائق معهد الدراسات الأفريقية ـ و(أوراق) ـ و(أبيض وأسود) حتى عام 1919 ـ و(نشرة الجمعية الإسبانية للمستشرقين) إلى 1980 و(نشرة الأكاديمية الملكية للتاريخ) ـ و(دفاتر الدراسات الأفريقية) ـ و(دفاتر تاريخ الإسلام) حتى الرقم 9 ـ و(دفاتر المكتبة الإسبانية بتطوان) إلى عام 1979 ـ والدئرة ـ وإسبانيا المستعمرة ـ والإسباني ـ ونجم الجنوب ـ وغرناطة ـ وجرس السفينة المغربي ـ وهيسبيرس تمودا ـ وهيسبانيا ـ وكتامة، والمغرب، ومدريد، وموريتانيا ـ ومختارات من الدراسات العربية والعبرية. ـ وعالم متمدن ـ وعالم ـ وغيرها.

ـ بيليوغرافية الكتب الصادرة بالإنجليزية Books in English وهي تجمع فهارس (مارك) الصادرة في بريطانيا وأمريكا، وقد طبعت منها أعداد تفوق (100,000) كتاب على شرائح المكروفيش، على فترات نصف شهرية منذ سنة 1971، والعناوين وأسماء المؤلفين مرتبة فيها ترتيبا ألفبائيا.

ـ الكتب عن أفريقيا والشرق (Books on Africa and The Orient) سلسلة من المراجع المفهرسة الصادرة عن مؤسسة (Ad Orientem LTD)

وعنوانها: 2 Cumber land Gardens, st. Leonards - Sussex- ---tn 38. 0qr England

ب ـ المستخلصات:

الاستخلاص (Abstracting) هو تلخيص الكتب والمقالات والبحوث

في أقل ما يمكن من الجمل والفقرات، مع توثيق معلومات النشر عن النص الأصلي بشكل كامل[1]. وهي عملية ضرورية لمتابعة حركة النشر العالمية الواسعة في مختلف الحقول، واللغات، والبلدان، الأمر الذي يجعل متابعتها شيئا متعذرا على القارئ مهما كانت إمكاناته وقدراته. ومنذ أول دورية تضمنت المستخلصات في القرن السابع عشر بفرنسا صار الاستخلاص مهمة شائعة في أوروبا، ثم في بقية دول العالم، واختلفت أغراضه باختلاف أنواعه إلى مستخلصات نقدية، وإعلامية، ووصفية، وغيرها[2].

ويمكن أن نمثل للمستخلصات المتصلة بالثقافة العربية الإسلامية بما يأتي:

ـ تراث الإنسانية:

وهي سلسلة تقع في أربعة مجلدات ضخمة، كانت تصدر في أعداد شهرية، تتناول بالتعريف والبحث والتحليل روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الإنسانية، كتبها أساتذة مختصون من الأدباء والكتاب والعلماء، من أمثال عباس العقاد، وزكي نجيب محمود، وشوقي ضيف، وعثمان أمين، وغيرهم. أما الأصول التي يتولون تلخيصها فبعضها لمؤلفين مسلمين: مثل الغزالي، والجويني، والمتنبي، والتوحيدي، وبعضها الآخر لكتاب عالميين مثل: هوميروس، وإقليدس، وديكارت، ودور كايم، وغيرهم.

جرت هذه السلسلة على غرار السلاسل العالمية التي تدرس روائع

(1) انظر الاستخلاص والمستخلصات للأستاذ محمد جرناز: مجلة الناشر، عدد10 ص: 98 وانظر الدراسات الأدبية الجامعية بالمغرب ص: 20

(2) انظر مجلة الناشر: (مصدر سابق) ع10 ص: 100 وما بعدها.

الكتب، وتترجم لأصحابها بإيجاز، وتعرض فقرات منها تساعد على مزيد من التعرف إلى خصائصها الموضوعية والأسلوبية، وتنهج منهجها في عدم التقيد بالترتيب التاريخي أو التصنيفي، وتزيد عليها في العناية المكثفة بأمهات الكتب العربية الإسلامية، التي أثرت في الحضارة الإنسانية.

وقد مهدت للتعريف بالكتاب بترجمة موجزة لمؤلفه، مع عرض لكتبه الأخرى، وفي التعريف نجد تلخيصاً وتحليلاً لمادة الكتاب، وبياناً لمكانته، وشواهد من محتوياته.

ـ سلسلة المستخلصات الملحقة بمجلة الدراسات الإسلامية، الصادرة في منذ سنة 1927 برئاسة المستشرق لويس ماسينيون، والتي استقلت عن المجلة المذكورة منذ سنة 1956 تحت عنوان (Abstracaislamica). وفي هذه المستخلصات إشارات وتعليقات نقدية لأبحاث ومقالات تتعلق بالإسلام بأقلام ثلة من المستشرقين المعروفين في النصف الأول من القرن العشرين.

ـ المستخلصات التربوية:

تصدر عن مركز الوثائق والبحوث التربوية بوزارة التعليم المصرية، وتهدف إلى تلخيص ما ينشر في الدوريات الإنجليزية والفرنسية من بحوث تربوية.

ـ التعريف بالوثائق التربوية:

وهي نشرة تربوية متخصصة، تصدر عن المركز السابق ذكره، وتلخص ما ينشر باللغة العربية من كتب أو مقالات أو تقارير، وهي أكثر إيجازا وتركيزا من سابقتها، على اعتبار أن الحصول على المطبوعة العربية أكثر يسرا من الحصول على غيرها.

- **المستخلصات العلمية العربية: Arab Science Abstacts :**

تصدر هذه الدورية باللغة الإنجليزية، وتترجم عناوينها إلى اللغة الفرنسية تحت إشراف المركز القومي للإعلام والتوثيق، بالاشتراك مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واتحاد الجامعات العربية، ومركز اليونيسكو للعلوم في البلاد العربية، وتعنى بنشر المستخلصات لما ينشر في الوطن العربي من مقالات وبحوث في المجالات العلمية البحتة والتطبيقية. والدورية برغم أهميتها تبدو خدمة لقراء اللغتين المذكورتين أكثر منها خدمة للقارئ العربي الذي كان يمكن أن يفيد من هذه المستخلصات مادام قد حرم من أصولها التي تكتب عادة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية. ولهذا المركز مستخلصات أخرى على غرار هذه وباللغة الانجليزية أيضا[1].

ج - فهارس المؤلفين:

اختصت بعض المعاجم بالتعريف بالمؤلفين وجعل أسمائهم مداخل لذكر مؤلفاتهم، أو الاقتصار على بعضها، فمن ذلك:

- هدية العارفين إلى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد البابابي البغدادي المتوفى سنة 1339 - 1920. جعله مؤلفه ذيلاً على كشف الظنون، وطبع ملحقا به سنة 1951 ثم تم تصويرهما مع إيضاح المكنون في ستة أجزاء على الطبعة الأول.

ومنهج الكتاب قائم على ترتيب أسماء المؤلفين هجائيا، وإيراد ترجمة موجزة للمؤلف متبوعة بذكر مؤلفاته، وفي آخر كل جزء من الكتاب ثبت بأسماء المؤلفين وفق ترتيبها الهجائي.

---

(1) انظر مدخل لدراسة المراجع للدكتور عبد الستار الحلوجي ص: 144

ـ **معجم المصنفين:**

أمر بتأليفه نظام الملك شاه آصف جاه السابع ملك حيدر آباد الدكن سنة 1386 هـ، ومعلوم أن هذه البلاد قد شهدت نهضة مبكرة في طباعة عدد كبير من الكتب الإسلامية.

ـ **معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة**

ألفه سنة 1376 ـ 1957 وقدم له بمقدمة مختصرة أوجز فيها منهج عمله، موضحاً أن المعجم يترجم لمن توفاه الأجل من مصنفي الكتب العربية من عرب وعجم، مضافا إليهم الشعراء والرواة من ذوي الآثار المجموعة.

وذكر في التراجم الاسم والشهرة، وما تيسرت معرفته من تاريخ ولادة المؤلف ووفاته، واختصاصه ومشاركاته العلمية الأخرى، وكل ما يتعلق بحياته من نشأة ورحلة واستقرار وطلب وعمل. وفي الحديث عن مؤلفاته يكتفي بذكر خمسة للمكثرين، مراعيا أن تمثل أنواع ثقافتهم إن كانوا من ذوي الثقافة المتنوعة. وذيَّل كل ترجمة بقائمة من المصادر والمراجع.

ونبَّه المؤلف إلى الرموز المستعملة في معجمه، فقال إنه أشار إلى المخطوطة بالحرف: (خ) والمطبوعة بـ (ط) والمجلات بـ(م) والجرائد بـ (ج) والسنة أو المجلد بـ (س) والعدد أو الجزء بـ (ع).

يقع الكتاب في خمسة عشر مجلدا، خُصص الجزءان الرابع عشر والخامس عشر لأسماء شهرة المؤلفين، ألقابا كانت أو كنى أو أنسابا، متبوعة بذكر الاسم والجزء والصفحة التي وردت فيها ترجمته.

ـ فهارس المؤلفين في المكتبات العامة:

وبالرغم من أن كثيرا من المكتبات غير شاملة للمصادر والمراجع التي يتطلبها البحث، فإن الرجوع إلى فهارسها مهم جدا، لأنها لا تعطينا اسم المؤلف فحسب، وإنما تعطينا الفرصة للوقوف المباشر على مؤلفاته التي تحفظها. وربما أطّلعنا من خلال تلك المؤلفات على إشارات ببليوغرافية مفيدة، إذ إن تقليب هذه الفهارس ومداومة التجوال في المكتبات المسعفة قد يضع أصابع الباحث على مصادر ومراجع إضافية ما كان يضعها في حسابه.

الأدلة الوطنية للمؤلفين:

اهتمت بعض البلدان العربية بجمع أدلة لمؤلفيها، في أسفار سمتها بمعاجم المؤلفين حيناً، وبأدلة المؤلفين، أو الكُتاب، أو ما إلى ذلك من الأسماء. ومنها:

- دليل المؤلفين العرب الليبيين، وهو من منشورات أمانة الإعلام والثقافة بالجماهيرية. (طرابلس 1977) وكان محاولة لحصر المؤلفين القدامى والمعاصرين الذين ينتمون للقطر العربي الليبي منذ الفتح الإسلامي لهذا البلد حتى سنة 1976. والكتاب مع التقدير الكبير للجهود التي بذلت فيه، أغفل عدداً من الكتّاب، وجمهرة من مؤلفات من ذُكر منهم، ولكنه خطوة قيمة يمكن تدارك نقصها في خطوات لاحقة.
- دليل الكتاب المغاربة أعضاء اتحاد المغرب، إعداد حسن الوزاني ط: 1993، وهو فهرس يشتمل على أسماء الكتاب المغاربة، ونبذة عن حياتهم، ومؤلفاتهم
- تراجم المؤلفين التونسيين.

- معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، لعبد القادر عيّاش، دار الفكر، دمشق: 1974

د ـ فهارس المخطوطات:

عملت البلدان العربية على فهرسة المخطوطات في أهم مراكزها بجهود فردية غالبا، وقد تتعدد هذه المراكز فيصنع لكل منها فهرسا كما هو الحال في مراكز المخطوطات بالمغرب وفيها فهارس لكل من: الخزانة العامة، والخزانة الملكية بالرباط، والخزانة الصبيحية بسلا، وخزانة القرويين، وخزانة مراكش، وخزانة تطوان، ودار الكتب الناصرية بتامكروت، وخزانة علال الفاسي وغيرها.

وقد تُجمّع المخطوطات من خزائن شتى وتكون لها فهارس عامة مع وجود بعض الفهارس الخاصة، مثل فهرس المكتبة الوطنية بتونس، برغم وجود فهارس خاصة ضمن محتويات المكتبة كفهرس الأحمدية وفهرس مكتبة حسن حسني عبد الوهاب، والأمر كذلك لدى المكتبة السليمانية في استانبول. وقد ساعدت منظمة اليونيسكو على فهرسة معهد المخطوطات، بموريتانيا، الذي قرأته مرقونا على الآلة الكاتبة منذ الثمانينات، ولا أدري إلى أين وصل العمل فيه.

أما في الجزائر فقد دخلت المخطوطات إلى حيز الفهرسة منذ أمد على يد المستشرق فانيان الذي فهرس مخطوطات مدينة الجزائر، ثم تلاه كل من الأستاذ محمد شنب والمستشرق كور اللذان فهرساً كبريات المكتبات الجزائرية[1].

(1) انظر أهم مراكز المخطوطات العربية في العالم بمجلة الناشر العربي، عدد: 2 ص 80 وما بعدها.

وفي ليبيا نجد ثلاثة فهارس حتى الآن، هي فهرس مكتبة جامعة قاريونس للأستاذ فرج شمبش، وفهرس شعبة المخطوطات بمركز جهاد الليبيين للأستاذ إبراهيم الشريف، وفهرس مخطوطات غدامس للمرحوم الأستاذ قاسم يوشع، وهي لا تغطي الموجود من المخطوطات الليبية وغير مكتملة الطباعة حتى الآن.

وفي مصر ضُمت مكتبات كثيرة إلى دار الكتب المصرية لتجعلها أهم مركز للمخطوطات بهذه البلاد، وفي بعض المكتبات التي ضمت إليها فهارس خاصة مثل: فهرس التيمورية، وفهرس قاله وغيرهما. وفي مصر مكتبة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، وقد فُهرست مخطوطاته الأصيلة والمصورة، ويحتوي فهرس مكتبة الأزهرعلى ما يزيد عن 2400 مخطوط، وفي الإسكندرية ودمياط والمنصورة مكتبات مخطوطة لا نعلم عن حال الفهرسة فيها جديدا، ولكن أمر فهرستها على البطاقات يبدو أكيدا في ضوء اليقظة الشاملة بأهمية الفهرسة.

وفي فلسطين صنع مجمع اللغة العربية الأردنى فهرساً لمخطوطات مكتبة الحرم الإبراهيمي في الخليل، من إعداد محمود علي عطاء الله الذي فهرس مكتبة الأحمدية بجامع أحمد الجزار في عكا، وعمل السيد خضر إبراهيم سلامة على فهرسة مخطوطات القدس.

وفي صنعاء قام القاضي محمد الحجري بوضع فهرسة عام 1361 هـ لمكتبة الجامع الكبير أهم مكتبة في البلاد، ولكنها لم تكن شاملة، فتولى لفيف من الأساتذة فهرسة جديدة مذيلة بأسماء المؤلفين والكتب على نسق الفهارس الحديثة، فجاءت في أربعة مجلدات من القاطع الكبير، ونشرت بإشراف وزارة الأوقاف. وفي السعودية توجد فهارس لمكتبات عارف

حكمت بالمدينة المنورة، ومركز إحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة، ومكتبات الجامعات في الرياض وجدة[1].

وفى قطر كانت حصيلة المخطوطات والمصورات قبل عام 1960 حوالي 2000 مخطوط، وعلمت أنه قد زاد الاهتمام بإثرائها بالمصورات وفهرستها بعد ذلك. وقد شارك الأفراد جهود الدولة في الإمارات العربية والكويت، بحيث يتعذر الحسم بعدد المخطوطات وفهارسها من خلال معلوماتنا القديمة، وتكفي الإشارة إلى أن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث وحده قد صور من المغرب سنة 1996 عشرة آلاف مخطوطة، ولهذا المركز فريق ممتاز في عمليات الفهرسة والتصنيف لا يكتفي بفهرسة ما عنده، وإنما يقدم خدمات الفهرسة للآخرين، كما فعل مع مخطوطات بعض الدول المستقلة عن الاتحاد السوفييتي السابق، ومن حسنات هذا المركز أنه يضع إمكاناته في خدمة الباحثين في التراث.

وشأن الفهرسة لمكتبات العراق لا يقل أهمية عما تقدم، ويكفي أن نعلم أن لمكتبة أوقاف بغداد ثلاثة فهارس لثلاثة أعلام هم عوّاد والجبوري وطلس، وأن مجلة المورد العراقية تكفلت بفهرسة الكثير من المخطوطات العراقية وغيرها.

وفي سورية حظيت مكتبة الظاهرية بالفهرسة قبل أن تنقل إلى مكتبة الأسد التي نال فيها المخطوط اهتماماً متزايداً بترميمه وحفظه، حتى صارت هذه المكتبة مكاناً للتدريب على هذه الأمور، وفي لبنان يوجد ما لا

(1) وردت الاشارة إلى المكتبات الخطية بالجزيرة العربية في دوريات عديدة بعضها قديم مثل مجلة الجمعية الألمانية للدراسات الاسلامية عدد: 90 / 1936. ولكن المخطوطات التي جدت بالشراء أو التصوير أكثر من تلك القديمة.

يقل عن خمسة مكتبات تحتوى على حوالي 11000 مخطوط[1] لم أتبين المرحلة التي بلغتها فهرستها، وليس لدينا معلومات أكيدة عن فهرس المخطوطات في السودان وعمان والأردن والصومال، مع التأكيد على وجود مخطوطات في هذه البلدان.

أما في البلدان الإسلامية غير العربية فحظ الفهرسة مختلف بين بلاد وأخرى، ففي تركيا التي يقدر عدد المخطوطات فيها بأكثر من 200000 مخطوط توجد بعض الفهارس ولكنها لا تغطي هذا الكم الهائل الذي تصل المخطوطات العربية فيه إلى 70 في المائة[2]، وفي إيران تبلغ المخطوطات العربية ثلثي محتويات مكتباتها، وقد عملت الدولة على تسخير الإمكانات لفهرسة عدد كبير منها، فجاءت فهارسها في مجلدات ضخمة.

وتتركز المخطوطات الباكستانية في مكتبات دار العلوم الإسلامية في بشاور، ويوتش في بهاولبور، وجامعة البنجاب، ومكتب التسجيل في لاهور، ولاعلم لي بفهارس مطبوعة. أما في أفغانستان فتوجد ثلاث مكتبات عامة هي: مكتبة المتحف، ومكتبة رئاسة المطبوعات، ومكتبة وزارة المعارف، ومكتبة هرات ومكتبة كلية الآداب، ولا علم لنا بما حلَّ بها في أثناء الحروب المتتالية، وإن كنت علمت بتسرب بعضها خارج تلك البلاد في فترة الحكم الشيوعي.

وينبغي التنبيه إلى أن المكتبات الخطية في مثل هذه البلدان تنتظر الكثير من منظمات التربية والعلوم والثقافة الإسلامية والعربية والدولية لحفظها، وفهرستها.

(1) انظر مجلة الناشر العربي، مصدر سابق ص: 84

(2) انظر مجلة الناشر (مصدر سابق) ص 85

والفهرسة في أندونيسيا أحسن حالا من سابقاتها، والمخطوطات فيها تتركز في مكتبة جمعية الآداب في باتافيا بجاكرتا، ومكتبة مجلس البحوث الطبية والشرعية.

أما في البلدان غير العربية في أفريقيا فأكثر المخطوطات في نيجيريا، ومالي، والسنغال، والنيجر، وتشاد، ففي نيجيريا عملت عائدة عارف وأحمد أبو حكيمة على فهرسة جزء مهم من مخطوطاتها المتركزة في كادونا، ومكتبة متحف جوس ومكتبة لوجارو وغيرها. وأهم مخطوطات مالي محفوظة في مركز أحمد بابا، وقد رأيت فيه فهرسا على البطاقات، وآخر مرقونا، ثم طبعت دار الفرقان في لندن خمسة أجزاء من فهرس هذه المكتبة بعناية سيدى عمر بن على، وكان ذلك على التوالي بحيث صدر الجزء الأول منها سنة 1995، مشتملاً على القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والنحو واللغة، والتوحيد والعقائد والكلام، والتصوف، وسيرة الرسول ﷺ، ومديحه، والأدب والبيان، والمنطق، والفلسفة، والفلك، والطب، والحساب، والتاريخ، وغيرها[1]، ثم توالت بقية الأجزاء.

أما في النيجر فقد أطلعني الأستاذان جبريل أبو بكر ومولاي الحسن على فهرس مرقون بالآلة الكاتبة، يحتوي على قدر كبير من المخطوطات المحفوظة في المعهد المختص بالتراث التابع لوزارة الثقافة، وهم ينتظرون وعداً من إحدى المنظمات الثقافية بإتمام الفهرسة. ويغلب على المخطوطات في السنغال طابع الأهلية مع وجود بعض المكتبات العامة المهتمة بهذا النوع من المصادر.

---

(1) لقد حرصت على إثبات هذه التفاصيل عن مخطوطات هذا المركز للتنبيه لتنوعها وأهميتها، ولبعدها عن الباحثين وفيهم من لايعتقد أنه لايوجد في مثل هذه البيئات شيئ ذو بال.

ومعظم المخطوطات في أوروبا ودول الاتحاد السوفييتي السابقة، وأمريكا مفهرسة منذ أمد بعيد، ففي إسبانيا توجد ثلاثة فهارس لمكتبة الأسكريال وحدها، كتبت على مراحل زمنية متباعدة، والمخطوطات في هذه البلاد تعرضت لنكبة حين استولى النصارى على غرناطة، و لكن الاهتمام بها عاد من جديد، ولهذا الحديث شجون ليس هذا مقام التوسع فيها، وتكفي الإشارة إلى وجود المخطوطات في كل من مكتبة مدريد الوطنية، وأكاديمية التاريخ، ومكتبة خونتا بمدريد، ومكتبة جامعة غرناطة، وكاتدرائية أويكا، ودور المحفوظات في مدن أخرى[1].

وفي المكتبة الأهلية وأكاديمية العلوم بلشبونة في البرتغال مخطوطات عربية مفهرسة، وكذلك الحال في مكتبة جامعة لوفن ببلجكا، ومكتبة الجامعة في ليدن بهولنده، وهناك فهرس للمخطوطات الشرقية في مكتبة أكاديمية لوجدوني بأتافيا بليدن أيضا، وهي مدينة مهتمة بالتراث الإسلامي بصفة عامة، ويكفي أنها البلد الذي يتولى نشر دائرة المعارف الإسلامية.

والمخطوطات في فرنسا مفهرسة، ومنها المكتبة الوطنية بباريس، ومكتبة الجمعية الأسيوية، ومكتبة جامعة ستراسبورج، والمدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية، ومكتبة البلدية بمرسيليا، بل إن د. هادي حسن حمود نشر بالعربية فهرس المخطوطات العربية في مكتبة باريس الوطنية[2].

---

(1) انظر تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج1ص: 11و18 وقد علمت من مدير هذه المكتبة عندما أقام معرضا في الجماهيرية في بداية الثمانيات أنهم مزمعون على نشر فهارس للمجاميع والنتف التى لم تكن مفهرسة بمجلة : القنطرة:

(2) نشرته دار الأفاق الجديدة ببيروت سنة 1986

وفي إيطاليا فهرس السمعاني المخطوطات العربية بمكتبة الفاتيكان، وتوجد فهارس متفاوتة العناية لكل من مكتبات الأمبروزيانية بميلانو، والوطنية ببلرمو، وأكادمية العلوم والوطنية في تورينو، ومعهد أوبانو للاعلام، ومؤسسة كايتانى، والمكتبة الإنجيلية في روما، ومكتبة أورنسيانا، والوطنية في فلورنسا، ومكتبات مودينا ونابولي وغيرها.

وتوجد المخطوطات العربية في سويسرا بمكتبة جنيف، والمكتبة المركزية في زيورخ، أما في بريطانيا فوجد مخطوطات كثيرة، وتمثل المجموعة العربية القسم الثاني من فهرس المخطوطات الشرقية بالمتحف البريطاني، وأشار بروكلمان إلى فهرس مكتبة جامعة أدنبره. وفي إيرلنده توجد المخطوطات العربية في مكتبة بيتي بدبلن، وقد فهرسها آرثر آربري. وفي مجلة المورد بعض نفائس هذه المكتبة[1].

والمكتبات العربية في ألمانيا كثيرة، منها ثلاثة عشر ألفاً في مكتبة برلين وحدها، وسبعة آلاف مخطوط في مكتبة توبنجن، وجاء في إحصائية أُجريت عام 1959 أن المخطوطات الشرقية غير المفهرسة في ألمانيا تبلغ 14 ألف مخطوط، وذلك برغم الجهود الكبير التي أنفقها المستشرقون الألمان في الفهرسة. ونذكر منها على الخصوص فهرس مخطوطات المكتبة الملكية في برلين لوليم آهلفارت[2] المتوفى سنة 1909، الذي يشتمل على عشرة مجلدات تعرِّف بالثلاثة عشر ألف مخطوط التي تضمها تلك

(1) المورد العدد الثاني 1973 راجع الفهرس

(2) هو المستشرق المعروف بآلورد الذي حقق دواوين الشعراء الستة الجاهليين، وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة وطرفة وعلقمة وعنترة، وكان المستشرق الثاني بعد نولدكة في توجيهه الأنظار إلى الانتحال في الشعر الجاهلي. (انظر تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف: العصر الجاهلي ص: 166)

المكتبة. وهو في تعريفه يبين قيمة المخطوطات، ويتحدث عن مضمونها ويدون فقرات منها، وخصص الجزء العاشر لفهارس المؤلفين والموضوعات نظراً للصفة الموسوعية التي يتميز بها عن سائر الفهارس المكتبية[1]، على أن المخطوطات العربية قد أخذت طريقها إلى مكتبات الجامعات ومكتبات الدولة الأخرى[2].

وفي النمسا فهرسان مستقلان للمكتبة الملكية والمكتبة الأهلية، وفي مكتبة مدينة برسلو ببولنده مخطوطات عربية مفهرسة، كما أن مجلة المخطوطات العربية في عددها الخامس 1959 قد دونت قائمة للمخطوطات العربية في بولنده، لكوبياك[3].

أما في الدانمارك والسويد وفنلنده فتوجد مجموعات من المخطوطات المفهرسة منها مخطوطات عربية في كل من: هافينا الملكية، وجامعة كو بنهاجن والمكتبة الملكية في استوكهولم ضمن فهارس المخطوطات الشرقية، وفي لوند وأبسالا، وهلسنكي[4].

وفي أوروبا الشرقية بعامة أعداد كبير من المخطوطات في مكتبات وطنية وأهلية وجامعية، نذكر من أشهر فهارسها: فهرس المخطوطات العربية في مكتبة غازي خسرو بالبوسنة، فهرس المخطوطات العربية في صوفيا إعداد وزارة الثقافة السورية، وآخر في مجلة الشرق الأدنى[5]،

(1) حول المخطوطات الألمانية وفهارسها انظر مجلة الناشر العربي العدد الثاني عام 1984 ص88 وكتاب (مع المكتبة العربية) للدكتور عبد الرحمن عطبة ط3 ص84 ومجلة معهد المخطوطات العربية 2/ 225 وتاريخ التراث العربي: فهرس المكتبات والفهارس.

(2) انظر مجلة الناشر: بحث أهم مراكز المخطوطات العربية في العالم ص: 88 ومصادره.

(3)* انظر مجلة الناشر (مصدر سابق) ص88

(4) انظر مجلة الناشر (مصدر سابق)

(5) العدد 23 ـ 1913 ص: 16 إلى 76

وفهرس المخطوطات بمكتبة طشقند التي تبلغ محتوياتها 80 ألف مجلد، وفهرس مكتبات لينينغراد التي تبلغ محتوياتها 7000 مخطوط باللغة العربية. إلى جانب فهارس المخطوطات في كل من جامعة قازان، ومكتبة موسكو التي كانت تدعى مكتبة لينين[1]، ومخطوطات المعهد الشرقي الأوزبكي والمتحف الآسيوي.

والمخطوطات في الولايات المتحدة مفهرسة، وأهم مجموعاتها محفوظة بمكتبة الكونجرس التي تحتوي على 1549 مخطوط عربي، ومكتبة ميتشجن وبها 1200 مخطوط عربي، والعدد نفسه في معهد اللاهوت بهارفارد، ومكتبة جامعة برنستون التي تشتمل على 8000 مخطوط، ومن فهارس المخطوطات العربية في الولايات المتحدة ما قام به كوركيس عواد في مجلة سومر، حيث فهرس لمجموعة من المكتبات الأمريكية[2].

وفي الهند توجد آلاف المخطوطات العربية منها محتويات مكتبة خدانش في ولاية بيهار، والمكتبة المركزية في كلكتا، ومكتبة آصفيه في حيدر آباد، ومكتبة دار العلوم لندوة العلماء بمدينة لكنهو وغيرها، ولكننا لا نعرف الكثير عن فهارسها غير ما ورد في تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، وفهارس الفهارس التي سنعرض لها في الفقرة الآتية[3].

---

(1) انظر مجلة المورد العراقية العدد الثاني سنة 1973

(2) حول فهارس المخطوطات بالمكتبات الأمريكية راجع تاريخ التراث العربي: الفهارس بالمجلد 1، وكتاب (المستشرقون) للعقيقي 3/ ص: 986

(3) انظر مجلة الناشر مصدر سابق ص: 89

فهارس الفهارس:

وبرغم أهمية الاتصال بفهارس المخطوطات المختلفة للتأكد من وجود أو عدم وجود مخطوط معين فإن هناك مفاتيح عامة للمخطوطات لا غنى للباحث عن مراجعتهما في الكشف عن المخطوطات في مختلف المكتبات العالمية، فقد عني بعض العلماء بتتبع حقول المعرفة العربية الإسلامية، ورصدوا ما أمكنهم رصده من مصادرها، وأحالوا القراء إلى أماكن وجود المخطوط ونسخه التي عثروا عليها في أماكن مختلفة، وذلك عمل كبير يوفر على الباحث جهوداً وأوقاتاً وأموالاً كثيرة، وهذه المفاتيح هي: تاريخ الأدب العربي للألماني كارل بروكلمان، وتاريخ التراث العربي للتركي فؤاد سزكين، وسلسلة نفائس المخطوطات في المكتبات العالمية، و الفهرس الشامل للتراث الإسلامي الذي أصدره مركز آل البيت في الأردن.

أ ـ تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان

يُعنى هذا الكتاب بالتعريف بالتراث الإسلامي المخطوط في بقاع شتى من العالم، ولا تقتصر أهميته في أنه يجمع أسماء المخطوطات ومؤلفيها كما فعل حاجي خليفة، وعبد اللطيف زاده، فهو يعيِّن مكان وجود المخطوط، ورقمه في فهرسة المكتبة التي وجد فيها إذا كانت لها فهرسة مطبوعة.

منهجه:

قسم بروكلمان كتابه إلى ثلاثة عصور، يحتوي الأول منها على التراث العربي منذ أوائل نصوصه الموجودة إلى آخر الدولة الأموية، ويحتوي القسم الثاني على التراث الإسلامي في عصر الدولة العباسية حتى

سقوطها النهائي سنة 656هـ، أما الثالث فهو العصر الحديث، وقد خصه المؤلف بمجلد سنة 1942 يتناول الحياة الثقافية في العصر الحديث، وهو ما يعني أن إطلاقه لاسم الأدب على كتابه كان من منطلق المفهوم العام للأدب الذي يشمل جميع أنواع التراث في جوانبه الإنسانية.

رمز بروكلمان إلى فهارس المخطوطات التي استعان بها في جمع مادته، ووضع هذه الرموز في مداخل كتابه موضحة بمدلولاتها، فمختصر (أسكريال ثالث) مثلاً يعني مخطوطات الأسكريال التي فهرسها رينو طبق مذكرات دير نبرج، باريس 1939، 1941، وهكذا فعل مع الفهارس المتعددة للمكتبة الواحدة.

يتناول الكاتب كل علم من العلوم الإسلامية في نبذة مختصرة، مترجماً لأعلامه بإيجاز، ومركزاً على أمرين هما:

أ ــ المصادر والمراجع التي عرّفت بالمؤلف.

آثاره العلمية، وذلك هو موضع الأهمية في بحثه، فهو يذكر ما ألفه وما نسب إليه، معرفاً بموضعه في فهرسة المخطوطات التي اعتمد عليها، أو مكان نشره إذا كان مطبوعاً، ثم يذكر ما أُلف حوله من شروح وحواش ومختصرات وذيول وترجمات.

تُرجم الكتاب إلى العربية بمساعدة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وتوالى على ترجمته ثلة من الأساتذة، كان أولهم د. عبد العليم النجار الذي ترجم من الكتاب الأجزاء الثلاثة الأولى ما بين عام 1960 و1962، وأضاف إليه معلومات أمده بها المؤلف عند استئذانه في ترجمته، مع بعض الملاحظات الخاصة التي أضافها إلى جهد المؤلف، ورمز لها بنجمة مميزة. وتشتمل الأجزاء

الثلاثة الأولى على: أدب اللغة العربية من أوليته إلى سقوط الأمويين، والأدب العربي الإسلامي، والتراث الإسلامي في العصر العباسي.

وقام الدكتوران السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب بنقل الجزء الرابع والخامس والسادس إلى العربية، ثم تولى د. محمود فهمي حجازي الإشراف والمشاركة في ترجمة الأجزاء من سبعة إلى أربعة عشر بالتعاون مع د. عمر صابر عبد الجليل.

وفي الكتاب تغطية متوالية لأدب الأمة العربية من أوليته إلى ظهور الإسلام، والأدب العربي الإسلامي بما في ذلك الشعر، والنثر الفني، وعلم اللغة، والتاريخ، وأدب السمر والثقافة، وعلم الحديث، والفقه، والقراءات، والتفسير، والعقائد، والتصوف، والترجمة، والفلسفة، والرياضيات، والفلك والتنجيم، والجغرافيا، والطب، والعلوم الطبيعية والخفية، والموسوعات، وذلك في الأجزاء الأربعة الأولى.

ثم يبدأ القسم الثاني من الأدب العربي الإسلامي بالشعر والنثر والبلاغة وعلم اللغة والتاريخ وأدب السمر في النثر وعلم الحديث والفقه. . . الخ

ويغطي الكتاب نتاج الفكر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام، ثم الفكر الإسلامي في مختلف بيئاته منذ عصور الازدهار إلى العصر الحديث، مروراً بعصر الازدهار المتأخر الذي ينتهي بسقوط بغداد، ثم سيادة المغول والعصر العثماني إلى عام 1517، ومن هذا التاريخ إلى أواسط القرن التاسع عشر، وأخيراً الحركة الفكرية في العصر الحديث حتى تاريخ الانتهاء من هذا الجزء سنة 1942.

وقد صدرت عن معهد التراث العلمي العربي بحلب فهرسة للجزأين الثاني والثالث من كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، من إعداد الأستاذة درية الخطيب، وذلك سنتي 1984و1985 و أهملت فهرسة الجزء الأول اعتماداً الفهرسة التي وضعها مترجم ذلك الجزء.

ب ـ تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين:

يعد عمل فؤاد سزكين تكميلاً لعمل بروكلمان، ولكنه يتميز عن سابقه بتوسعه في المعلومات عن المخطوطة، وأوصافها ومحتوياتها، بما يدل على صلته بالمخطوطات، وعدم اقتصاره على فهارسها.

وقد صدر من الكتاب سبعة أجزاء، تتناول في المجلد الأول: القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والعقائد والفقه والتصوف، كما تتناول الأدب في المجلد الثاني، والطب والصيدلة وعلم الحيوان والبيطرة في المجلد الثالث، وعلم الطبيعة والكيمياء والنبات في الرابع، أما المجلدات الخامس والسادس والسابع ففيها الرياضيات، والفلك، والنجوم، وفي الثامن والتاسع اللغة والنحو والبلاغة والعروض، وما يزال العمل متواصلاً في تأليف هذا الكتاب المهم الذي وعد صاحبه بإخراجه في عشرين مجلداً.

ترجم د. فهمي أبو الفضل الجزء الأول وشاركه في ترجمة الثاني د. محمود فهمي حجازي، ثم صدرت أجزاء أخرى في ترجمة ثانية بجامعة محمد بن سعود في الرياض، تولاها محمود فهمي حجازي، وراجعها عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم. والكتاب موسوعة تراثية مهمة لا يستغني عنها المشتغلون بالتراث، فهي تعرف بأماكن المخطوطات، وتوفر عنها معلومات قيمة لا توجد في غيرها.

جـ ـ سلسلة نفائس المخطوطات في المكتبات الخطية بالعالم.

د ـ الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، إصدار المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن. (مؤسسة آل البيت)

جمع الفريق المكلف بهذا العمل برئاسة د. ناصر الدين الأسد ثمانمائة وخمسين فهرساً بلغات مختلفة، عملوا على ترجمتها وترتيبها، وقد بدؤوا بنشر المخطوطات المتصلة بعلوم القرآن، فجاءت مخطوطات التجويد في ثلاثة مجلدات، ورسم المصاحف في جزء، ومخطوطات التفسير في اثني عشر مجلداً، بالإضافة إلى مخطوطات القراءات، كل ذلك ما بين عامي 1984 و1987. ثم شهدت السنوات التالية قفزات أخرى في هذا المشروع القيم.

ـ ونظراً لحاجة الباحثين إلى معرفة المطبوع والمحقق من المخطوطات نشير إلى أن مجلة المخطوطات بمعهد المخطوطات التابع للجامعة العربية، إبان وجوده في مصر أو في الكويت، قد دأبت على نشر معلومات عن الكتب التي تحقق تباعاً، في مجلته المخصصة أو في نشرة التراث، وفي قوائم دور النشر زوايا للكتب المحققة، وفي تراجم كتاب الأعلام للزركلي إشارات بالحرف (ط) إلى المخطوطات المطبوعة.

على أن من المصادر المهمة في ذلك هو: معجم المخطوطات المطبوعة للدكتور صلاح المنجد، الذي حاول في المجلدات الخمسة التي أصدرها تغطية المدة الواقعة ما بين مطلع سنتي 1954 و 1980، وفي الكتاب تخيُّر للمخطوطات المحققة، وحرص على إثبات معلومات النشر، وفيه ملحق بأسماء الكتب والناشرين.

ـ فهرس فهارس المخطوطات العربية في العالم، لهويسمان

أعده المستشرق المذكور وطبع في مطبعة بريل بهولنده سنة 1967، وهو يشتمل على ما تمكن المؤلف من جمعه من الفهرس حتى التاريخ المحدد.

ـ فهارس المخطوطات العربية في العالم، الذي أعده في جزأين كوركيس عواد ونشر في معهد المخطوطات العربية بالكويت سنة 1984.

ـ دليل الفهارس المخطوطة نشر في أربعة مجلدات ضمن مشروع الفهرس الشامل للتراث العربي الذي يشرف على إنجازه المجمع الملكي الأردني لبحوث الحضارة الإسلامية، وقد كتبت أصولها بلغات مختلفة، منها المطبوع والمرقون والمخطوط، وتبلغ أكثر من ثمانمائة فهرس.

ـ وفي مداخل كتاب بروكلمان «تاريخ الأدب العربي» وكتاب فؤاد سزكين «تاريخ التراث العربي» قائمة بهذه الفهارس.

ـ سلسلة المخطوطات النادرة

وهي سلسلة شاملة للمخطوطات النادرة في أنحاء مختلفة من دول العالم مثل اسبانيا وألمانيا، وبريطانيا وإفغانستان، بأقلام جماعة من المستشرقين. وهي جديرة باطلاع كل من يحاول تحقيق أي مخطوط عربي.

ـ أما فهرس الفهارس والأثبات الذي وضعه الشيخ عبد الحي الكتاني فيشتمل على فهارس برامج الشيوخ وفهارس الكتب التي رواها صاحب الفهرسة أو البرنامج عن شيوخه، وهي مفيدة للغاية في هذا المجال. أما أهميتها في مجال المخطوطات فمحدودة بما لم ينشر من هذه الفهارس.

وبعد فإن الأمل معقود على أن تقدم الأيام القادمة قاعدة بيانات شاملة للمخطوطات الإسلامية المفهرسة على الأقل، لتنشر على شبكات الاتصالات الدولية (الإنترنت) أو تسجل على الأقراص المغناطيسية، لتصبح هدية قيمة في أيدي الباحثين، خدمة للتراث الإسلامي، ودليلاً على استفادته من التقنية المعاصرة.

د ــ فهارس البلدان:

تهدف هذه الفهارس إلى التعريف بالبلدان وضبطها وتحديد مواقعها، وما ذكر حولها من أخبار وأدب. والتأليف في هذا الميدان ليس حديثا، فمن أمثلة كتبه المعروفة في التراث الإسلامي معجم ما استعجم من أسماء البلدان للبكري، ومعجم البلدان للحموي، والروض المعطار للحميري، وكتاب المسالك والممالك للبكري ومثله للعمري، وابن خردابة، وكتب الجغرافيا لابن سعيد وابن حوقل وابن ليون.

فإذا عبرنا إلى العصر الحديث وجدنا حشداً من كتب الجغرافيا، والأطالس، ومعاجم البلدان، والموسوعات التي تعرفنا بالدول في أنحاء العالم، ولكن المؤلفات القديمة لا تفقد قيمتها بالرغم من التطور العلمي الكبير الذي أضاف الكثير إلى المعرفة الإنسانية، والسبب أن المصادر الحديثة غالباً ما تعرِّف بالمسميات الموجودة بالفعل سواء أكانت حديثة التسمية أو منحدرة من ماض بعيد، ثم إنها تعرفنا بالواقع الحاضر للمسمى فإذا رامت التعريف بتاريخه عادت إلى المصادر القديمة، ومن هنا تصبح مصادر ثانوية في هذا المقام، وتصبح العودة إلى المصادر القديمة عودة إلى الأصل، وفي النبذة الآتية تعريف بأهم بالمعاجم القديمة للبلدان:

1 ـ معجم ما استعجم من أسماء البلدان، لعبد الله بن عبد العزيز البكري المتوفى سنة 487 / 1158.

وهو من أقدم كتب البلدان المشهورة في التراث العربي التي تتخذ شكل المعجم، هدف مؤلفه إلى ضبط أسماء أماكن لما لاحظ في ضبطها وكتابتها من تحريف وتصحيف، وهو ما سيكون دافع ياقوت الحموي في تأليف معجم البلدان، وبين تاريخ وفاتيهما مائة وتسعة وثلاثون عاماً، وكلاهما يضبط أسماء المواضع بالحروف غالباً إمعاناً في الدقة، ففي ضبط (أجدابيه) مثلاً نجد المؤلف يقول: (بالفتح، ثم السكون، ودال مهملة، وبعد الألف باء موحدة، وياء خفيفة، وهاء.) ولكن البكري أحرص على الضبط، لأن كتابه أدخل في الأدب واللغة من كتاب ياقوت، وإن كان طابع التأليف فيهما متقارب، ففي كليهما شواهد شعرية كثيرة تورد أسماء المواضع أو اشتقاقها اللفظي.

طبع الكتاب مرتين على الأقل، أولاهما في ألمانيا بعناية فردنند وستنفيلد الذي أبقى ترتيب الكتاب على النسق الترتيب المغربي للحروف، وهو يختلف عن النسق المشرقي بعد حرف الزاي لتصير على النحو الآتي: (ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي) أما الطبعة الثانية التي حققها د. مصطفى السقا فهي على الترتيب المشرقي، الذي يصير بعد الزاي على النحو الآتي (س ش ص ض ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ي). وفي الطبعتين فهارس وافية للأماكن والأعلام وغيرهما، مرتبة فيهما على الترتيب الهجائي المشرقي الذي صار شائعاً لدى جميع الناطقين بالعربية.

د ـ معجم البلدان، لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي المتوفى سنة 626 / 1229.

جاء هذا المعجم شاملاً لكثير من المعالم البيئية وليس مقتصراً على البلدان كما يفهم من عنوانه، يقول ياقوت في مقدمته «فهذا كتاب في أسماء البلدان، والجبال، والأودية، والقيعان، والقرى، والمحال، والأوطان، والبحار، والأنهار، والغدران، والأصنام والأبداد، والأوثان» أما سبب تأليفه فهو أمران، أولهما دافع ديني، فقد وجد في آيات الله دعوة إلى السير في الأرض والتأمل في آثار الأمم السابقة، وقد تحقق له منه الكثير نتيجة أسفاره وتجواله، وأحب أن يشترك معه الناس في هذا الفضل، فيطّلع قارئ كتابه على خبر هذه الآثار مادام قد فاته النظر إلى أعيانها، وفي ذلك يقول: «وقد تتعذر أسباب النظر، فيتعين التماس الخبر، فوجب لذلك علينا إعلام المسلمين بما علمناه»(1).

أما الدافع الثاني فما يلمسه بين الخاصة والعامة من أخطاء في ضبط أسماء الأماكن لأن الاعتماد فيها على الرواية والنقل، لا على القياس والفهم، وفي ذلك يقول «فإني رأيت جُلّ نقلة الأخبار، وأعيان رواة الأشعار والآثار. . . يمر بهم ذكر بقعة كانت بها وقعة واقعة، فيختلط لاحتياجه إلى النقل لا العقل. . . ثم قلما رأيت الكتب المتقنة الخط. . . إلا وأسماء البقاع فيها مهملة أو محرّفة»(2) وأول بواعث جمع هذا المعجم يعود إلى تحد يتصل بهذا الأمر الثاني،

---

(1) معجم البلدان: 1/ ص 8

(2) المصدر نفسه ص8

فقد اختلف مع رجل في مجلس علم عن «حباشة» وهو اسم موضع جاء في حديث رسول الله ﷺ رأى أنه بضم الحاء، ورأى الرجل أنه بضمها، ثم تبين له صحة ما ذهب إليه بعد فوات الموقف لعدم وجود المصادر، فنذر نفسه لإنجاز هذا العمل[1].

منهجه:

ذكر المؤلف في مقدمته مصادره وأبان عن محاسنها وعيوبها، وقال: «وجمعت ما شتتوه، وأضفت إليه ما أهملوه، ورتبته على حروف المعجم، . . . وأبنت عن كل حرف من الاسم: هل هو ساكن أو مفتوح أو مضموم أو مكسور، وأزلت عنه عوارض الشبه. . . ثم أذكر اشتقاقه إن كان عربيا، ومعناه إن أحطت به علماً أوكان أعجمياً»[2] ثم يتابع الحديث عن منهجه فيذكر أنه يحدد موقع الْمَعْلم وتاريخه وما يجاوره من مشهور البلدان، والمسافة بينهما، وخصائصه، ومن دفن فيه من الصحابة ومن بعدهم من الصالحين، وما قيل فيه من الأشعار. ثم يعقب على ذلك بالقول إن ذلك لم يكن شرطاً مطاوعاً في سائر الكتاب وربما ذكر بعض هذه الشروط دون بعض[3].

ثم يقسم كتابه إلى خمسة أبواب، الأول منها في صورة الأرض، والثاني في معنى الإقليم ودلائل القبلة، والثالث في بعض مصطلحات الأماكن والمسافات، والرابع في حكم البلاد المفتتحة في الإسلام، والخامس في جمل من أخبار البلدان. يقسم الغرض إلى 28 كتاباً على عدد حروف المعجم، والكتاب إلى 28 باباً، ويلتزم ترتيب الكلمة على جميع

---

(1) المصدر نفسه ص: 10

(2) المصدر نفسه ص 12

(3) المصدر نفسه والصفحة.

حروفها. ولكنه لا يجرد الكلمة من الزوائد لأنها «أعلام لمسميات مفردة وأكثرها عجمية ومرتجلة»[1].

3 ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميري المتوفى على الأرجح سنة 727[2].

يهدف الكتاب إلى ذكر المواضع المشهورة عند الناس في عصره عربية كانت أو عجمية، مما تعلقت به قصة أو خبر طريف أو فائدة، ذكر ذلك في مقدمته، ورتبه على حروف المعجم ليسهل على قارئه الوصول إلى غرضه، مائلاً إلى الإيجاز ملماً بالتاريخ والنصوص الشعرية والنثرية، جمع بين الترتيب المغربي والمشرقي، فقد رتب المواد الأصلية على النسق المشرقي، واتّبع الترتيب المغربي داخل الحرف الواحد، وهو بعكس ياقوت لا يصرح غالباً بمصادره.

نشر الكتاب بتحقيق د. إحسان عباس سنة 1975 وترجم ليفي بروفنسال منه القسم المتعلق بالأندلس إلى الفرنسية ونشره قبل ذلك.

ـ ومن الكتب ما يتناول البلدان في قطر عربي واحد مثل معجم البلدان الليبية للشيخ الطاهر الزاوي، وهو كاتب معاصر جمع المدن والمعالم الليبية في مجلد واحد غني بالمعلومات المفيدة في هذا الشأن، وهو يستعين في كتابته بالمصادر التاريخية، والمعلومات الشخصية والنبذ التي كان يرسلها إليه أصدقاؤه وهو خارج الوطن.

2 ـ المعاجم

تطلق المعاجم فتنصرف إلى معاجم اللغة، ولكن بعض الكتاب

---

(1) المصدر نفسه ص15

(2) انظر تفصيل الخبر عن شخصيته ووفاته في مقدمة د. احسان عباس لتحقيق الكتاب ص: ز ـ م

توسعوا في استخدامها إلى مجالات أخرى مثل معجم البلدان، ومعجم الأدباء، ومعجم المؤلفين، وغيرها. أما هنا فنريد بالمعجمات أو المعاجم كل ما يعنى بفهرسة الكلمات ومعانيها من معاجم المفردات الخاصة، ومعاجم الألفاظ، والمعاني، مضافاً إليها معاجم الأمثال، لتكون الكلمة ومعناها مفردة أو مركبة هي المدار في هذا المسمى:

أ ـ معاجم المفردات الخاصة:

تنضوي تحت هذا العنوان كتب الغريب، والمعاجم المفهرسة، ومعاجم المصطلحات، وفي العرض الآتي سرد لأشهر هذه المعاجم وتعريف موجز بها:

ـ أ ـ 1 ـ كتب الغريب:

المراد بالغريب هنا ما يكون في القرآن والحديث من الكلمات الغامضة، والمفردات الغريبة، وقد بدأ الاهتمام بالتأليف في الغريب منذ وقت مبكر، وذلك لأن القبائل العربية التي دخلت الإسلام لم تكن تتكلم لهجة واحدة، فالمألوف عند هذه القبيلة قد يكون غريباً لدى غيرها، ومن ذلك ما جاء في لسان العرب من قول أبي هريرة (رض) «إنْ سمعتُ بالسّكين إلا في هذا الحديث، ما كنا نسميها إلا المدية»[1] وأبو هريرة أزدي لا يعرف لفظ السكين المعروفة في قريش.

ومن أوائل الكتب في هذا المجال: غريب القرآن لأبي عبيدة، ومؤرج السدوسي، وأبو محمد اليزيدي، ثم معجم مفردات القرآن للراغب الأصفهاني المتوفى في مطلع القرن السادس، وهو كتاب مطبوع ومرتب على حروف المعجم بحسب أوائل الحروف، ولعله بذلك يكون أول

(1) لسان العرب: مادة سكن.

معجم مرتب بهذه الطريقة، ويليه كتاب أساس البلاغة للزمخشري المتوفى سنة (538 هـ).

أما التأليف في غريب الحديث فقد كان أكثر شيوعا، ومن أشهر المؤلفات فيه وأقدمها: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (324) وأبي قتيبة الدينوري (276) وأبي سليمان الخطابي السبتي، (378هـ)، وبعدهم يأتي كتاب الفائق للزمخشري، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (606) والدر النثير الذي ألفه السيوطي (911) في تلخيص كتاب النهاية لابن الأثير. على أن التأليف في الغريب قد تجاوز القرآن والحديث إلى كلام العرب، ومنه كتاب الأصمعي (غريب الحديث والكلام الوحشي) وأبو زيد في غريب الأسماء ولعل التأليف في النوادر يستجيب لذات الأهداف التي وضعت من أجلها كتب الغريب[1].

أ ـ 2 ـ المعاجم المفهرسة:

المعاجم المفهرسة للقرآن الكريم:

التأليف في هذا الميدان حديث نسبياً إذا أردنا الترتيب المعروف في المعاجم المفهرسة المعاصرة، ولكن ذلك لا ينفي وجود محاولات سابقة على نحو آخر، فأول من استحدثه في العصر الحديث كان المستشرق الألماني فلوجل في كتابه «نجوم الفرقان في أطراف الفرقان» ثم تلاه وسار على منهجه محمد فؤاد عبد الباقي بكتابه المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ولعلمي زاده المقدسي معجم سماه فتح الرحمن لطالب آيات القرآن[2]، ولمحمد إسماعيل المطبوع سنة 1968 معجم الألفاظ والأعلام

(1) انظر مصادر اللغة د. عبد الحميد السلقاني ص: 560

(2) منشورات جمعية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس 1982

القرآنية، وهو في اهتمامه بالأعلام القرآنية مسبوق بعمل قديم للسهيلي[1]، وأشرف مجمع اللغة العربية بالقاهرة على معجم لألفاظ القرآن الكريم، كما ألحق الأستاذ محمد حمصي تفسيره الموجز بمعجم مفهرس لألفاظ القرآن الكريم. وللفقيه الحسين بن محمد الدامغاني معجم سماه (قاموس القرآن أو (إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)، حققه عبد العزيز سيد الأهل[2]، قال المؤلف في خطبته: «إني تأملت كتاب وجوه القرآن لمقاتل بن سليمان وغيره فوجدتهم أغفلوا أحرفاً من القرآن لها وجوه كثيرة، فعمدت إلى عمل كتاب مشتمل على ما صنفوه، وما تركوه منه، وجعلته مبوباً على حروف المعجم. وعمل الدكتور السائح علي حسين على ترتيب آيات القرآن بحسب موضوعاتها سماه سبيل الهدى[3].

تهدف المعاجم المفهرسة إلى مساعدة الباحث على الوصول إلى موضع الآية كريمة، حتى إذا كان لا يعرف منها غير كلمة واحدة أو بضع كلمات، ومن ثم كانت عونا مهمّا على صحة الاستشهاد وسلامة التخريج، وبخاصة لأولئك الذين لا يحفظون الكتاب الكريم. فليس على الباحث في المعجم المفهرس الحديث سوى تجريد الكلمة من الزوائد، ثم الكشف عنها في ترتيبها الهجائي بحسب أوائل الحروف، مبتدئا بالفعل الماضي فالمضارع فالأمر، مقدماً المعلوم على المجهول، ثم المصدر، فاسم الفاعل، واسم المفعول، وسائر المشتقات بحسب وجودها. وفي الموضع تجد طرفا من الآية ورقمها، واسم السورة ورقمها.

---

(1) طبع ضمن الموسوعة التراثية التي أصدرتها كلية الدعوة الإسلامية، وحققه الأستاذ عبد الله النقراط.

(2) نشرة دار العلم للملايين الطبعة الخامسة 1985

(3) من منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العلمية ـ طرابلس

ـ المعاجم المفهرسة للحديث النبوي الشريف:

الصعوبة في تخريج الأحاديث النبوية الشريفة أشد منها في الوصول إلى تخريج الآيات في كتاب الله، وذلك لكثرة مادة الحديث وتنوع مصادره، ومن بواكير الاهتمام بهذا العلم في العصر الحديث طباعة كتاب «مفتاح الصحيحين» للحافظ محمد الشريف التوقادي، فقد طبع في شركة الصحافة العثمانية سنة 1313 ـ 1895 معتمداً في تأليفه على إرشاد الساري للقسطلاني وفتح الباري لابن حجر وعمدة القاري للعيني، ومتن الصحيحين، والنووي على صحيح مسلم ومتنه، وأعيد تصوير هذه الطبعة في دار الكتب العلمية ببيروت.

ـ وألف المستشرق فنسنك معجمه مفتاح كنوز السنة الذي ترجمه محمد فؤاد عبد الباقي وطبعه في القاهرة سنة 1934. والكتاب على صغره يعتمد على أربعة عشر مصدرا هي: صحيح البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والنسائي والترمذي، وابن ماجة، ومسند أحمد بن حنبل والدارمي، والطيالسي، وزيد بن على، وموطأ مالك وطبقات ابن سعد، وسيرة ابن هشام ومغازي الواقدي. والكتاب مرتب على أساس الموضوعات ترتيبا هجائيا. وأشار في مقدمة كتابه للرموز المستخدمة فيه، وإلى مفتاح الكتاب في جداول تستغرق تسع صفحات مشتملة على اسم المصدر ورقمه وعدد الأبواب، معتمدا على طبعة ليدن وبولاق، والقاهرة، ودلهي وغيرها التي أنجزت طباعة مصدرا أو أكثر من هذه المصادر حينئذ.

ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه لفيف من المستشرقين بإشراف فنسنك أستاذ العربية بجامعة ليدن.

طبع هذا المعجم بمطبعة سنة 1936 بليدن في هولندا، عن الاتحاد

الأممي للمجامع العلمية، فجاء في سبعة مجلدات كبيرة، استغرقت الأحاديث الواردة في تسعة من كتب الحديث رُمز لها بالآتي: خ = البخاري، م = مسلم، د = أبو داود، ت = الترمذي، ن = النسائي، جه = ابن ماجه (باستثناء بعض الصفحات التي رُمز فيها لابن ماجه برمز: ق[1]) دي = الدارمي، ط = الموطأ، حم=أحمد ابن حنبل (باستثناء بعض الصفحات التي أُشير له فيها برمز: حل)[2] ورُمز لتكرار لفظ الحديث بنجمتين(**).

يبدأ الكشف في هذا المعجم باختيار كلمة (اسم أو فعل) من الحديث المراد تخريجه، وتجريدها من الزوائد، ثم البحث عنها حسب الترتيب التالي: أفعال ــ أسماء ــ مشتقات. وفي حالة وجود النص يكتب جزء منه، ثم تُذكر رموز المصادر، على النحو الآتي:

«(وأمر بالمعروف صدقة): م مسافرين 84، زكاة: 53، حم 5، 167(**) 168، 178».

ويقتضي فهم هذه المعلومات حل رموزها، فأما (م) و(حم) و (* *) فقد تقدم حل رموزها قبل قليل، وأما الكلمات والأرقام المصاحبة فتفسيرها يفهم إذا وضحت طريقة تصنيف الكتب التي اعتمد عليها العمل، وهي على النحو الآتي:

1 ــ ستة من هذه الكتب مرتبة في كتب وأبواب هي: صحيح البخاري وجميع السنن.

2 ــ صحيح مسلم مقسم إلى كتب وأحاديث مسلسلة.

---

(1) انظر المجلد 1 ص: 1 ــ 23

(2) انظر المجلد 1 ص: 3 ــ 23

3 ـ موطأ مالك مرتب في موضوعات تحتها أحاديث مسلسلة.

4 ـ مسند أحمد بن حنبل مرتب في أجزاء وصفحات[1].

مثال: (. . . يجمع بين المغرب والعشاء إذا جدّ به السير) خ تقصير 13، عمرة: 30، جهاد 126، م مسافرين، 83، 84، د سفر 5، ت جمعة، 43 ن مواقيت 45، 46 * * دي صلاة 183 حم 3/ 4، 9)

أ ـ 3 ـ معاجم المصطلحات أو الاصطلاحات:

المصطلح أو الاصطلاح: هو لفظ استُخدم استخداما خاصا في علم من العلوم، حتى صار معناه المحدد متعارفا عليه بين الدارسين لهذا العلم. ومعاجم الاصطلاحات هي المجاميع الشاملة لتلك المفردات التي صارت اصطلاحات محددة في علم أو أكثر. غير أن كلمة (اصطلاح) أولى من كلمة مصطلح، لأن الأخيرة تحتاج إلى أن تتعدى بحرف الجر المناسب لتفيد المعنى المراد.

وقد استخدم القدماء لفظ الاصطلاح كثيراً، ومنهم عبد الرزاق الكاشاني صاحب اصطلاحات الصوفية[2]، وابن عربي في اصطلاحات الصوفية[3] والتهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون، فضلا عما تناثر من ذلك في علوم مختلفة من قولهم: (في اللغة وفي الاصطلاح)[4]. ومع ذلك فإننا نستخدم لفظ المصطلح كثيرا في أيامنا هذه، لأنه صار شائعاً متداولاً في الكتب والدوريات بين الخاصة والعامة، فاكتسب بذلك قوة

(1) انظر مع المكتبة العربية ص: 64

(2) حققه محمد كمال جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1981

(3) ملحقة برسائل ابن عربي: ط: حيدر آباد الدكن 1961

(4) وللدكتور يحيى جبر بحث لطيف في الاصطلاح: مصادره ومشاكله وطرق توليده: مجلة اللسان العدد36 / 1992

اصطلاحية في حد ذاته، فضلا عن أن اللفظ مستخدم منذ القرن الثامن على الأقل، فقد جعله إبراهيم بن فرحون (799هـ) عنواناً لكتابه «كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب»[1].

واقترن لفظ مصطلح بالمؤلفات الموضوعة في علوم الحديث حتى لا يُعرف إن كانت من وضع المؤلفين أو الشرَّاح، ومن ذلك «شرح السخاوي على ألفية العراقي في مصطلح الحديث»، فإذا عدت إلى ترجمة عبد الرحمن بن حسين العراقي[2] (806هـ) وجدت ألفيته في علوم الحديث، ولا ذكر فيها للفظ المصطلح، ولكنك تجد اللفظ في كتاب «شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر» لابن حجر العسقلاني (852هـ) الذي يمكن أن نعده معاصراً للعراقي، وبعده ألفية السيوطي 911هـ في مصطلح الحديث، و«شرح الديباج المذهب في مصطلح الحديث» لمنلا حنفي، ثم جمال الدين القاسمي (1914) صاحب «قواعد التحديث في فنون الحديث» الذي يمكن أن نعده آخر العلماء القدامى الذين استخدموا هذا اللفظ.

أشهرها وسبب وضعها:

لما كان اتحاد المفهومات شرطاً من شروط الاستيعاب والتفاهم، ودقة التعبير ووضوحه، اشتدت الحاجة إلى وضع اصطلاحات متفق عليها بين أصحاب العلم الواحد. فإذا لم تكن تلك الاصطلاحات موضع اتفاق وجب على الكاتب التعريف بها في صدارة بحثه أو موضوعه، ولذلك شاع

(1) حققه: أ. حمزة أبوفارس ود. عبد السلام الشريف ونشر بدار الغرب الإسلامي سنة 1990

(2) راجع ترجمته في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ومراجعه.

عند القدماء التعريف اللغوي والاصطلاحي لرؤوس موضوعاتهم منعا لأي لبس في الفهم، وتفاديا لأي إشكال في التصور.

وأشهر كتب الاصطلاحات في الحضارة العربية الإسلامية: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، والتعريفات للجرجاني، ومفاتيح العلوم للخوارزمي، والكليات للكغوي، وجامع العلوم المعروف بدستور العلماء للأحمد نكيري الهندي.

ولكن الطفرة العلمية التي شهدها القرن العشرين كانت أكبر من كل تطور شهدته العصور السابقة، ومن ثم كان على مؤلفي معاجم الاصطلاحات أن يواكبوا حركة التأليف حتى يقدموا للدارسين ذلك الحشد الكبير من الاصطلاحات في مختلف العلوم، بل إن تلك المعاجم قد تعددت داخل العلم الواحد، ففي مجال الدراسات العربية الإسلامية نجد معاجم في البلاغة، ومعاجم في الأدب، وأخرى في الفقه والتصوف وغيرها من فروع هذه المعارف والعلوم، وفي العرض القادم نماذج من معاجم الاصطلاحات:

المعاجم القديمة:

ـ مفاتيح العلوم، لمحمد بن أحمد الخوارزمي المتوفى سنة 387

جمع فيه مؤلفه الاصطلاحات ورتبها على أبواب العلوم، وجعله في مقالتين: إحداهما لعلو الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية، والثانية في العلوم العقلية والطبيعية، ذاكرا أن كتابه جامع لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، متضمن ما بين طبقات العلماء من المواضعات والاصطلاحات التي خلت منها أو من جُلِّها الكتب الحاصرة لعلم اللغة[1]. ولا نعرف كتابا

(1) مفاتيح العلوم للخوارزمي تحقيق إبلاهيم الأبياري ص: 13

سبق الخوارزي إلى هذا النوع من التأليف غير ما ذكره المحقق من سبق علي بن عباس المتوفى عام 384هـ في تأليفه لما يشبه دائرة معارف طبية[1].

منهجه:

تقدم أن المؤلف جعل كتابه في مقالتين: إحداهما للعلوم العربية والأخرى لغيرها من العلوم الطبيعية والعقلية وما يتصل بها، وقسم المقالتين إلى خمسة عشر باباً، تحتوي على ثلاثة وتسعين فصلا. تتتابع المصطلحات داخل كل فصل دون ترتيب هجائي، وتعقبها تعريفاتها، مسبوقة بضبطها أو بوزنها عند خوف اللبس، أو غرابة اللفظ.

- **التعريفات**: للشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة 816هـ، وهو مرتب على الحروف الهجائية، متضمن لاصطلاحات العلوم المعروفة في عصر المؤلف، وقد حظي بشهرة واسعة على الرغم من صغر حجمه واختصار مادته.
- **الكليات** لأبي البقاء الحسيني الكغوي المتوفى سنة 1094هـ، وهو أنموذج لمجموعة من كتب اصطلاحات العلوم القديمة، بدأت بالخوارزمي وخُتمت بالتهانوي الذي يستحق وقفة أطول[2] فيما يلي:
- **كشاف اصطلحات الفنون**، لمحمد على الفاروقي التهانوي (القرن الثاني عشر الهجري).

تضمن هذا الكتاب الموسوعي مصطلحات العلوم العربية: من نحو

(1) المصدر السابق ص: 8

(2) من كتب هذه المجوعة التي لم نذكرها أعلاه: أقسام الحكمة لابن مسكويه(421) والعنوان نفسه لابن سينا427 وأنموذج العلوم للبلوي 559 وحدائق الأزهار للرازي 606 وأقسام الحكمة للطوسي 672 وجامع العلوم وسلوة المحزون للحراني ونفائس الفنون لمحمد بن محمود الآمدي وشمس العلوم لنشوان الحميري، وأنموذج العلوم وهو عنوان لعدد من الكتب، للفناري، والدواني، والصفوي، وأفضل الدين، وسباهي زاده.

وصرف وبلاغة وما إليها ومصطلحات العلوم الشرعية كعلوم القرآن والسنة الفقه وأصوله والعقائد وغيرها، والعلوم العقلية كالمنطق والفلسفة، والعلوم الطبيعية كالعدد والهندسة والطب والفلك. وقد صدَّره المؤلف بمقدمة نفيسة في بيان العلوم وما يتعلق بها، تعرض فيها للرؤوس الثمانية التي يجب على من يشرح أو يُعرِّف بالكتاب أن يتعرض لها قبل الشروع في بحثه وهي: الغرض، والمنفعة، والتسمية، والمؤلف، والعلم الذي ينتمي إليه، ومرتبته بين العلوم، وبيان أجزاء العلوم وأبوابها، وهو ما يعرف في عصرنا بخطة البحث، وأخيراً الأنحاء التعليمية، ويقصد بها عمليات التحليل والتركيب، والتحديد أي التعريف، والبرهنة. وقد جعل غيره هذه الرؤوس عشرة وقال:

إن مبادي كل علم عشره   الحد، والموضوع، ثم الثمره
وفضله، ونسبة، والواضعْ   والاسم، الاستمداد، حكم الشارعْ
مسائلٌ والبعض بالبعض اكتفى   ومن درى الجميع حاز الشرفا

فالمراد بالاستمداد المصادر، وبالمسائل جزئيات العلم أو محمولاته، وبالحد التعريف الذي يدل على الشيء بالتفصيل، بخلاف الرسم الذي يدل عليه دلالة مجملة.

صنف المؤلف المواد في كتابه على هيئة أبواب وفصول، وقال: «المراد بالباب أول الحروف الأصلية، وبالفصل آخرها، على عكس ما اختاره صاحب الصحاح، والألفاظ المركبة تطلب من أحد أبواب مفرداتها» فكلمة أدب نجدها في باب الألف فصل الباء.

طبع هذا الكتاب في مجلدين بالهند سنة 1862 ضمن سلسلة المكتبة الهندية، كما طبع جزئياً في الآستانة سنة 1317هـ ثم طبع في القاهرة ما بين

سنتي 1963 و1977 بتحقيق د. لطفي عبد البديع في أربعة أجزاء، تنتهي بنهاية فصل الصاد، وهو القدر الذي انتهت إليه طبعة الآستانة.

ـ جامع العلوم، أو دستور العلماء لعبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكيري الذي انتهى من تأليف كتابه سنة 1173هـ

المعاجم الحديثة:

ـ معجم البلاغة العربية، للدكتور بدوي طبانة.

وضع أستاذنا الدكتور بدوي طبانة معجمه في مجلدين وحوالي (1000ص) تتناول اصطلاحات البلاغة العربية كما عرفها القدماء، ونسقه على النحو الآتي:

ـ رتب أبوابه على حروف الهجاء، ورتب المصطلحات داخل الأبواب ترتيباً هجائياً أيضاً، ثم كان الترتيب بعد التجريد منسقا على أوائل الحروف، وعرف بالفنون والمصطلحات بإيجاز غالبا، وكرر اسم المصطلح إذا تكررت مفهوماته، فإذا اتحد المفهوم واختلفت أسماء المصطلح وضعه حسب ترتيبه واكتفى بإيضاح المفهوم في أشهر ألقابه، وأحال إليه في موضعه، واستدرك على بعض علماء البلاغة وسجَّل ذلك مسبوقا بعبارة: (قلت)

طُبع الكتاب للمرة الأولى في سنة 1975 ضمن منشورات جامعة طرابلس ـ ليبيا.

ـ معجم المصطلحات الأدبية، لإبراهيم فتحي.

نشرته المؤسسة العربية للناشرين المتحدين لأول مرة سنة 1986، بتونس، ويقع في 416 صفحة، تتضمن المصطلحات ومقابلها الأجنبي،

وعرضاً لمعنى المصطلح أو معانيه إذا كان له أكثر من معنى، وذلك باختصار وتركيز. والكتاب في طبعته هذه خال من مقدمة تبين خطته وهدفه.

ـ المعجم الأدبي لجبور عبد النور.

قسم المؤلف كتابه إلى قسمين: ساق في أولهما الاصطلاحات الأدبية المختارة، مشيرا إلى المدلولات المختلفة للمصطلح الواحد، وفي القسم الثاني تعريف بالآداب العالمية وأعماله الشهيرة، و قصد إلى التنويع والإيجاز، يقع الكتاب في (663 ص) بما في ذلك فهرس الأدباء والمراجع والمواد.

ـ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. د. سعيد علوش

يقع الكتاب في (304 ص)، ويحتوي على 723 اصطلاحاً عرضت بصورة مختصرة جدا، وألحقت بمسردين بالمصطلحات العربية الفرنسية والعكس.

ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبة وكامل المهندس

يعالج هذا المعجم اصطلاحات العربية في اللغة والأدب بما في ذلك علوم البلاغة والعروض والنحو والصرف، ويتجاوز ذلك إلى التوحيد والتفسير والفرق، فضلاً عن المصطلحات الأدبية الغربية والعالمية الواردة في الأدب العربي الحديث.

والمعجم مرتب على الحروف الهجائية، يضع أمام المفردة مقابلها الأجنبي، ويحرص على إيراد التعريفات التراثية بألفاظ مؤلفيها، وقد أُلحق به مسرد بالمصطلحات الأجنبية.

ـ المصطلح في الأدب الغربي لناصر الحوفي.

تناول الكاتب أبرز الاصطلاحات للفنون والمذاهب الأدبية كالوحدات الثلاث، والاغتراب، والملهاة، والمقالة، ولم يجعل في الكتاب ترتيبا محددا، واكتفى بالترتيب الهجائي العربي والإنجليزي لمواد الفهرس. (يقع الكتاب في 231ص)[1].

ـ القاموس الفقهي لسعدي وهبة، وهو خاص بالمصطلحات الفقهية.

ـ القاموس الإسلامي لأحمد عطية، وهو أشبه ما يكون بدائرة معارف إسلامية مصغرة.

ـ معجم الفقه الحنبلي الذي أشرفت عليه وزارة الأوقاف الكويتية.

ـ معجم المصطلحات الصوفية لعبد المنعم الحنفي. طبع للمرة الأولى عام 1980 بدار المسيرة في بيروت، في (269 ص) متناولا بإيجاز متفاوت عدداً من المصطلحات الصوفية، وفاتته بعض المصطلحات المشهورة، ولم يكن لمثل هذا المعجم المختصر أن يغطي كل المصطلحات الصوفية على اختلاف مشاربها ودلالاتها.

ـ ومن المعجمات الصوفية: المعجم الصوفي لسعاد الحكيم، و معجم المصطلحات الصوفية لجميل صليبة، والمعجم الصوفي الذي وضعه مجمع اللغة العربية.

ـ معجم النحو لعبد الغني الدقر، وهو معجم صغير الحجم خاص بالمصطلحات التراثية لعلم النحو.

ـ المعين في مصطلحات الفلسفة الذي أصدره الباحثون المشاركون في

(1) من منشورات المكتبة العصرية، بيروت: 1968

ندوة الموسوعة المغاربية، بتنسيق د. محمد عزيز الحبابي. والتعريفات فيه مختصرة، استبعدت منها المصطلحات الخاصة بعلوم الطبيعة، وانطلق من الجذور إلى المشتقات الشائعة. ألف الجز الأول منه ونشره د. الحبابي سنة 1977، ولم أقف على بقية أجزائه، ولعلها لم تنجز أصلا.

وقد أُريد لهذه المجموعة أن تكون ممثلة لعدد من العلوم، ولكن معاجم المصطلحات أكثر من ذلك، ويمكن لمن أراد أن يطلع على المعاجم العلمية المتخصصة أن يلتمسها في كتاب: «المعجمات العربية المتخصصة» الذي أعده وجدي رزق علي، ونشرته الهيئة المصرية للتأليف والنشر بالقاهرة سنة 1961، أو (ببليوغرافيا المعاجم المتخصصة) الذي كتبه د. علي القاسمي بمجلة اللسان[1]، سنة 1983، ففيهما قدر كبير من المعجمات التي صدرت قبل ذلك التاريخ، ولكن إصدار هذه المعاجم لم يتوقف، فقد واصل مكتب تنسيق التعريب بالمغرب، ومجامع اللغة العربية، وبعض خواص الأساتذة، الجهودَ المتتالية لإصدار معاجم المصطلحات لعلوم مختلفة.

ب ـ معاجم الألفاظ:

المعاجم: كتب تضم مفردات اللغة التي أُلفت فيها، مرتبة على نظام يختاره الجامع لها، ومصحوبة بتفسيراتها، وما يحتمله حجم المعجم من اشتقاقاتها.

وتسير المعاجم العربية على أربع طرائق مشهورة هي: طريقة مخارج

(1) نشرت هذه البليوغرافيا في العددين العشرين والحادي والعشرين من مجلة اللسان العربي الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب بالمغرب.

الحروف، وطريقة ترتيب الكلمات بحسب أواخر حروفها، وطريقة ترتيب الكلمات بحسب أوائل حروفها، وطريقة ترتيب الكلمات دون تجريدها من الزوائد.

ب ـ 1 ـ طريقة مخارج الحروف:

اخترع هذه الطريقة الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب أول معجم شامل في العربية، وأساس ترتيبها تمييز الحروف بحسب أصواتها، لا بحسب تصنيفها في المعجم، ويبدأ الترتيب من أسفل الحلق إلى الشفتين على النحو الآتي: ع ح هـ غ خ ق ك ج ش ض ص س ز ط ت د ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ي ا.

حصر الخليل الكلمات العربية في الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، مشيرا في ذلك إلى المستعمل والمهمل في الأولين، ومعرضا عن المهمل في الأخيرين لكثرته فيهما، وعدّ كل حرف كتابا، وقلَّب فيه الكلمات، بحيث كان الحرف المبني عليه ذلك الكتاب في مواضع مختلفة من الكلمة الواحدة، كحرف العين في: عزم، زعم، معز، زمع، عمز، مزع، وكلها مستعملة إلا (عمز). وهو لا يكرر هذه الكلمات في بابيْ الزاي والميم، اكتفاء بورودها السابق في حرف العين، وقد أدى هذا العمل إلى ضخامة باب العين وما جاوره من حروف الحلق، وضمور تدريجي في الحروف التالية حتى لتصير قليلة جداً في الحروف الشفهية.

سار على هذه الطريقة جماعة من المؤلفين نذكر منهم الأزهري في تهذيب اللغة وابن عباد في المحيط، والقالي في البارع، وابن سيده في المحكم، وابن دريد في جمهرة اللغة.

ب ـ 2 ـ طريقة أواخر الحروف:

تقوم هذه الطريقة على ترتيب الكلمات بحسب أواخرها، فتكون الحروف الواقعة في آخر الكلمات أبواباً رئيسة، ثم يتم تقسيم المواد داخل الباب الواحد إلى فصول بحسب أوائل الحروف، فتكون كلمة (نصر) في باب الراء فصل النون، وفي الباب نفسه نجد كلمات مثل: بصر، وجسر، و قدر، كلٌّ في الفصل الموافق لترتيبه في قائمة الحروف الهجائية.

ابتكر هذه الطريقة الجوهري صاحب الصحاح، وسارت عليها أشهر المعاجم العربية القديمة، مثل لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، وتاج العروس للزبيدي، والتكملة والذيل والصلة، ومجمع البحرين، والعباب للصنعاني.

ب ـ 3 ـ طريقة أوائل الكلمات:

قد تبدو هذه الطريقة محدثة، نظراً لتداولها ولكثرة المعاجم الحديثة التي تسير عليها، ولكن الأمر بخلاف ذلك، فأول من رتب معجماً بحسب أوائل الحروف كان معاصراً للخليل بن أحمد الفراهيدي، و هو أبو عمرو الشيباني (ـ 206) في معجم الجيم، غير أنه كان معجماً صغيراً، ولم يكن رأساً لهذه الطريقة، لأن صاحبه لم يراع غير الحرف الأول في ترتيبه، فكان البحث فيه ليس ميسورا بالرغم من صغر حجمه.

ولذلك نُسبت هذه الطريقة إلى أبي المعالي محمد بن تميم البرمكي الذي كان حيًا سنة(397) وذلك في معجمه الموسوم بـ(المنتهى في اللغة)[1]، وإن كان معاصره أبو الحسن الهنائي الملقب بكراع النمل قد

(1) انظر مقدمة الصحاح للأستاذ أحمد عبد الغفور ص 89 و 104 ومعجم المعاجم لأحمد الشرقاوي اقبال ص 245

وضع معاجمه: المنضد، والمجرد، والمنظم، على الحروف الهجائية أيضا.

وسار على الطريقة نفسها معاصرهما ابن فارس في مجمله، وتلاهم الزمخشري (ت: 538) في أساس البلاغة، والمقري الفيومي المتوفى سنة 770هـ في (المصباح المنير)، ثم شاع التأليف على هذه الطريقة في العصر الحاضر في مصر، ولبنان، وغيرهما من عواصم الثقافة العربية، فكان من ذلك المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية، والمنجد في اللغة والأدب، ومحيط المحيط، وغيرها.

على أن الترتيب على هذه الطريقة قد لقي من الإقبال درجة جعلت بعض العلماء يعيد ترتيب المعاجم القديمة التي كانت مرتبة على أواخر الحروف إلى الترتيب على أوائلها، وهكذا رتب الشيخ الطاهر الزاوى القاموس المحيط، ورتب غيره لسان العرب والتاج وغيرهما، وكان المأمول أن تنفق الجهود في ترتيب المعاجم المرتبة على المخارج، نظراً لصعوبة ذلك الترتيب، وآخر ما صدر من ذلك (معجم النفيس) الذي لم يقصد مؤلفه الدكتور خليفة التليسي إعادة ترتيب ما اختاره من معجم تاج العروس على الطريقة الحديثة، ولكنه أصبغ عليه من حسه اللغوي ما جعله في عداد المعاجم الجديدة.

جـ ـ معاجم المعاني:

تدخل في مجال هذا الاصطلاح معاجم المترادفات مثل كتاب «ما اختلف لفظه واتفق معناه» للأصمعي، ومعاجم المشتركات اللفظية، مثل كتاب «المنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه» لابن كراع النمل، ومعاجم الأضداد مثل «كتاب الأضداد» لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري،

ومعاجم المثلثات مثل كتاب «المثلث» لأبي علي محمد بن المستنير المشهور بقطرب، ومعاجم الموضوعات، ومنها الخاص بأسماء نوع معين ككتاب «خلق الإنسان» لابن فارس، ومنها الجامع لموضوعات مختلفة مثل كتاب «فقه اللغة وسر العربية» لأبي منصور الثعالبي، وكتاب «الألفاظ الكتابية» لعبد الرحمن الهمذاني، و«كتاب الألفاظ» لأبي يوسف يعقوب بن السكيت، وكتاب «كفاية المتحفظ» لابن الأجدابي الطرابلسي، وكتاب «المخصص» لأبي الحسن علي بن سيده الأندلسي، وهو أشهر معاجم المعاني، ومن ثم وجب أن نخصص له وقفة عجلى تبين منهجه وتقسيماته:

قسم ابن سيده كتابه إلى كتب وأبواب، ولكنه لم يلتزم ذلك بصورة دائمة، فهناك مواضع خرج فيها عن شرطه هذا، ونسب بعض ذلك إلى النقلة الذين أملاهم كتابه، لكونه كفيف البصر فقال: «ربما وقعت في أثناء كتابي هذا كلمة متغيرة عن موضعها، فإن كان ذلك فإنما هو موقوف على الحملة، ومصروف إلى النقلة» ولم يتنصل من كل ما وقع في كتابه من ذلك، فقد قال: «مع أني لا أتبرأ أن يكون ذلك من قبلي وأن يكون موضعا قد ألوى فيه بثباتي زللي»[1].

وقد وزع موضوعاته إلى عشرين كتابا هي: خلق الإنسان ـ الغرائز ـ النساء ـ اللباس ـ الطعام ـ السلاح ـ الخيل ـ الإبل ـ الغنم ـ الوحوش ـ السباع ـ الحشرات ـ الطير ـ الأنواء ـ النخل ـ المكنيات ـ المثنيات ـ الأضداد ـ الأفعال والمصادر ـ المقصور والممدود. وفصّل كل كتاب إلى أبواب متعلقة به.

---

(1) المخصص لابن سيده، دار إحياء التراث العربي: بيروت، لا ت. ص 13

ويذكر أن الأستاذ عبد السلام هارون قد وضع فهارس لأرجاز وأشعار الكتاب، تقع في 276 صفحة، أملا في أن تتاح له الفرصة لإكمال فهارسه الفنية الأخرى[1].

د ـ معاجم الأمثال:

هي تلك المعاجم التي تعرض الأمثال وتوضح مضاربها ومواردها، وقد رتبت معظمها على حروف الهجاء بحسب أوائل الحروف، ومنها:

- أمثال العرب للمفضل الضبي.
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أصله لأبي عبيد القاسم بن سلام، وشرحه لأبي عبيد البكري.
- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري.
- مجمع الأمثال للميداني.

سادسا: كتب الأعلام

تحتوي المكتبة العربية الإسلامية على عدد ضخم من كتب الأعلام، والسبب في كثرتها عائد إلى اهتمام المحدثين بحَمَلة الأحاديث النبوية، فيما يعرف بعلم التعديل والتجريح، وفيه يتتبع علماء الحديث الرواة فيوثِّقون ثقاتهم ويجرِّحون مجروحيهم ويُعنون بتواريخ هؤلاء وأولئك.

ثم انتقل الاهتمام بتاريخ الرجال إلى بقية الفنون والمذاهب العلمية، ولما كثر العلماء في الأمصار نشأ ما يعرف بكتب أعلام البلدان، وخصَّ بعض العلماء العصر الذي عاشوا فيه فعرفوا بأعلامه في مؤلفات تُعرف بكتب أعلام القرن الواحد، وقد اقتضى هذا التنوع في كتب الرجال وجود

---

(1) انظر ذيل الجزء الخامس من المخصص

نوع يشتمل على المشاهير من الأعلام دون قيد بالفن الذي برّزوا فيه، أو البلد الذي انتموا إليه، أو القرن الذي عاشوا فيه.

1 ـ كتب المشاهير

تقدم أن كتب المشاهير شاملة للأعيان بغض النظر عن انتماءاتهم الزمنية والمكانية والعلمية، وأهم هذه الكتب ما يأتي:

- وفيات الأعيان، لابن خلكان، وهو رأس مجموعة متكاملة من كتب الرجال نذكر منها هنا:
- الوافي بالوفيات، للصفدي.
- و فوات الوفيات، لابن شاكر الكتب.
- ودرة الحجال في أسماء الرجال، لابن القاضي.
- والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، لابن تغري بردي.
- ومما سمي باسم الوفيات وإن لم يكن من ذات السلسلة كتاب (الوفيات) لابن رافع السلامي.
- وألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب (لابن قنفد، والونشريسي، وابن القاضي) تحقيق د. محمد حجي.
- سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد الذهبي المتوفى عام 748هـ.

وهو كتاب ضخم يتجاوز العشرين مجلدا، يتناول المشاهير من الصحابة والتابعين وسائر أعلام الناس حتى عصر التأليف في فنون مختلفة، ومن بيئات شتى، وفي عصور متتابعة، وبذلك استحق أن يوضع في كتب المشاهير.

- البدر الطالع في أعيان من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني

المتوفى سنة 1250هـ. وتشتمل تراجم هذا الكتاب على الوفيات الواقعة بعد القرن السابع إلى عصر المؤلف، فهو أوسع من أن نضعه بين كتب القرن الواحد أو البلد الواحد، ويكمن أن يعد مكملا لسلسلة الوفيات التي بدأها ابن خلكان المتوفى في أواخر القرن السابع، ولعل الشوكاني أراد ذلك باختياره للتاريخ المذكور.

رتب الكتاب على الترتيب الهجائي، واحتوى على تراجم وافية للأعلام تتناول نسبهم و حياتهم، ونتاجهم الفكري.

- أزهار البستان لابن عجيبة، وأكثر أعلامه من الفقهاء والمتصوفة، وفيهم اللغويون والأدباء، وما يزال مخطوطا ـ حسب علمي ـ حتى كتابة هذه الأوراق.

- كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي

يعد هذا الكتاب أهم كتب المشاهير على الإطلاق لمجموعة من الميزات تضعه في الصدارة بينها بلا منازع، وهي أن تأخر تأليف الكتاب إلى هذا القرن الذي نعيشه مكن المؤلف من جمع المشاهير من مختلف المصادر، فجاء كتابه صفوة الصفوة بينها، وجمع من الأعلام من لم يدركه السابقون، فكان أوفى منهم وأجمع، وأفاد من إمكانات العصر الحديث في الطباعة، ويسر الحصول على المصادر، ووضوح المنهجية الحديثة في الترجمة للأعلام والتذييل بمصادر ترجماتهم ما جعله أهلا للمكانة التي بلغها.

2 ـ أعلام القرن الواحد

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور الثعالبي.

ترجم فيه لأعلام القرن الرابع وصدر الخامس، ممن ينتسبون إلى بيئات

وفنون مختلفة، تجمعهم المعاصرة، وتنأى بهم الأقطار والتخصصات، فكان بذلك أقرب إلى هذا القسم الذي خصصناه لتراجم القرن الواحد. ولئن خصه لمن له مشاركة شعرية، فإن فيه ذكرًا للملوك، والأمراء، والوزراء، والقضاة، والأدباء.

- وعلى منهجه سار أبو الحسن علي الباخرزي في كتابه دمية القصر وعصرة أهل العصر الذي ترجم فيه لأعلام القرن الخامس من بيئات شتى.
- خريدة القصر وجريدة العصر، لمحمد بن محمد المعروف بالعماد الأصفهاني المتوفى سنة 597هـ، وهو يشتمل على تراجم شعراء القرن الهجري الخامس والسادس من بيئات شتى.
- الغصون اليانعة في محاسن المائة السابعة، لابن سعيد الأندلسي، الذي جمع فيه ـ على صغره ـ أعلام من المشرق والمغرب.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس الغبريني، وهو يدخل في كتب أعلام البلدان أيضاً لتخصيص المدينة التي ينتمي إليها المترجم لهم.
- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لابن الخطيب السلماني، وهو محدود البيئة والعصر والفن أيضا، ولكن الشعراء فيه من طبقات مختلفة، فيهم الملوك والوزراء والقضاة والأدباء المكثرون والمقلون.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، وهو كتاب نفيس لكثرة من فيه من الأعلام قياساً إلى نظائره في القرن التاسع.

- الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي، وهو من الكتب المهمة في المائة العاشرة، إن لم أقل أهمها.
- التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان القرن الحادي والثاني عشر لمحمد الطيب القادري
- أنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر العسقلاني، وقد طبع أخيرا.
- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشائخ القرن العاشر، لمحمد بن عسكر الحسني.
- لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، لنجم الدين الغزي.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي
- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا لشهاب الدين الخفاجي 1069هـ.

يترجم فيه لمعاصريه من شعراء القرن الحادي عشر

- نفحة الريحانة ورشحة طلا الحانة لمحمد المحبي 1111هـ

ترجم فيه لمعاصريه من أهل القرن الحادي عشر، مع مراعات عدم تكرار من ترجم لهم صاحب الريحانة الذي جاء كتاب النفحة ذيلا له.

- سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر لابن معصوم 1119هـ

ترجم فيه لمعاصريه، وجعله ذيلا على ريحانة الألبا كسابقه وذكر فيه من استدركهم عليه أو عاشوا بعده.

- نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، لمحمد الصنعاني (معاصر)
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبد الرزاق البيطار

- المسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر، للألوسي
- روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر، لمحمد جميل الشطي
- تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري ليونس السامرائي
- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر الميلادي، لجورجي زيدان

3 ـ أعلام البلدان

قصدت بأعلام البلدان كتب تراجم المشاهير في بيئة محددة خلال فترة زمنية طويلة أومحددة بوقت معين، ونظراً لكثرة هذه المصادر فقد قسمتها إلى بيئات كبرى، وربما أفردت لبلد صغير كالأندلس مساحة أكبر من بقية الأقطار الإسلامية لكثرة ما فيها من كتب أعلام البلدان.

أ ـ أعلام الأندلس:

- تاريخ العلماء ورواة العلم بالأندلس لابن الفرضي
- الصلة لابن بشكوال
- تكملة الصلة لابن الأبار
- صلة الصلة لابن الزبير
- الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي
- جذوة المقتبس للحميدي
- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس لأبي جعفر أحمد الضبي 599 وهو ذيل الجذوة
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام

- قلائد العقيان للفتح بن خاقان
- مطمح الأنفس للفتح بن خاقان
- المغرب في حلى أهل المغرب لابن سعيد
- تحفة القادم لابن الأبار والمقتضب منها للقضاعي
- الحلة السيراء لابن الأبار
- القدح المعلى في التاريخ المحلى لابن سعيد
- رايات المبرزين لابن سعيد
- أدباء مالقة لابن خميس وابن عسكر
- الاحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب السلماني
- نثير الجمان لابن الأحمر
- نثير فرائد الجمان لابن الأحمر هذا إلى جانب كتب تذكر في مواضع أخرى لم نشأ تكرارها هنا مثل الكتيبة الكامنة، وقضاة قرطبة، وقضاة الأندلس وكتب صارت في حكم المفقودة مثل ذيل الصلة لابن فرتون وطبقات الشعراء بالأندلس لعثمان بن ربيعة وطبقات الكتاب بالأندلس للأفشتين، وخضراء السندس في شعراء الأندلس لابن الأبار، وغيرها.

ب ــ أعلام شمال وغرب أفريقيا

- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام
- أعلام ليبيا للشيخ الطاهر الزاوي
- معجم أعلام الجزائر لعادل النويهض
- فتح الشكور في أعلام بلاد التكرور
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد الدباغ وأكمله التنوخي

- تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان لمحمد صالح القيرواني
- كتاب المقفى الكبير لمن استقر بمصر أو مر بها للمقريزي
- النجوم الزاهرة
- تاريخ الجبرتي
- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته بمراكش وفاس لأحمد المقري
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس لأحمد بن القاضي
- أعلام المغرب العربي لعبد الرحمن بن منصور
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد الدباغ 646 وتكميله للتنوخي 839
- تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان لمحمد صالح القيرواني 1292هـ

أعلام الشام والعراق وفارس

- تاريخ دمشق لابن عساكر571
- مختصر تاريخ دمشق
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 462
- تاريخ علماء بغداد للسلامي
- تاريخ علماء المستنصرية لباجي معروف أعلام العراق المعاصرين لمحمد بهجت الأثري

- أمل الآمل في علماء جبل عامل، لمحمد الحسن العاملي
- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء

أعلام شبه الجزيرة العربية

- طبقات اليمن لابن سمرة الجعدي

طبع في القاهرة سنة 1957

- الأسر القرشية أعيان مكة المحمية لأبي هشام عبد الله بن صديق

تهامة للنشر، جدة: 1404هـ

- إعلام أهل الحاضر برجال من الماضي الغابر لأبي تراب الظاهري، دار القبلة، جدة: 1405
- أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، لمحمد علي مغربي، جدة: 1401
- رجالات الحجاز، لإبراهيم هاشم فلالي دار تهامة، جدة 1403

4 ـ الفئات الخاصة:

توجد ضمن كتب التراجم أغلبية ظاهرة للمصنفات التي وضعت للتعريف بأعلام فئات خاصة من الناس، تميزت بنوع من أنواع العلوم، أو مذهب من المذاهب، أو صفة من الصفات، ويدخل في هذه الكتب ما أُلف في تراجم الصحابة، والقراء، والمفسرين، والمحدثين، والفقهاء، والأشراف، والأولياء، والأدباء، والنحاة، والفلاسفة، والأطباء، والمؤلفين، والشيوخ، والنساء، والملوك، وغيرهم. وتعطي البسطة الآتية نبذة موجزة عن كتب التراجم المخصصة لكل فئة من الفئات السابقة، تتناول مناهج تأليفها، وحالها من حيث الطبع والخط والرقن، وقد تعرض لها بلمسات نقدية أو إشارات مقارنة في بعض الأحيان.

أولا: تراجم الصحابة

أخذت معظم كتب تراجم الصحابة بالتعريف الذي يصف الصحابي بأنه كل من لقي الرسول(صلى الله عليه وسلم) وهو مسلم، وبذلك اتسع مصطلح الصحابة، واحتاج إلى مصادر كافية لاستقصائهم والترجمة لهم، ولا يبدو أن ذلك كان ممكناً، فالكتب التي بين أيدينا تؤرخ لأعيان الصحابة الذين كان لهم دور ما في الدعوة أو الدولة، ولا تشمل أغمار الناس ممن لا مناسبة لذكر أسمائهم.

وأهم مصادر تراجم الصحابة هي:

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني852
- الطبقات الكبرى لابن سعد 230
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر
- در السحابة في مناقب القرابة والصحابة، لمحمد الشوكاني 1250هـ
- تجريد أسماء الصحابة: لعز الدين علي بن محمد بن الأثير(630)

اعتمد ابن الأثير على أربعة مصادر مهمة في الترجمة للصحابة رضوان الله عليهم، هي: كتاب ابن منده، وكتاب ابن نعيم الأصبهاني، وكتاب أبي موسى الأصبهاني، وكتاب الاستيعاب لأبي عمرو بن عبد البر، مضافاً إليها الصحابة المذكورين في بعض كتب الحديث والطبقات.

- تجريد أسماء الصحابة لمحمد بن أحمد الذهبي (748) جعله الذهبي امتداداً لكتاب ابن الأثير فجمع مادته وأضاف إليها زيادات من مصادر شتى، فبلغ مجموع من ترجم لهم ثمانية آلاف صحابي.

ثانيا: تراجم القراء

لا تقتصر كتب تراجم القراء على أصحاب الروايات القرآنية المعروفة، فهي تتعداهم إلى من اشتهر من رجال القراءات برواية أو تأليف، أو تقدم طبقة تصله بأصحاب الروايات المشهورة، وأهم كتب تراجم القراء ما يأتي:

- غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين محمد بن محمد الجزري(833هـ)

هو أهم كتاب في هذا الشأن، رتبه مؤلفه على حروف المعجم، وقال: «اختصرت فيه كتاب طبقات القراء الكبير الذي سميته نهاية الدرايات في أسماء رجال القراءات، أو أتيت فيه على جميع ما في كتابي الحافظين أبي عمرو الداني وأبي عبد الله الذهبي ـ رحمهما الله ـ وزدت عليهما نحو الضعف... ثم إني رمزت لما هو في الكتب المشهورة من كتب القراءات، فلما كان مذكوراً في كتابي النشر (ن) ولما في كتاب التيسير (ت) وكتاب جامع البيان للداني (ج) وكتاب الكامل للهذلي(ك) وكتاب المبهج (مب) وكتاب المستنير (س) وكتاب الكفاية الكبرى للقلانسي(ف) وكتاب الغاية لأبي العلاء (غا)»[1].

- معرفة طبقات القراء الكبار، لشمس الدين الذهبي، تحقيق بشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت 1984

ثالثا: تراجم المفسرين

اهتم المسلمون بتفسير كتاب الله منذ نزوله في آيات متفرقة، فقد سأل بعض الصحابة عن معاني ألفاظ أو أيات معينة، ودونوا تفسير الرسول

---

(1) غاية النهاية في طبقات القراء للجزري، عني بنشره . برجستراسر، ص: 3

لها فيما يعرف بالتفسير بالمأثور، وأهم من عني بذلك من الصحابة عبد الله بن العباس.

ثم توالى المسلمون في العناية بالتفسير، شفاهة في حلقات المساجد والمدارس أو تحريراً في الكتب والرسائل، وقد أدى وجود كثرة من المفسرين إلى تأليف كتب خاصة بتراجمهم والتعريف بجهودهم، منها:

- طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي 911
- طبقات المفسرين للداوودي 945
- طبقات المفسرين لأبي سعيد صنع الله الكرزة الكناني 980
- طبقات الحفاظ والمفسرين لعبد العزيز السيروان (معاصر)
- معجم المفسرين لعادل نويهض (معاصر)

رابعا: تراجم المحدثين والرواة

إن أكثر أصحاب العلوم اهتماماً بتراجم الرجال هم أهل الحديث، وذلك لمزيد اهتمامهم بالسند الذي يروي الأحاديث النبوية، وفرط حرصهم على التثبت من عقل الراوية، وحفظه، وضبطه، وصدقه، وعدالته، ودينه، وهو ما يستدعي معرفة شاملة لحياته وطرق روايته.

وقد اقتضى ذلك تأليف كتب في التعريف برجال الحديث، وطبقاتهم، منها:

- التاريخ الكبير والأوسط والصغير وكتاب الضعفاء لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري 256، رتب التاريخ الكبير والضعفاء على حروف المعجم باستثناء القسم الأول من التاريخ الكبير الذي خصه بالمحمدين، ورتب الأوسط والصغير ترتيبا سنويا.
- كتاب الكنى والأسماء لأبي بشر الدولابي(320)

ـ كتاب الثقات (في رجال الحديث) للحافظ أحمد العجلي 261 رتبه الحافظ الهيثمي 807 وفيه تضمينات لابن حجر العسقلاني.

ـ الجرح والتعديل لعبدالرحمن بن محمد الرازي 327

رتب فيه رجال الحديث على حروف المعجم، واصفاً أحوالهم من حيث العدالة والتجريح، مستوفياً أخبارهم وما أمكنه معرفته من آثارهم.

ـ كتاب الثقات لأبي حاتم محمد بن حبان البستي 354

أُخذ عليه أنه وثق فيه أُناساً مجهولين لأن الراوية العدل عنده هو من لم يُعرف بجرح، كما أُخذ عليه إعادة ذكر بعضهم في كتاب الضعفاء والمجروحين له، وإذا لم يكن جدّ في علمه جديد يتيح له تغيير رأيه فإنه مأخذ وجيه.

ـ كتاب الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب لأبي نصر علي بن هبة الله المعروف بابن ماكولا البغدادي 486

وهو كتاب مشهور في بابه حظي بالعناية والقراءة والتذييل والتكميل، فقد ألف ابن نقطة البغدادي ذيلا له سماه إكمال الإكمال، وألف جمل الدين الصابوني كتاب تكملة إكمال الإكمال.

وكتب رجال الحديث التي اتخذت من مادة(كمل) عنواناً لها أكثرمن ذلك، فقد بدأت بكتاب الكامل لأبي أحمد الجرجاني 365، ومنها كتاب الكمال في معرفة الرجال لعبد الغني المقدسي 600، وكتاب الكمال في معرفة الرجال لابن النجار البغدادي 643 وهو يجمع بين رجال الكتب الستة(1)، وتهذيب الكمال لجمال الدين المزي 742

(1) انظر ضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير نصر، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ص 222

وكتاب التكميل في معرفة الثقاة والضعفاء والمجاهيل لعماد الدين بن كثير 774 الذي يقال إنه جمع بين تهذيب المزي وميزان الذهبي[1]، وآخر ما وقع بين يدي من هذا السياق كتاب: الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر في تهذيب الكمال: تصنيف أبي المحاسن محمد بن علي بن حمزة الحسني الشافعي 765[2].

- تذكرة الحفاظ لمحمد بن أحمد الذهبي 748

ترجم فيه مؤلفه للثقاة والمعدّلين من رواة الحديث النبوي الشريف، مقسمين إلى إحدى وعشرين طبقة، وللتراجم فيها أرقاما متسلسلة عامة، وأرقاما خاصة بكل طبقة. وقد ألحق كتابه هذا بتكملة سمّاها ذيل تذكرة الحفاظ.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي المتقدم ذكره.

وهو يترجم لعدد من ضعفاء المحدثين، وأضاف إليهم عددا آخر من الثقات الذين ذكرهم للذب عنهم، وقسم كتابه إلى التراجم مرتبة على حروف الهجاء، ثم باب الكنى بالأب والابن، فالأنساب، فمجاهيل الاسم، فالنسوة المجهولات، فمن لم تسمَّ من النساء.

وكان هذا الكتاب فاتحة مجموعة من الكتب تدور في فلكه منها:

- لسان الميزان لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني 852

ترجم فيه المؤلف لأكثر من أربعة عشر ألفا وثلاثمائة وأربعين محدثا، مستدركا ما فات الذهبي وسائرا على منهجه.

---

(1) انظر الحديث والمحدثون لمحمد أبي زهو (مطبعة مصر 1957) ص 462

(2) حققه د. عبد المعطي قلعجي ونشر بسلسلة منشورات جامعة الدراسات الاسلامية بكراتشي

- تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للذهبي، وهواستمرار من كتّاب القرن الثامن للعناية بكتاب الكمال، وللخزرجي الأنصاري 923 خلاصة لتذهيب تهذيب الكمال.
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني المتقدم ذكره.

نوه في مقدمته بكتاب الكمال لعبد الغني المقدسي وبتهذيب المزي له، وأخذ عليه طول العبارة، وأشار إلى إختصار الذهبي له الذي لم يسلم من عيوب الإطالة التي رُمي بها كتاب المزي، فقصد في كتابه إلى الاختصار في المادة العلمية غير الضرورية، واستخدم الرموز رغبة في الاختصار، رتب معجمه على حروف المعجم وأعطى الصدارة لاسم أحمد ومحمد، على عادة المتبركين بذلك من كتاب التراجم. وللمؤلف نفسه كتاب سمّاه تقريب التهذيب.

- طبقات المدلسين، وهو المسمى بتعريف أهل التقديس، لابن حجر العسقلاني.
- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد للحافظ ابن نقطة البغدادي.

ترجع أهمية هذا الكتاب إلى ما أورده من تراجم الرواة الذين تلقوا السنن والمسانيد، وشيوخهم وتلاميذهم، والكتب التي رووها، وأخبارهم ورحلاتهم، وميلادهم، ووفياتهم، وتوثيقهم أو تجريحهم.

- ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لأبي الطيب التقي الفاسي 832

وقع في يدي الجزء الأول من هذا الكتاب بتحقيق محمد صالح بن عبد العزيز المراد، بين منشورات مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى في مكة المكرمة.

رتب الفاسي كتابه على حروف المعجم مع تقديم المحمدين والأحمدين وذكر من لم يذكره ابن نقطة من الرواة.

خامسا: تراجم الفقهاء

اتسعت دائرة الترجمة للفقهاء، نظراً لكثرتهم وتنوع مذاهبهم، وتوجد كتب عامة تترجم للفقهاء بعامة مثل طبقات الفقهاء والمحدثين للهيثم بن عدي، طبقات الفقهاء للشيرازي، وذيله المسمى طبقات الفقهاء لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الهمذاني (521) وطبقات الفقهاء لعلي بن أنجب الساعي البغدادي674، وفي البسطة الآتية عرض لتراجم أعلام المذاهب الباقية آثارا وأتباعا:

1 ـ تراجم الأحناف

على الرغم من كون مذهب الأحناف ينتمي إلى أسبق الأئمة الأربعة ميلاداً، وهو أبو حنيفة النعمان (80 ـ 150) فإن عناية أتباعه بالترجمة لأعيان المذهب الحنفي تبدو أقل من غيرهم ـ فيما نعلم ـ ولعل ذلك عائد إلى اهتمامهم بالمصنفين من بين أعيان المذهب غالبا، ومن أهم كتبهم في ذلك:

ـ الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية لعبد القادر بن محمد القرشي775 رتبه على حروف المعجم.

ـ الفوائد البهية في تراجم الحنفية لمحمد بن عبد الحي اللكفوي

ـ التذكرة لأحمد بن علي المقريزي 845

خصصه مؤلفه لمن له تآليف من علماء الأحناف، ورتبه على حروف الهجاء، وأهمل بعض الحروف كالدال والسين لعدم وقوفه على مؤلفين تبدأ أسماؤهم بتلك الحروف

ـ تاج التراجم في من صنف من الحنفية، للحافظ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي 879

هذا آخر ما وقع في يدي من تراجم الأحناف، وقد صدر عن دار المأمون للتراث بتحقيق إبراهيم صالح، ضمن منشورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي سنة 1992. وفي الكتاب تضمين لمحتوى كتاب التذكرة للمقريزي وزيادة عليه، تصحيحاً لهناته واستدراكا على ما فاته، فهو يضيف زوائده بعد إيراد الأصل بعبارة: (وممن يسمى بهذا الاسم منهم) وملأ بزياداته الحروف المهملة عند شيخه، وأضاف إلى غيرها أسماء أخرى، ومع ذلك فالكتاب لا يزيد عن 333 صفحة مضافا إليها فهارس الكتاب.

- طبقات الحنفية لابن كمال باشا (معاصر)

2 ـ تراجم المالكية:

لقد كان اهتمام أصحاب مذهب الإمام مالك بالتأريخ لأعلامه واضحا من خلال ما بقي من آثارهم المطبوعة والمخطوطة، ويميز هذه التآليف إنتماء أصحابها إلى بيئات مختلفة توضح انتشار هذا المذهب في أفريقيا وآسيا، والأندلس، ومن أشهر كتب أعيان هذا المذهب ما يأتي:

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى السبتي المتوفى سنة 544، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

أشار القاضي عياض في مقدمة كتابه إلى أنه لم يتقدم في هذا الفن تأليف جامع غير ماجمعه عبد الله ابن أبي دليم القرطبي، يعني كتابه «الطبقات فيمن روى عن مالك وأتباعهم من أهل الأمصار»، ثم ما جمعه محمد بن حارث القروي، ويعني كتبه «طبقات الفقهاء» والرواة عن مالك

وغيرهما[1]، وما جمعه أبو إسحاق الفيروزابادي، يعني إبراهيم الشيرازي في كتابه طبقات الفقهاء الذي ترجم فيه لعامة الفقهاء ومنهم المالكيون. ولما كانت تلك المصادر محدودة العدد والحجم كان كتاب ترتيب المدارك من أول الكتب المهمة في تراجم المذهب المالكي، إن لم يكن أهمها على الإطلاق.

ذكر عياض في مقدمته أنه اقتصر على ألف اسم، صنفهم على طبقات تبدأ بالفقهاء من أصحاب الإمام مالك، ثم أتباعهم، وأخلافهم إلى شيوخه وأئمة زمانه، ممن شهرت إمامته أو ظهرت تواليفه، فذكر الاسم واللقب والنسب، وقيد المهمل، وأزاح المشكل خشية التصحيف والتحريف[2]، وراعى في ذكر الطبقات البيئات التى تنتمي إليها وهي: الحجاز، والشام، والعراق، ومصر، وأفريقيا، والمغرب، والأندلس.

- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون المدني 799
- توشيح الديباج لبدر الدين القرافي 946
- نيل الابتهاج بتطريز الديبج لأحمد بابا التنبكتي 963
- كفاية المحتاج لما ليس في الديباج لأحمد بابا
- الجواهر الثمينة في أعيان مذهب صاحب المدينة لمحمد ظافر المدني
- شجرة النور الزكية في أعلام المالكية لمحمد مخلوف 1360هـ

وهناك كتب أكثرها ما يزال مخطوطا عنيت باختصار الكتب المتقدمة أو تذييلها مثل مختصر المدارك لأبي عبد الله بن رشيق الأندلسي،

(1) ذكر القاضي عياض ج 2 ص: 13 مجموعة أخرى من الكتب التى دونت أسماء رواة مذهب الإمام مالك منها كتابه جمهرة رواة مالك الذي انطوى على أزيد من ألف وثلاثمائة راو.

(2) انظر ترتيب المدارك 1/ 14 ـ 15

والإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج لمحمد الطيب القادري، وهناك بعض المؤلفات المستقلة في طبقات المالكية منها مخطوطة في المكتبة الوطنية بتونس[1].

وقد بقي كثير مما لم نذكره من تراجم المالكية، بعضها خاص ببلد بعينه كتراجم الفقهاء من أهل القيروان، وبعضها ما لم يصلنا، وقد تقدم أن هذا الكتاب موضوع لتوجيه الباحثين إلى الموجود من المصادر لكي يفيدوا منه، وليس لاستعراض المعلومات عن المصادر المفقودة والموجودة.

3 ـ تراجم الشافعية:

تحلق الطلاب حول الإمام الشافعي في بيئته العراقية والمصرية، وأسهم بنفسه في نشر مذهبه نتيجة لأسفاره المتعددة، وقد نتج عن ذلك وجود عدد كبير من رجال هذا المذهب من المعاصرين للشافعي، وممن تبعهم عبر القرون التالية، وأهم الكتب التي خصتهم بالترجمة ما يأتي:

- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر: 1982
- طبقات الشافعية لجمال الدين الأسنوي 774، تحقيق عبد الله الجبوري
- طبقات الشافعية لابن هداية الله الحسيني 1014هـ، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1982
- تهذيب الأسماء واللغات لأبي زكرياء النووي 676

---

(1) صدر عن دار الغرب الإسلامي في ثلاثة مجلدات.

4 ـ تراجم الحنابلة:

أخذ الإمام أحمد بن حنبل 240 عن الإمام الشافعي، وهو معدود في رجال الحديث أيضا، ولذا فإن عدداً من أتباعه مترجم له في كتب تراجم الحديث، ومع ذلك فإن هناك كتبا خاصة بالترجمة للحنابلة، نذكر منها:

ـ طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى

ـ الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب البغدادي 795

ـ المنهج الأحمد في تراحم أصحاب الإمام أحمد، لأبي اليمن العلمي 928

5 ـ تراجم الشيعة:

تنقسم الشيعة إلى مذاهب، أهمها الزيدية، والإثنا عشرية، والإسماعيلية، ومن كتب تراجم أعلامهم ما يأتي:

ـ كتاب الرجال لمحمد بن عمر الكيش 340

وهو من أوائل كتب رجال الحديث من الشيعة، مرتب على طبقاتهم.

ـ كتاب الرجال لأبي العباس أحمد النجاشي 450

ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، لأبي علي الطوسي 548

ـ الطبقات الزهر للسيد يحي بن الحسن (مخ بجامع صنعاء رقم 5632 تراجم)

ـ طبقات الزيدية، لإبراهيم بن القاسم الشهاري (مصورة دار الكتب المصرية 29099)

ـ روضات الجنات في أحوال العلماء السادات، لمحمد باقر الخوارنساري1313هـ

ـ أعيان الشيعة، لمحسن الأمين العاملي 1371هـ

ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب (في طبقات روات الحديث) لعبد الحسين أحمد النجفي (معاصر)

ـ طبقات أعلام الشيعة (نوابغ الرواة في رابع المئات) لآغا برزك الطهراني (معاصر)

6 ـ تراجم الإباضية:

ـ السير لأحمد بن سعيد الشماخي 928

ـ سير أبي الربيع الوسياني، قسمها إلى مرويات أعلام الإباضية دون أن تكون على صورة تراجم مرتبة.

ـ كتاب الطبقات لأبي سعيد الدرجيني

ـ كتاب سيرة أهل نفوسة للشيخ مقرين بن محمد النفوسي

جاء هذا الكتاب شاملا لتراجم رجالات جبل نفوسة، وهو المشهور عند الناس بتاريخ جبل نفوسة، ذكر فيه مؤلفه بعض الإباضية المشارقة وأولهم جابر بن زيد، وعبد الله بن إباض، وجعفر بن السماك العبدي.

7 ـ تراجم المعتزلة:

ـ طبقات المعتزلة، لابن المرتضي.

سادسا: تراجم المتصوفة

ـ طبقات الصوفية للسلمي 412

ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني 430

ـ الطبقات الكبرى في الأولياء من الصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى آخر القرن انتاسع وبعض العاشر، لعبد الوهاب الشعراني.

ـ التشوف إلى ذكر أهل التصوف لابن الزيات

ـ طبقات الأولياء، لابن الملقن 804

ـ الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، لعبد الرؤوف المناوي 1031

ـ طبقات العروسية الشاذلية، لأحمد حامد الشريف (معاصر)

ـ ومنها كتب الأولياء الخاصة ببيئات معينة: الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، لمجهول، وطبقات الخواص من أهل الصدق والإخلاص، لأبي العباس الزبيدي، 893 وهو خاص بأولياء اليمن. والبستان في أولياء تلمسان لابن مريم

سابعاً: تراجم الأدباء

ـ طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي 232

ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة 276

ـ طبقات الشعراء لابن المعتز 296

ـ الورقة لأبي عبد الله بن الجراح 296

ـ أخبار الشعراء لأبي بكر الصولي 335

ـ معجم الشعراء للمرزباني 384

ـ المحمدون من الشعراء للقفطي 568

ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي 626

ـ نكت الهميان في نكت العميان للصفدي 764

ـ الحلة السيراء، لابن الأبار الأندلسي.

ـ إعتاب الكتاب، لابن الأبار البلنسي.

ـ أدباء العرب للبستاني (معاصر)

- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين (هيئة المعجم) معجم أدباء الأطباء

ثامناً: تراجم اللغويين والنحاة

- مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي 351
- أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي 368
- طبقات النحويين واللغويين لمحمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي 379
- إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين القفطي 646
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لعبد الرحمن السيوطي 911هـ

تاسعاً: تراجم الفلاسفة والأطباء

- تاريخ الأطباء والفلاسفة لإسحاق بن حنين298، حققه فؤاد السيد
- طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل377
- تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي 565
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي 646
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة 668
- تاريخ الحكماء للزوزني
- تاريخ الحكماء المسمى (نزهة الأرواح وروضة الأفراح) لسمس الدين الشهرورزي، (أواخر القرن السابع)
- معجم الأطباء لأحمد عيسى
- معجم أدباء الأطباء لمحمد الخليلي
- معجم الفلاسفة والمناطقة والمتكلمين والمتصوفة واللاهوتيين لجورج طرابيشي (معاصر)

عاشراً: تراجم الشيوخ والأصحاب

اعتاد العلماء المسلمون، وعلى الأخص علماء الغرب الإسلامي على كتابة فهارس لشيوخهم، وقد حفزت الكثرة في تلك الفهارس الشيخ عبد الحي الكتاني إلي تأليف كتابه «فهرس الفهارس ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات»، ومن أمثلتها:

- معجم الشيوخ، لأبي الحسين الصيداوي 402
- الغنية في شيوخ القاضي عياض
- المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي، لابن الأبار 658
- برنامج شيوخ الرعيني
- فهرس شيوخ ابن عطية.
- فهرس شيوخ ابن عربي، (منه نسخة مخطوطة بالجامع الكبير بصنعاء)
- برنامج المجاري الأندلسي.
- معجم الشيوخ، لعمر بن فهد الهاشمي المكي
  حققه محمد الزاهي وقابله على أصله حمد الجاسر1402

حادي عشر: تراجم القضاة:

- أخبار القضاة لمحمد بن خلف المعروف بوكيع 306
- قضاة قرطبة لأبي عبد الله الخشنى 361
- قضاة الأندلس للبناهي

ثاني عشر: تراجم أعلام النساء

- الحدائق الغناء في أخبار النساء، لأبي إسحاق المالقي 605
- أعلام النساء لعمر رضا كحالة (معاصر)
- أعيان النساء عبر العصور المختلفة، لمحمد رضا الحكيمي (معاصر).

الخاتمة

وبعد . .

فقد كانت هذه الرحلة في ورقات البحث والكتابة والمصادر أشبه ما تكون بملاحظات الممارس الذي يكتشف مواطن الصعوبة دون تسلسل دقيق، ويحاول أن يعين الباحثين على التغلب عليها، ويتلمس مشاكلهم، ويتحسس معاناتهم، وهي التي مرَّ بها طالباً، وراقبها مشرفاً ومناقشا، ورأى أن الخدمة الحقيقية لا تكمن في وضع كتاب يحفظ ويروى، وديوان يقلد ما جرت عليه العادة من تنسيق قواعد البحث المعروفة، ولكنها تكمن في تعريف الباحثين بالعقبات الفعلية التي سوف يواجهونها على مستوي التفكير، والعمل، والتخطيط، والتحليل، والكتابة، غير متجاهل لكبائر العقبات وصغائرها، ولكنه غير مستقص لتلك العقبات الكثيرة، لأن الوقوف عند الأهم منها، والأكثر التصاقا بالواقع أجدى في نظره من استقصائها دون علاج وتركيز.

ولذا فإن هذه الورقات لم تكن على صورة خيال مثالي، منطو عن الواقع، أو تصور نظري يكتب بروية داخل جدران صامتة، بل صدى

محاضرات ألقيت، ومناقشات واستشكالات عرضت في ميادين البحث، أو عاشها المؤلف نفسه متعلما ومعلما، ومن ذلك اكتسبت هذه الورقات، في نظري، حسناتها، ومنها اكتسبت سيئاتها، فأما الأولى فمن كونها إجابة على أسئلة الباحثين ومشكلاتهم كما تقدم، راجيا أن تكون عونا لهم على تخطي الصعاب وتحقيق المطامح، وأما الثانية فلأنها جمعت أشتاتا من الأمور ما كان ليجمعها منهج واحد، ولا كتاب واحد، بين فكر، وتدريب، وتوجيه، وتعريف، وتصنيف، وأعمال أخرى قد يقبلها الكتاب التعليمي، ولكنها قد تجد تحفظا على مستوى العمل التسلسل المنهجي.

وقد رأيت من حوافز الأولى ما هوَّن في نظري من موانع الأخرى.. نفع الله بها من قرأها، وغفر لجامعها، وجعلها في ميزان حسناته مبرأة من عيوبها، معتذرة عن تقصيرها و ذنوبها.

والله المستعان على الكمال

د. عبد الحميد الهرامة



